

# مشكلة قبرص

دكتور

مُحَمَّد نَصْرَقْمَهَا

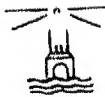
مدرس العلوم السياسية  
كلية التجارة - جامعة أسيوط

دكتور

جَبَلال يَحْيَى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ  
وكيل كلية الدراسات - جامعة المنيا

١٩٨١



دار المعارف









# مشكلة قبرص

دكتور

مُحَمَّد نُصْرُقُوهَا

مدرس العلوم السياسية  
كلية التجارة - جامعة إسطنبول

دكتور

جَبَّالُ يَحْيَى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ  
ووكيل كلية الآداب - جامعة النجف

١٩٨١



دار المعارف



## مقدمة

تعتبر مشكلة قبرص من المشكلات الدولية التي تؤثر على العلاقات بين الدول وبعضها في منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط ؛ كما تؤثر على العلاقات والتوازن بين الدولتين الأعظم ، وبقية الدول الموجودة في نطاق كل من كتلتها .

وإذا كانت المشكلة تأخذ في مظهرها العام شكل نزاع بشأن القوميات الموجودة في الجزيرة ، ووقوف كل من اليونان وتركيا ورام مجموعة من القبارصة تنتمى إلى هذه الدولة أو تلك ، وتتحد معها في اللغة والعادات والتقاليد والديانة . وإذا كانت إحدى القوميات الموجودة في الجزيرة . وهم القبارصة اليونانيين ، تتحدث على أنها تمثل أغلبية عظمى وتتهم القومية الأخرى بأنها أقلية . ومن الواجب محاسبتها على هذا الأساس ، وكانت المجموعة الأخرى . وهي مجموعة القبارصة الأتراك تتمسك بحقوقها ، وبالتنازعات الدولية التي ضمنت لها بعض الحقوق ، فإن أساس المشكلة يظهر ، على هذا المستوى ، على أنه محاولة من جانب القبارصة اليونانيين لمسايرة حركة اليونان التي تهدف ضم الجزيرة إليها . والموافقة عليها ، وفي غير مصالحة القبارصة الأتراك . ويؤدي بنا هذا الوضع إلى أزمة نشأ بين تركيا واليونان ، وتهدد بقيام عمليات ساخنة ، قد تصل إلى مرحلة إستخدام القوة المسلحة ؛ وهو أمر خطير ، يؤثر على الأوضاع في منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط .

وإذا ما نظرنا إلى موقع جزيرة قبرص من الناحية الجغرافية ، نجد أنها أبعد الجزر التي تسكنها أغلبية يونانية عن بلاد اليونان نفسها ؛ ونجد أنها قريبة للغاية من السواحل الجنوبية لتركيا ، والسواحل الشمالية لسوريا . ومعنى تفوق النفوذ والسيطرة اليونانية على هذه الجزيرة أن يصبح اليونان تطوق تركيا من الجنوب ،

## - ٦ -

في الوقت التي توجد معها حدود إلى الغرب ، وتسيطر فيه اليونان على عدد من جزر بحر إيجه القريبة من السواحل المغربية لآسيا الصغرى ، أى بالتالى تطويق اليونان لتركيا ، وبشكل متزايد ، وبواسطة قواعد تؤثر على الموانئ التركية ، أى على أمن الدولة التركية . وهذا العامل أيضاً يهدد بالوصول إلى صدام . ومن ناحية ثالثة ، فإن إمكانية وقوع صدام بين تركيا واليونان ، يؤثر على فاعلية حلف شمال الاطلسنطى ، ويضعف جناحه الموجود في جنوب شرق أوروبا ، ويؤثر بالتالى على أوضاع الدول المغربية ، وعلى العلاقات الموجودة بين الدولتين الاعظم . هذا علاوة على أن قرب جزيرة قبرص من السواحل السورية ، يجعل هذه المشكلة تؤثر بالتالى على الأوضاع الموجودة في العالم العربي ؛ كما يؤدي تفاقمها إلى التأثير على التوازن الموجود في منطقة الشرق الأوسط . ولا ننسى أن تفجر المشكلة ، وبشكل حاد ، في عام ١٩٧٤ ، قد عمل على نقل مركز الثقل ، ومركز الإهتمام . في ذلك الوقت ، في الشرق الأوسط ، من النزاع العربي الإسرائيلي ، ووجه هذا الإهتمام ، وإن كان مؤقتاً ، إلى مشكلة أخرى ؛ وأدى ذلك ، إلى تقليل أهمية النزاع العربي الإسرائيلي ، وتحويله بالتالى من مركز الإهتمام الأول إلى المركز الثاني . وكل هذه العوامل ، والأسباب ، تزيد من أهمية الموضوع ، وضرورة البحث فيه ، وطرحه للدراسة .

ولقد قسمت موضوع الكتاب إلى قسمين منفصلين : القسم الأول خاص بالتطور التاريخي لجزيرة قبرص ، وقد تمت معالجته بطريقة تاريخية ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أبواب ؛ نعرف بالجزيرة وسكانها ، ووقوعها تحت حكم البيزنطيين ، ثم قيام مملكة قبرص حتى عصر فجر التاريخ الحديث ؛ وشرح عصر الحكم العثماني لقبرص ، والنظم التي وجدت فيه ، ومحاولات روسيا الضغط للخروج إلى البحر المتوسط ، حتى الاتفاق الإنجليزى العثمانى عام ١٨٧٨ وتسليم الجزيرة لبريطانيا

## - ٧ -

المعظمي ، ثم تعالج الحكم البريطاني لقبرص ، وعلاقة بريطانيا العظمى بروسيا . وبمشكلة المضائق في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، وتشرح أيضاً عملية استقلال قبرص ، مع تزايد أهمية الجزيرة ، وظهور حركة الكفاح من أجل الاستقلال وإعلان الجمهورية .

وهذا القسم أساسى لمعرفة أسس المشكلة ، والرجوع إلى أصول العوامل ، والأوضاع السياسية والقانونية والدولية التي تؤثر فيها . ولقد قمت بكتابه هذا القسم . أما القسم الثانى ، فقد كتبه الدكتور محمد نصر الدين على منها ، وهو خاص بمشكلة قبرص المعاصرة . ولقد عرضه على أساس كونه مشكلة من المشكلات السياسية ، ومن مشكلات العلاقات الدولية ، وهو من عمله وبحسب له .

ويضم هذا القسم ثلاثة أبواب : الخامس عن المشكلة وتأثير الإنقلابات العسكرية ؛ والسادس عن الغزو التركي لقبرص ؛ والسابع عن الموقف السوفيتي . ولقد شرح في الباب الخامس معاهدة الضمان ، وتأثيرها على الأوضاع في قبرص ؛ وكذلك موقف حلف شمال الأطلسي من هذه المشكلة ؛ ثم استمر مع شرح الإنقلاب العسكرى اليونانى عام ١٩٦٧ ، وردود فعله على الاسقف مكاريوس ؛ وكذلك إنقلاب ١٥ مايو ١٩٧٤ في قبرص .

وشرح في الباب السادس عملية الغزو التركى لقبرص ، وردود فعل هذه العملية في الولايات المتحدة ، وفي أوروبا الغربية .

وشرح في الباب السابع ، الأصول التاريخية للموقف السوفيتي ؛ ثم حلل هذا الموقف في أثناء الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ؛ واستعرض بعد ذلك تطور السياسة السوفيتية منذ الخمسينيات ،

٨

وأرجو أن يكون هذا الكتاب نافعا للقارئ والدارس والباحث، وأن يسهم،  
مع غيره من الكتب والدراسات، في العمل على إثراء المكتبة العربية —  
وعلى الله قصد السبيل.

الاسكندرية، في ٢٦ يوليو ١٩٨٠

دكتور

جلال يحيى

# القسم الأول

## التطور التاريخي لجزيرة قبرص





# البَابُ الْأَوَّلُ

قبرص حتى فجر العصور الحديثة



## الفصل الأول

### الجزيرة والسكان

#### ١ - جزيرة قبرص :-

تقع جزيرة قبرص في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر المتوسط ، بين آسيا الصغرى ، وسوريا . ومساحتها تبلغ ٩٣٥٠ كيلو متراً مربعاً ، أى أنها أكثر صغراً من صقلية ومن سردينيا ، ولذلك فإنها تعتبر ؛ من حيث المساحة . ثالث جزر البحر المتوسط .

ويزيد عدد سكانها الآن على ٦٠٠.٠٠٠ نسمة ، أكثر من ثلاث أرباعهم ( ٧٨ ٪ ) من اليونانيين ، وأقل من الربع ( ٢٢ ٪ ) من الأتراك . وتضم الجزيرة بين سكانها كذلك أفليات مسيحية أخرى ، مثل اللاتين ، والمارونيين ، والأرمن والإنجليز ، والذين يصل مجموعهم إلى ٨٠.٠٠٠ نسمة تقريباً .

وتوجد بالجزيرة سلسلتان من الجبال يسيران من الشرق إلى الغرب ، ويقع بينهما سهل ميسوريا ، والذي يعتبر أكثر أماكن الجزيرة خصوبة ، وإنتاجاً . وسلسلة الجبال الجنوبية ، هي الأكثر ارتفاعاً ، وتغطي قممها غابات الصنوبر والأرز . وتصل أعلى قممها ، وهي قمة جبل أولمبيا إلى ارتفاع ١٩٣٠ متراً .

وأرض قبرص غنية بالمعادن : مثل النحاس ، والنيكل والبيريت ، والحديد الصخري . ويصل إنتاج هذه المعادن إلى نسبه ٦٠ ٪ من صادرات الجزيرة . ومع ذلك فإن جزيرة قبرص لاتزال زراعية ، رغم نشأة بعض الصناعات فيها ؛ ويعمل ثلثي السكان ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بزراعة الحبوب ، والكرام ، والزيتون ، الخروب وغيرها من أشجار الفاكهة . أما خمر ، وموالح ، وحبر

قبرص ، فإنها من أجود الأنواع . وتعتمد جزيرة قبرص ، مثل بقية بلاد البحر المتوسط ، على الأمطار ، نتيجة لعدم وجود الأنهار ووسائل الرأى والسدود . أما المناخ فهو مناخ البحر المتوسط ، بروعته . وهو بهو سمحي ومعتدل شتاءً ، ومشمساً في غالبية السنة .

ولقد نمت في قبرص ، ونتيجة للمجهودات الفردية ، حركة السياحة ، وإلى حد كبير . وتم في خلال السنوات التالية للحرب العالمية الثانية ، وما بعدها ، إنشاء عدد من الفنادق الكبيرة والحديثة في المدن ، وكذلك في المناطق الزراعية وبين أحضان الطبيعة ، وعلى الجبال . وتوجد في الجزيرة شبكة من الطرق تضمن المواصلات الداخلية ، وهي في مجموعها في حالة جيدة ، ويحافظون عليها ؛ وهذه الطرق تكون كثيرة التخرج ، في بعض الأحيان ، على الطريقة القديمة ، ولكنهم يعملون أكثر وأكثر على تقصيرها ، وجعلها أكثر إستقامة ، وعلى الأقل في الأجزاء الرئيسية منها .

وتنقسم الجزيرة إلى ست مقاطعات . والعاصمة هي نيقوسيا ، ويبلغ عدد سكانها ٨٠.٠٠٠ نسمة ، وتقع في وسط الجزيرة ؛ ويربطها بالخارج مطارها الدولي ، الذي أصبح محطة للخطوط الجوية الأوروبية ، ولخطوط الشرق الأدنى . ويضم متحفها مجموعة غنية من الآثار التي تم العثور عليها في الجزيرة . ويحيط بالجزء القديم من المدينة أسوار ، يعلوها أحد عشر برجاً ، كانت قد بنيت في عهد البنادقة . أما الكاتدرائية اللاتينية القديمة فإنها كانت قد تحولت إلى مسجد جامع في العهد العثماني . وأما الكاتدرائية اليونانية ( الروم الارثوذكس ) فتشتمل على نقوش من القرن السادس عشر . وتقع بقية المدن الأخرى بالجزيرة قرب البحر . وفما جوستا ، هي الميناء الرئيسى لقبرص ، وتحيط بها كذلك أسوار بنيت في عهد البنادقة . وتحيط حدائق البرتقال والليمون بهذه المدينة ، التي كانت ، فيما

مضى ، أكبر مركز تجارى فى شرق البحر المتوسط . أما ليماسول ، ولارناكا فلها خليجان مفتوحة ، وتضم بعض الآثار القوطية والبيزنطية . وأما بافوس ، فهى مدينة تاريخية صغيرة ترتبط بأسطورة مولد اغرو، ديت . وأما كيرينيا فليست سوى قرية صغيرة تقع فى شمال الجزيرة ، بين أشجار الزيتون . وهى أجمل المدن القبرصية، وبكثير . ويشاهد الزائر . أو السائح ، وفى كل قرى السهل ، وفى وديان الجبال ، ومع كل خطوة ، خرائباً وآثاراً لمدينة قديمة ؛ آثار قوطية ، وأديرة وكنائس بيزنطية ، تجعل من الجزيرة متحفاً لكل حضارات البحر المتوسط . ومن هذا المتحف الموجود فى الطبيعة ، نبدأ ، خطوة بخطوة ، فى شرح تاريخ الجزيرة ، ومن أقدم العصور .

#### ٢ - السكان القدامى : -

ترجع الآثار الأولى لوجود سكان فى جزيرة قبرص إلى العصر النيوليتى ، ولكن علينا ألا نستبعد إمكانية معرفة الجزيرة للسكان منذ العصر الباليوليتى . ومن المرجح أن السكان الأول حضروا للجزيرة من سواحل الأناضول ، وأقاموا فى قبرص قرب الألف الرابع قبل الميلاد ، وحملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم . يتجمعون فى تجمعات صغيرة ، تتكون من منازل مستديرة .

وسرعان ما أدى إكتشاف مناجم النحاس فى الجزيرة ، قرب بداية الألف الثالثة ، ومعرفة قيمة ثروات غابات قبرص ، إلى جذب إلتباه شعوب البلاد المجاورة إليها . فوصل إلى قبرص معمر من الأناضول ومن سوريا ، وأقاموا فيها ، وغيروا بذلك من حياة العزلة ، التى كانت تعيشها هذه الجزيرة . وجاءت مواد جديدة لكى تحل محل إستخدام الأحجار المصقولة والمهذبة ، فى صناعة الأدوات والأسلحة ، وأخذت الأحياء محل التجمعات الأولية . وساعد موقع قبرص المميزة ، عند زاوية الأناضول مع سوريا على توسع تجارتها مع البلاد

الواقعة فيما وراء البحر ؛ وأصبحت قبرص بهذا الشكل محطة للبحارة ، صوب جزر بحر إيجه؛ واستغلت غاباتها ، إلى درجة كبيرة ، من أجل بناء السفن . وبدأ فن صناعة الفخار ، الذى أصبح يصدر إلى سوريا ، يزدهر في الجزيرة ؛ وكان يشبه الفخار الذى كان يصنع في تساليا وفي الأناضول . ولكن الإنتاج الرئيسى ظل دائما هو النحاس ، والذى كان أبناء الجزيرة يصدرونه إلى سوريا ، وكذلك إلى مصر ، حتى أن قبرص أعطت اسمها لهذا المعدن الذى إكتشفت في الجزيرة ، وأصبحت هي نفسها تعرف باسم آلاسيا ، أو بلاد النحاس . ويمكننا كذلك أن نحدد هذه الفترة بدخول عبادة إلهة الخصوبة إلى الجزيرة ، وهي إلهة تشبه الإلهة الأم عند سكان كريت ، وإلهة الأمومة عند الآريين في الأناضول . كما أن القبور الموجودة في مقابر قبرص ، من هذه الحقبة ، تظهر أنه كان لسكان الجزيرة حينئذ تقاليد دفن تشبه طقوس الوفاة عند الشعوب الآرية في الأناضول .

ولقد ظل عصر البرونز لفترة طويلة في قبرص ، واستمر في إمتداده حتى نهاية الألف الثانى . وفي خلال هذه الفترة ، عرفت الجزيرة الازدهار ، نتيجة لتنمية علاقاتها التجارية مع كريت، وجزر بحر إيجه ، وسوريا ، ومصر، وآشور . وحدث ، عند أواسط الألف الثانى ، حدثان هامان في الجزيرة : الأول منهما يتمثل في سيطرة الفراعنة على الجزيرة ، وإجبار أهلها على دفع الجزية ؛ وكان الثانى هو وصول أوائل المعمرين من ميسينيا إليها ، في طريقهم من البليونيون شرقا ، وعرفوا أخيرا سواحل قبرص . وكان أول مكان وصلوا إليه هو شمال الجزيرة ، ونزلوا على الساحل إلى مايسمى حتى اليوم « ساحل أخيل » ، ثم توغلوا بعد ذلك إلى داخل البلاد . ولقد تبعهم عناصر أخرى من نفس جنسهم ، وسرعان ما انجحوا ونتيجة لتقدمهم الثقافى في فرص أنفسهم وفي سيطرتهم على العناصر التى كانت موجودة في الجزيرة من قبل . ولقد أحضر معهم معتقداتهم وآلهتهم ، وفنونهم ،

## - ١٧ -

وتقاليدهم ، وكذلك طريقتهم في الكتابة . وسرعان ما انتشرت لغتهم ، الأركادية ، في جميع أنحاء الجزيرة ، والتي لم يتأخر تركيبها البشرى عن أن يتغير في صالح المهاجرين الجدد ، والذين تمكنوا من أن يهضموا العنصر الوطني ، أو يدفعون بمن رفض الاندماج إلى أماكن العزلة في الجزيرة . ومنذ حضورهم ، أخذ فن قبرص صفاته ، وأصبح فخار قبرص منذ هذا الوقت متأثراً بفخار ميسين . ومنذ نهاية الألف الثاني ، تدعمت حركة إستعمار إبناء ميسين لقبرص بوصول الآخمين ، الذين توطنوا في الجزيرة بعد حرب طروادة .

وتروى قصائد هوميروس أن أحد ملوك ، قبرص قام بعمل درع شهير لكي يقدمه هدية لأغا منون ؛ بينما ذكرت الاوديسا أن أحد الملوك الآخرين للجزيرة . وذهب توسير ، البطل الخرافي ، إلى قبرص ، بعد سقوط طروادة ، لكي ينشئ مدينة سالامين ، التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الجزيرة التي كان قد ولد بها . وفي هذه الفترة ، حضر يونانيون آخرون من اسبرطة ، وأثينا ، وأركاديا ، وكثيرون غيرهم ، وعملوا على إنشاء المدن . وسمى أعلى جبل في قبرص بأسم أولمبيا ، وهو على اسم مقر الآلهة في اليونان . كما أصبحت إلهة الخصوبة هلينية بدورها ، وأصبحت تشبه أفروديت ، إلهة الجمال والحب . وتذكر الأوديسا ، وعلم الخرافات اليوناني ، أن معبدها كان قرب نهر بافوس ، في قبرص ؛ وكان من أشهر المعابد الموجودة في العصور القديمة ، وكان الدخان والبخور يخرج دائماً من مذبحه . أما اليونانيون فانهم كانوا يعتبرون أفروديت على أن أصلها من قبرص ، وكانوا يسهونها كبيريس أو بافيا ، بسبب موطنها الأصلي .

وتذكر الكتابات القديمة أن أقدم سكان جزيرة قبرص كانوا من نفس أصل سكان الجزر الأيونية ، وهو نفس الاسم الذي كان الساميون يطلقونه على اليونانيين . وطبقاً للأبحاث الأثرية الأخيرة ، يصعب أن يكون وجود الفيتيقين في قبرص

قبل القرن العاشر (ق.م). وحينما نزل الفينيقيون في الجزيرة ، وجدوا أن اليونانيون كانوا يستعمرونها ، وأنهم كانوا من التجار المهرة ، ويحاولون إنشاء مراكز تحذم مصالحهم .

ولقد بدأت إقامتهم في مدينة سيتيون ، التي كان قد أنشأها اليونانيون ، ثم في مدينة أماتونت ، والتي تقع على البحر ، في جنوب الجزيرة . وبعد أن أنشأ الفينيقيون قواعد لهم بهذه الطريقة في قبرص ، استخدموا نشاطهم كلاحين للوصول إلى جزر بحر إيجه ، وإلى السواحل الإفريقية للبحر المتوسط . ولقد كان عددهم بسيطاً ، فقتنوا بالتجارة ، ولم يحاولوا إستعمار الجزيرة ، ولا القيام بحركة نضال ضد اليونانيين . وانتهى بهم الأمر إلى أن يعيشوا في سلام معهم ، وحتى إلى أن يشتركوا معهم في عبادة أفروديت ، التي إلهتهموها وشبهوها بالهتهم إسترطة ، إلهتهم في بلادهم الأصلية . ومع ذلك ، فإن هذا التعايش ، لم تكن دائماً منسقةً وسليماً . وحين سقطت الجزيرة تحت الحكم الأجنبي ، كان الفينيقيون ينضمون ، في كل مرة ، إلى جانب الآشوريين ، والمصريين ، والفرس ، وحتى يتمكنوا من تدعيم موقفهم على حساب العناصر اليونانية ، وحتى يحصون بهذه الطريقة على فرصة التوغل في داخل الجزيرة ، إلى إيضاليون ويتماسوس مثلاً .

### ٤ - من الاستقلال إلى الحكم الأجنبي :

تمتعت قبرص منذ بداية القرن العاشر (ق.م) حتى تقريباً نهاية القرن الثامن (ق.م) بالاستقلال ، وكذلك بالازدهار . وزاد توسع تجارة أهلها مع بلاد ما وراء البحار إلى درجة أن قام أبناء الجزيرة بإنشاء ميناء ترانسييت ، بوسايدون ، على ساحل الشام ، حتى يتمكنون بالقيام بالتجارة على وجه أفضل . وكثيراً ما قام الفينيقيون بغزو وتخريب بوسايدون ؛ ولكنها عادت إلى أهميتها التجارية قرب عام ٧٤٠ ، بعد الغزو الآشوري للمدن الساحلية السورية والفينيقية . وظل القبارصة بعد ذلك بدون منافسة ، وتمكنوا من أن يزيدوا ، وبحرية ، من نشاطهم كتجار ،



وكلاحين . وينسب مؤرخى العصور القديمة إلى هذه الفترة عصر القوة البحرية لقبرص .

وفى داخل الجزيرة ، سمحت الثروة الناتجة عن التجارة بزيادة رخاء سكان الجزيرة ، كما سمحت لهم بمد نطاق مدنهم ، وبإنشاء مدن أخرى ، كانت أهمها إيساليون ، وسالامين ، وبافوس ، وقيتروى ، وكيريون ، وآيبا ، وتماسوس ، وليدرا ، وأماقونت ، ولابيتوس ، وماريون ، وكرباسيون ، وقيرينيا ، وجولجوى .

وكان هناك فى قبرص ، فى هذه الفترة ، تسعة من المدن الدول ، تحت حكم ملوك وراثيين ، كانوا يقومون فى نفس الوقت بوظيفة كبير الكهنة ، وكبير القضاة ، حسب نظام الملك فى عصر هوميروس . وكانت غالبيتهم من أصل يونانى . ولانعرف الكثير عن حضارة الجزيرة والنظم التى سادت فيها ؛ وأن كانت بعض الخرافات القديمة تذكر أن إحدى الملكات أصدرت ثلاث قوانين : بعدم دفن من يذبح ؛ وبقص شعر المرأة الزانية ؛ وبعقاب من يذبح ثيران الحرت . وهناك بعض الأغاني ، التى تنسب إلى هوميروس ، وتروى قصة حرب طروادة .

وبعد هذه الفترة من الإستقلال ، خضعت جزيرة قبرص ، على التوالى لحكم الآشوريين ، ثم لإحتلال المصريين ، ثم للغزو الفارسى .

ولقد خضعت جزيرة قبرص لحكم الآشوريين فى عهد الملك سرجون ( ٧٢٤ — ٧٠٥ ق.م ) . وهناك أحد النصوص الخاصة بتقديم الولاء من جانب الملوك الخاصين إلى ملك آشور ، ويذكر ، بين أشياء أخرى ، أسماء عشرة ملوك فى مقاطعة إيونيا ، التى توجد فى وسط البحر . وكان الملك سرجون ، بعد أن وطد سلطته فى فينيقيا وفى سوريا ، قد عمل على غزو قبرص ، التى اضطرت إلى الخضوع بسرعة ، أمام قوة الآشوريين الضخمة . وليست هناك تفاصيل كثيرة عن العلاقة بين ملوك

قبرص الخاضعين ، وبين القوة التي كانت تسيطر على الجزيرة. ويبدو أن السيطرة الآشورية ، والتي استمرت حتى غزو المصريين للجزيرة ، لم تكن كبيرة الثقل على أهل قبرص ؛ وأنهم كانوا أحراراً في تسيير أمورهم الداخلية ، فيما عدا دفع جزية سنوية .

ثم جاء بعد ذلك الاحتلال المصري ( ٥٨٥ - ٥٣٨ ق.م. ) . ولقد كان من بين نتائج إنبهار الإمبراطورية الآشورية ، بعد سقوط عاصمتها نينوى ، وقوعها تحت سيطرة الميديين والبابليين ، في عام ٦١٢ ق.م. ضعف سلطة الآشوريين على قبرص . وأصبحت هذه السلطة ، كأكثر فأكثر ، إسمية. ومع ذلك ، فإن قاهري الآشوريين ، ولا حتى سكان قبرص ، أفادوا من هذا الضعف . وكانت مصر هي التي تلت الآشوريين ، وحكمت جزيرة قبرص. وقام ملكها أريس ( ٥٨٩ - ٥٦٩ ) ، بالإنصاف في معركة بحرية كبيرة على الأساطيل الموحدة للفيثيين والقباصية ، وعاد إلى بلاده ، كما ذكر ديودور الصقلي ، ومعه كميات كبيرة من المغنم. وقام خليفته أمازيس ( ٥٦٩ - ٥٢٥ ) بتأكيد هذا الإنصاف ؛ وتم في عهده إكمال عملية غزو الجزيرة .

وتم إخضاع كل مدن قبرص ، وإعترف ملوكها بالخضوع لمصر. ورغم قلة المعلومات ، فإن هيرودوت يذكر غزو الملك أمازيس للجزيرة ، وأنه كان أول ملك مصري لها . ويذكر ديودور الصقلي أن أمازيس زين معابد قبرص بالكثير من القرايين . ومن المؤكد أن الاحتلال المصري لجزيرة قبرص كان ، رغم قصر مدته الزمنية أكثر صرامة وفعالية من حكم الآشوريين .

وجاءت بعد ذلك عملية الغزو الفارسي ( ٤٩٩ ق.م. ) . وكانت زيادة قوة الفرس وتوسعها حتى البحر المتوسط تجبر أهالي قبرص على البقاء على الحياد في تلك المنافسة التي كانت قد نشأت بين الإمبراطوريتين الفارسية والمصرية. وأجبرهم

حذرهم على أن يأخذوا جانب الفرس ، والذين كان نفوذهم قد امتد حتى قيليقيا المجاورة. ولكي يتجنب أبناء الجزيرة إحتلال الفرس بالقوات المسلحة لجزيرتهم، عرضوا معونتهم على قورش ، حتى قبل حربه مع البابليين في عام ٥٣٨ . ولكي يكافأهم قورش على حسن نيتهم ، سمح لهم ، وكما كان قد فعل مع أهالي قيليقيا من قبل ، بحق الاحتفاظ بملوكهم ، دون أن يخضعهم كعندوب سامى من طرفه. وظل ملوك قبرص يضربون العملة بأسمهم ؛ وأصبحت سالامين هي المملكة الرئيسية في الجزيرة ؛ وعملت على زيادة توطيد صلات الجزيرة مع الفرس ، بإرسالها جنوداً إلى قبرص ، لمساعدته ضد ملك مطر، والذين كانوا لا يزالون يدفعون الجزية له حتى ذلك الوقت .

ولم تبق العلاقات حسنة ، بين قبرص الخاضعة ، وبين الملك صاحب السيادة عليها ، لفترة طويلة ، وإنتمت وقت ثورة سكان الجزر الأيونية ضد الفرس ( ٥٠٠ ق.م ) ، وحين إنتشرت أنباء الثورة في قبرص ، لم يتردد سكان الجزيرة في أن يأخذوا جانب سكان الجزر الأيونية ، وحاولوا هم كذلك أن يتحرروا من نير الفرس رغم معارضة الأقلية الفيزيقية. وسرعان ما تم عزل الملك جورجوس من عرش سالامين ، وكان متعاطفاً مع الفرس ، وأخذ مكانه أخوه أونيسيلوس ، الذى كان من أنصار اليونان . وتحت تأثيره ، قام الملوك الآخرون ، وفيما عدا ملكي سبيتيون وأما تونت ، بحمل السلاح ضد الفرس . وبعد تسليم سبيتيون ، قام أونيسيلوس ، ومن أجل سحق مقاومة الفيزيقيين ، بمحاصرة أما تونت ؛ ولكن أساطيل الفرس والفيزيقيين كانت قد وصلت في ذلك الوقت أمام سواحل سالامين. وهكذا اضطر أونيسيلوس إلى رفع الحصار وإلى الاسراع بإرسال المدن إلى مملكته المهددة . ولقد طاب تعزيزات من سكان الجزر الأيونية ؛ ولكن الأسطول الذى أتى له وصل متأخراً ، وبعد أن كانت قوات الفرس قد نزلت على الساحل. ومع

ذلك فإن الأيونيين قد تمكنوا من تحدى قوة خصومهم ، ونجحوا في الانتصار في المعركة البحرية التي نشبت بعد ذلك ، وفي تحطيم الأسطول الفينيقي كله تقريباً. أما على البر، فإن خيانة كيريون قضت على نتائج الانتصار البحري. ووقع أونيسيلوس، الذى تخلى عنه حلفاؤه ، وإنفض من حوله رجاله ، فى الأسر ، وقطعت رأسه . وظل ملك سولى وحده يقاوم ، ولكن بلا جدوى ، ولفترة عمدة أشهر : وفتش أبناء سالامين أبواب مدينتهم لجورجوس ، الذى عاد إلى عرشه .

وهكذا نجد أن قبرص قد عادت ، بعد عام من الاستقلال ، إلى الخضوع من جديد للفرس ، الذين سيجعلونها تدفع ثمناً غالياً لثورتها. فتم تعيين العناصر الموالية للفرس فى أماكن الملوك ؛ وحينما إستعد إكسرسيس فى عام ( ٤٩٠ ق.م. ) للقيام بحملته ضد أبناء أثينا ، قام ملك قبرص الجدد بإرسال خمسين سفينة حربية من نوع التريريم (١)، إليه ، كما أخذ الملك جورجوس دوراً رسمياً فى هذه الحرب ، وإلى جانب الفرس ، وذلك بإشتراكه فى معركة سالامين، التى أثبتت فشل الخطط التى كان إكسرسيس قد وضعها لغزو اليونان .

ومع ذلك ، فإن قبرص لم تكسب شيئاً من هذا الانتصار . ذلك أن الفرس الذين اضطروا إلى التخلي عن خططهم الخاصة بغزو اليونان، سيجعلون الاحتفاظ بقبرص بأى ثمن ؛ وحين حاول الأثينيون فى عام ٤٧٨ ، وفى حكم أرتاكسيريس ، أن يحرروا الجزيرة ، اضطروا سريعاً ، وأمام مقاومة الفرس ، إلى أن يعودوا إلى بلاد اليونان ، دون الحصول على نتيجة . ولكن إذا كانت الحملة لم تنجح ، فقد كان من نتائجها ، على الأقل ، تحسين مصير اليونانيين فى قبرص . ذلك أن الفرس قد خشوا من عودة هؤلاء المحررون، ولذلك فإنهم لم يظهروا الشدة والقسوة ، كما كانوا فى الماضى يظهرون ، مع سكان الجزيرة. وتمت محاولة ثانية لتحرير قبرص

(١) هى سفينة حربية من ذائع المثلث مدفوع من المجاذيف

بعد ذلك وكانت أكثر نجاحا. ذلك أن أسطولاً يتكون من مائتى سفينة حربية، من نوع التريريم، جاء فى عام ٤٤٩ ، من أثينا وحلفائها لمحاصرة سواحل الجزيرة. وكان بقيادة كيمون ، ابن ميلتياد ، المنتصر فى الماراتون . وفى هذه المرة، لم يترك أبناء الجزيرة أنفسهم لمصيرهم . وحين شعروا بأن هناك من يؤيدهم ، نجحوا فى شلح الطفلة الذين كان الفرس قد عينوهم فى ماريون وفى سولوا، وفى أن يعيدوا المملكة اليونانية . ولكن كل من سالامين ، وسيتيون ، وهما قلعتان تابعتان للفرس ، ظلتا تقاومان .

وقامت القوات اليونانية بمحاصرة المدينتين ؛ ولكن كيرون توفى ، متأثراً بجراحه أو من المرض . ولقد أخفروا نبأ وفاته ، حتى تم إنتصار اليونانيين على البحر ، وعلى البر . وتم تحطيم أساطيل الفرس وأساطيل الفيلينيقيين؛ كما تم تحرير سيتيون . ولقد تم دفن كيمون ، فى أول الأمر ، فى سيتيون ، ثم نقلت جثته بعد ذلك إلى أثينا .

ومع ذلك ، فإن قبرص لم ترج ، وللمرة الثانية ، شيئاً من هذا الانتصار . ذلك أن أكسر كسيس عقد فى عام ٤٤٩ الصلح مع اليونان، ومنح المدن اليونانية فى آسيا حريتها ، وسرية تطبيقها لقوانينها القديمة ، وكذب عن إرسال سفن حربية إلى بحر إيجه . ووعده اليونانيون بدورهم بعدم إرسال قوات إلى البلاد الخاضعة للملك الفرس ، وسحب القوات الموجودة فيها . وبسبب الصلح ، تم التخلي عن قبرص، التى وجد أبناؤها أنفسهم ، من جديد ، تحت رحمة سائتهم .

#### ٤ - حكم اليونانيين :-

ولم تتأخر الجزيرة طويلا ، بعد أن تركت بدون تأييد مادى ومعنوى من بلاد اليونان . هن أن يقع تحت العبودية والبؤس وتخريب سالامين من الحروب، ولم تعد سوى شبح لهذه المدينة المزدهرة فيما مضى . وسيعمد اليونانيون عن الفنون

والتجارة ، ولن يكون لهم الحق ، لفترة من الزمن ، في الإقامة إلا في خارج أسوار المدينة . وكان مصير مدن قبرصية أخرى مشابهاً لهذا المصير ، فيما عدا مدينة سيتيون ، التي ستنجذب ، بالأغلبية من الفينيقيين المقيمين فيها ، كل إهتمام الفرس ، وستنبو على حساب غيرها ، لكي تصبح أكثر المراكز التجارية الموجودة في الجزيرة أهمية .

وأصبح على اليونانيين في ذلك الوقت إما أن يرضوا بمصيرهم البائس ، وإما أن تعتمدوا على قوتهم الذاتية من أجل تحرير أنفسهم من نير الفرس وتحكم الفينيقين ، حلفائهم ، الذين أصبحوا متحكمين في الجزيرة ، وهم المخلصون ، والذين يدفعون الجزية للدولة المسيطرة .

وفي ظروف هذا الضعف والفقر ، فضل اليونانيون القبارصة رغم كونهم الأغلبية العظمى لأهالي الجزيرة ، أن تنتظروا فرصة أفضل ، بدلا من أن يقوموا بمحاولة جديدة ، قد تعتبر مغامرة ، وليست لها نتائج مضمونة .

ومع ذلك ، فإن الانتظار كان طويلا ، إذ أن الحكام الفينيقيين كانوا يمارسون السلطة بطريقة متشددة . ولم تسنح الفرصة لإقرب نهاية القرن الخامس (ق.م) ، وحين قام أبديمون ، وهو أحد الفينيقيين من صور ، بالاستيلاء على عرش سالامين . فانتهر اليونانيون فرصة الخلافات الموجودة عند سادتهم . وأخذوا في الاستعداد . وتمكن إيفاجوراس ، والذي كان من سلالة من أنشأوا مدينة سالامين ، من أن يجمع حوله مجموعة من المأمرين ، الذين قرروا أن يمددوه إلى عرش أجداده .

وكان إيفاجوراس محبوا من أهالي المدينة ، الأمر الذي جعل أبديمون يشك فيه . فاضطر ، خوفا من التعذيب ، إلى أن ياتجئ مع أعوانه إلى قيليقيا ، حتى يتمكن من إعداد مخططه بشكل أفضل . وسرعان ما تمكن من العودة إلى سالامين ،

ونجح ، بدون صعوبة كبيرة ، في أن يستولى على القصر الملكي ، وفي أن يعلن نفسه ملكا بدلا من أبديمون المعزول .

ولكي يصل إلى أهدافه ، تحاشى إيفاجوراس في بداية الأمر أن يعلن عداؤه للفرس ، فنعوا من جانبهم بالجزية السنوية التي كان يدفعها لهم ، وإمتنعوا عن التدخل في الخصومات الداخلية في الجزيرة . ولكن طموح إيفاجوراس لم يقتصر على عرش سالامين وحدها ، وكانت خطته تهدف فرض سيطرته على كل الجزيرة ، وطرده الفينيقيين منها ، وإعادتها إلى الاتجاه الهليني . وكان إيفاجوراس مرتبجا بصدقة مع كونون ، الجنرال الآثيني الذي كان لاجئا في سالامين ، فأخذ جانب الآثينيين في صراعهم ضد إسبرطة . ولما رأى إيفاجوراس أن إسبرطة أصبحت تهدد قوته . لم يتردد في أن يطلب العون من الفرس ، وإغرائهم على مهاجمة أسطول إسبرطة . وتمكن كونون ، بالإسطول الذي أعطاه له ، من أن ينتصر عند كنيد في عام ٣٩٤ . ولم ينس أبناء أثينا هذه المعونة التي قدمها لهم إيفاجوراس وكنيد ، فصنعوا لها التماثيل ، ومنحوها لقب « مواطن شرف » . واستمر إيفاجوراس في تنفيذ خطته ، وأخذ في غزو الممالك الأخرى الموجودة في الجزيرة . وتمكن من فتح بعضها ، ومن شراء غيرها بالمال ، وفيما عدا مدن سينيون ، وأماتونت ، وسواوى ، التي طلب ملوكها الفينيقيون إلى الفرس أن ينجدوهم .

وأصبحت هيبة إيفاجوراس مهددة ، ولكنه كان دبلوماسيا ، في نفس الوقت الذى اشتهر فيه بالشجاعة في الحرب . وبدلا من أن يخاطر بمواجهة مع قوات إمبراطورية الفرس ، التي تتفوق عليه عددا ، فضل التخلي مؤقتا عن خطته ، حتى يتمكن من الاستعداد بدرجة أفضل . وعلى أى حال ، فإن الفرس أصبحوا لا يشقون فيه ،

وحين تأكد أرتاكسيريس من عدم ولائه ، أصدر الأمر إلى تمثليه في الجزيرة لكي يستعدوا لمهاجمة ملك سالامين ، قبل أن تصبح قوته خطيرة . وهكذا تنشط حالة الحرب ، التي كانت موجوده بالفعل ، بين فارس وبين قبرص ، في عام ٣٩١ . وتولى ابن أخ ملك الفرس قياده الجيش البرى ، بينما وصل عدد السفن الحربية إلى ثلاثمائة سفينة . ولمكن إيفاجوراس لم يفقد شجاعته . وقبل أن يبدأ العمليات العسكرية ، طلب العون العسكرى من أثينا ، وكذلك من هاجورى ، ملك مصر ، الذى كان عدواً معلناً للفرس ؛ وبعد أن حصل على معونة من الرجال والمعدات من الجانبين ، بدأ فى تنفيذ خطته . وبدلاً من أن يقوم بهجوم مباشر ، أخذ فى شن الهجمات الجزئية ، وفى معارك صغيرة ، على الوحدات المنفرقة ؛ كما عمل على إستخدام السفن لمنع وصول الامدادات إلى الفرس وأعوانهم . وبعد أن تأكد من فاعلية الحصار ، أخذ فى مهاجمة المدن الساحلية الموجودة فى سوريا وفى فينيقيا . وفى الاستيلاء عليها ، الواحدة بعد الأخرى ، ودون مقاومة كبيرة . وفى قبرص ، إضطر المدافعون الفينيقيون الموجودين فى سيطيون وفى أمانونت ، إلى التسليم ، نتيجة لحاجتهم إلى المدد وإلى التوطين . ولقد إنتصر إيفاجوراس ؛ ولسكن السلم الذى عقد فى عام ٣٨٦ بين مدن اليونان وبين الفرس حرمه من ثمار إنتصاره . وكان أرتاكسيريس أكثر واقعية من أسلافه ، فتنخل عن كل حقوقه وإدعائه فى المدن اليونانية ، وإكتفى بممتلكاته الآسيوية ، وكذلك بحزيمة قبرص وهكذا وجدت قبرص نفسها ، وللرة الثانية ، وقد تركت لمصيرها ، ولا يمكنها الإعتماد إلا على نفسها . ولقد إستمر إيفاجوراس فى الكفاح بمفرده . ولكنه رغم إنتصاراته الأساسية ، فقد الجولة بعد هزيمة أسطوله أمام أسيتيون . وإلتجأ إلى سالامين ، التي حاصرها الفرس بعد ذلك ؛ فإضطر إلى التفاوض مع الأعداء . وكانت الشروط التي يرغبون فى فرضها عليه مذلة للغاية ، حتى أنه قرر ضرورة الاستمرار فى الحرب .



ولقد خدمه الحظ بقيام منافسة بين القائدين الفارسيين ، وبجح في آخر الأمر في أن يحصل على شروط أفضل . وأصبح في وسعه بهذه الطريقة ، أن يحتفظ بمملكته ، وإن كان عليه أن يحكي بقية المدن القبرصية . ولن يدفع الجزية .

ومنذ ذلك الوقت ، وحتى وفاته بعد عشر سنوات ، حكم إيفاجوراس في سلم . ولقد وجه نشاطه إلى نشر الحضارة اليونانية ، وتجميل سالامين ، وتمتية التجارة .

ولقد قتله أحد الحصيان في عام ٣٧٦ ، وحرمت قبرص بذلك من شخصية كبيرة ، في عصرهما . ولقد وصفوه بالعدل ، وبأنه أعاد إلى سالامين قوة عزها . وشجع الآداب والموسيقى والفنون واستضاف رجالها في قصره : وكان أولئك الذين يضطرون إلى ترك اليونان لأسباب سياسية ، يجدون لديه الملاجئ والحماية والعون .

وتولى بعد إيفاجوراس ابنه الثاني نيكوكليس ، الذي كان قد تعلم في أثينا . ولم يكن نيكوكليس محاربا مثل أبيه ، ولكنه ورث عنه صفات أخرى ، فسار على خطاه في نشر اللون الهليني الحضاري في الجزيرة ، وشجع الآداب والفنانيين . وكان عصره مثالا للعدالة ؛ وللاعتدال . ولقد اهتم باصلاح المالية ، التي كانت قد قاست من الحروب الطويلة ، ولسنوات ؛ كما اهتم بإنشاء القصور ، وتجميل المدينة ، ولسكنه لم يحكم لفترة طويلة ، فلقد إغتاله أحد أعوان الفرس ، الذي عارض أمر إنضمامه إلى الحكام الفينيقين في ثورتهم ضد الفرس وتلاه على العرش أخوه الأصغر إيفاجوراس الثاني . ولكنه شعر بأنه غير قادر على معارضة الرأي العام ، الذي كان يطالب بالدخول إلى الحرب ضد الفرس ، فلم يتردد في ترك سالامين ، والإلتجاء عند الملك أرتاكسرسيس الثالث .

ولقد قام بفتياجوراس ، خليفته ، وأبن أخيه ، بتولى الحكم ؛ وترك نفسه مع

الشعور الذى ساد عند الأهلالي ، وإنضم إلى بقية ملوك مدن قبرص فى ثورتهم ضد  
الفرس عام ٣٥٠. ولكن هزيمة جيوش قبرص أعادت الجزيرة إلى حكم الفرس .  
وقام أرتاكسرسيس بمحاصرة سالامين ، وأجبر بنيتاجوراس على أن يطلب  
الصلح ، وعلى أن يظل ، كما كان فيما مضى ، ملكا للفرس . أما إيفاجوراس  
الثانى ، والذى كان أمر الصلح يمنعه من العودة إلى العرش ، فإنه قد أصبح حاكما  
لمدينة صيدا ، فى فينيقيا . وبعد أن طرد منها ، نتيجة لسوء إدارته ، لم يجد مكانا  
يذهب إليه فعاد إلى قبرص ، حيث قتل .

وبعد هذا الدرس القاسى الذى أخذه القبارصة من ثورتهم ، لم يجرؤوا بعد  
ذلك على أن يقوموا ، من أنفسهم ، بحمل السلاح ضد الفرس . ولن يتم «تحرير»  
قبرص إلا على أيدى الاسكندر الأكبر . ومع ذلك فإنه من الخطأ أن نعطي ،  
لكلمة «التحرير» معنى الإستقلال ، إذ أن الأمر لم يكن أكثر من تغيير السيادة ،  
ولاشك فى أن السيادة الجديدة كانت أكثر تحررا ، ولكنها كانت دائما سيادة .  
وبعد إنتصار الاسكندر فى موقعة إيسوس ، فى قيليقيا ، فى عام ٣٣٣ ، على جيش  
داريوس ، ذهب بنيتاجوراس ملك سالامين ، مع بقية ملوك مدن قبرص لمقابلة  
القائد اليونانى المنتصر فى صيدا ، ولسكى يعرضوا عليه معونتهم ، ويضعوا  
أساطيلهم تحت تصرفه . وقاموا بالحرب مع قواته أثناء حصار صور ، وظلوا  
خالصين له حتى النهاية . ولقد كافأهم الاسكندر على ذلك ، فترك لهم إستقلالهم  
الذاتى ، ومنحهم الهدايا . ومنح بنيتاجوراس ، علاوة على ذلك ، حكم مدينة  
تماسوس ، التى كانت تحت سيطرة الفينيقيين ، وكانت لها مناجم نحاس لها قيمتها .  
ولكنه توفى فى عام ٣٢٣ ، وترك قبرص تحت رحمة خلفائه ، وخلفاتهم .

#### ٥ - حكم البطالمة ، ثم الرومان :-

ولم يحدث هباك تغيير كبير فى جزيرة قبرص فى السنوات التالية لحياة

الامسكندر الأكبر مباشرة . فلقد إنشغل خلفاء الاسكندر في عملية تقسيم الاراضى الآسيوية والإفريقية التى كانت موجودة فى امبراطوريته ، وأهملوا أمر قبرص . ووجد ملك الجزيرة أن من الحكمة أن يمتنعوا ، من جانبهم ، عن الإشتراك فى هذه الخلافات ، وإكتفوا بممارسة سلطاتهم المحلية . ولكن قبرص أصبحت ، بعد إنتهاء عملية التقسيم ، من نصيب بطليموس . وبغد أن دعم سيطرته فى مصر ، حافظ على العلاقات الحسنة مع الملوك القبارصة الرئيسيين . وبخاصة ملوك سالامين ، وسولوى ، وبافوس ؛ وعقد معهم إتفاقيات تحالف ولكنه فكر ، حين إستعد انضمامه أنتيجونوس لغزو آسيا الصغرى ، فى جزيرة قبرص ، نظراً لموقعها الاستراتيجى . وحاول أنتيجونوس بدوره أن يتحالف مع ملوك قبرص الآخرين ، الموجودين فى سىتيون ، وأماتونت ، وماريون ، ولايتوس ، وكيرينيا . وحينما بدأ الطرفان فى الاستعداد للحرب ، أصبحت قبرص منقسمة على نفسها إلى حزبين متعارضين . وسرعان ما أصبحت ميدان معركة بين بطليموس وأنتيجونوس . وكانت الحرب طويلة وغير حاسمة ، وإستمرت لعدة سنوات ، دون الوصول إلى نصر نهائى وفى المراحل الأولى ، تمكن بطليموس من الانتصار على خصمه ؛ ولكن سرعان ما تمكن أنتيجونوس من الثأر . وعجز ملوك قبرص عن معرفة الجانب الذى كان يجب عليهم أن ينضموا إليه ، وحاولوا أن ينضموا لمن إعتقدوا أنه سوف ينتصر ، ولكن بدون نتيجة . ولقد دفعوا ثمن أخطائهم غالبا ؛ وقام بطليموس بتخريب مدينة ماريون ، فى الوقت الذى تمت فيه معاقبة ملوك سىتيون ولايتوس على تحالفهم مع أنتيجونوس . وحتى الملك نيكو كريون ، الحليف الأول لبطليموس ، لم ينج من العقاب ؛ فلقد شك بطليموس فى أنه كانت له علاقات سرية من أنتيجونوس ، فأرسل إليه إثنين من رجاله المخلصين ، لقتله ؛ وفضل الملك القبرصى أن ينتحر فى قصره على أن يقتل ؛ وحذت حذوه زوجته ، وإخوته وزوجاتهم وكل أفراد أسرته ، التى لم يبق منها أحد .

وفي ذلك الوقت، كانت الحرب بين بطليموس وAntiochus مستمرة، ولكن الوصول إلى معركة حاسمة، وحتى دخل إلى مسرح الأحداث، ديميتريوس، ابن Antiochus ومنذ وصوله إلى جزيرة قبرص، اضطرت قوات بطليموس إلى أن تأخذ مواقع الدفاع، لكي ينهي بها الأمر إلى التحصن داخل مدينة سالامين، التي سيقوم ديميتريوس بمحاصرتها. ولم تتمكن الامدادات، ولا حتى وصول بطليموس مع أسطوله، من إنقاذ هذه المدينة. وإنصر ديميتريوس في المعركة البحرية، واضطر بطليموس إلى العودة إلى مصر. وخضعت سالامين لسلطة ديميتريوس، الذي أصبح سيد الجزيرة كلها، ولفترة عشر سنوات.

واستمر النزاع والتنافس بين الخصمين. وكان بطليموس يتحين دائما الفرصة لاستعادة قبرص. وستحت هذه الفرصة أخيراً حين هزم ديميتريوس في فيليبسوس، عام ٢٠١. وأفاد بطليموس من ضعف قوة خصمه، وبدأ مرة جديدة في العمل على استعادة الجزيرة، التي سيسودها، بعد أن يستولى على سالامين في عام ٢٩٥. ومنذ ذلك الوقت، ولمدة قرنين ونصف قرن تقريباً، ظلت قبرص من ممتلكات البطالمة، وحتى غزو الرومان لها في عام ٥٨.

ومع غزو بطليموس للجزيرة، إلتفتى الملوك الموجودين فيها، وخضعت الجزيرة لسلطة حاكم عسكري، عينه بطليموس. أما الشئون الداخلية، والتي لا تمس الدفاع، فإنها تركت لمجالس محلية. وثم لإنشاء مجلس عام، يضم ممثلي الدوائر الرئيسية، لمراقبة الإدارة والشئون المحلية. وإضطبغت الحياة الثقافية، والنظم، والعادات، بطابع التأثير البطلمي. كما أن تاليه ملوك أسرة البطالمة في مصر، مثل غيرها من الأسر التي سبقتها في حكم مصر، إلتشعت في قبرص. وتم بناء معابد بأسمائهم؛ كما بنيت مدينة أرسينوى تخليداً لذكرى بطليموس فيلادلف. وأصبح لاوزيريس معبداً في لايتوس، وكذلك الحال بالنسبة لسيوايس، التي

دخلت عبادته إلى الجزيرة في عهد البطالمة كذلك . وسرعان ما أعطى المسلم الذي خيم على الجزيرة ثماره . وإختفت المنافسة الطويلة التي كانت موجودة بين اليونانيين القبارصة وبين الفينيقيين . وبدون إنفاقات عسكرية كبيرة ، عرفت الجزيرة عصر ازدهار ، حتى وإن كان استغلال المناجم قد ظل محتجزاً للبطالمة .

وكان التأثير أكثر وضوحاً في المجال الثقافي. وزادت سمعه وشهرة شعراء وأدباء الجزيرة ، وانتشرت في كل العالم الهليني الكبير .

وكان من نتيجة ضعف إمبراطورية البطالمة ، الذي بدأ قرب نهاية القرن الثاني زيادة سلطة الحاكم العام لقبرص ، الذي أصبح عليه أن يحمي الجزيرة ضد الهجمات التي كانت توجه إليها من قيليقيا ، وكذلك من جانب القرصنة . وفي أثناء فترة حكم كليوباترة ، أصبحت إدارة الجزيرة ، ونتيجة لأهميتها ، تتمتع باستقلال ذاتي ، ووصل الحاكم العام للجزيرة على لقب ملك ذا سيادة ؛ رغم أن سقوته كانت محدودة ، ورغم أنه كان دائماً خاضعاً لسيادة مصر .

ثم بدأت عملية محاصرة الرومان لإمبراطورية البطالمة ، منذ عام ٧٤ ، مع ضم برقة ، واستمرت مع عملية الاستيلاء على قيليقيا وسوريا ، ولم تتأخر كثيراً عن الوصول إلى قبرص . وإستناداً إلى أن ملك قبرص كان قد رفض دفع الفدية التي طالب بها القراصنة من أجل فكر أسره ، أصدر كلوديوس بولشر ، ممثل الشعب في عام ٥٨ ، قانوناً بتحويل الجزيرة إلى إقليم روماني ، وصادر في نفس الوقت ثروات الملك وخزائنه . ونجح ماركوس كاتون ، الذي كلف بتنفيذ هذه المهمة ، وبعد أن وصل إلى قبرص ، في إقناع الملك بالأيقاء . ووعده بأن يبقى على سيانته ، وثروانه ، ويتركه يمارس وظيفته ككاهن أعظم في معبد أفروديت . ولكن كاتون لم يظفر بأي اتجاه بعد ذلك ، وبعد أن إستولى على السلطة في الجزيرة ،

لتنفيذ ما كان قد قطعه على نفسه من وعود . فاستولى على كل ثروات ملك قبرص  
والتي كانت موجودة وعزبة على السفن ، وقام ببيعها بالازاد ، وأرسل إلى روما  
خمسة آلاف مثقال ( تالنت ) . وأظهر آبيوس كلوديوس بولشر ، الذي خلف  
كانون ، كقنصل أول في الجزيرة ، شراة أكثر ، وأخذ في مصادر كل الثروات  
الموجودة في الجزيرة ، سواء كانت عامة أو خاصة ، حتى أفقر البلاد ، ولذلك  
فانه حين تم تعيين شيشيرون ، الخطيب الروماني الشهير ، قنصلا أول على الجزيرة  
في عام ٥١ ، وجد الجزيرة في حالة يرثى لها . وكان على سكان الجزيرة البؤس  
أن يدفعوا للطاغية الذي يحكمهم ، وكان عليهم علاوة على ذلك أن يعملوا له تمثالا ،  
وأن يرسلوا البعثات إلى روما لكي تمجده في روما ، على أنه صاحب فضل ، ومصلح  
لأحوال الجزيرة .

وعليها أن نثق فيما ذكره شيشيرون ، إذ أنه هاجم ، ومنذ وصوله إلى بافوس ،  
التي أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الجزيرة ، إجراءات الحكومة السابقة ، وعلنا ،  
وعمل على خفض نسبة الضرائب من ٤٨ ٪ إلى ١٢ ٪ .

وفي أثناء التنافس بين يوليوس قيصر وبين بومبي ، ظلت قبرص تابعة لافليم  
فيليقيا ، وأعيدت إلى سلطة البطالمة لمدة قصيرة . ولكن الجزيرة عادت وأصبحت  
إقلييا إمبراطوريا ، بعد هزيمة أنطونيوس في أكتيوم ( عام ٣١ ) وبعد موت  
كليوباترا ، ثم أصبحت بعد عشر سنوات من ذلك إقلييا تابعة لمجلس الشيوخ . ومنذ  
ذلك الوقت ، فقد التاريخ السياسي لقبرص الكثير من أهميته . وأصبح مصير  
الجزيرة مرتبطا بروما الإمبراطورية ؛ ولكن رغم السلام الروماني الذي ساد  
الخارج قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن ، اضطربت الأحوال الداخلية ، في عهد  
تراجان ، وإلى درجة كبيرة ، نتيجة لحركات التحرر التي قام بها اليهود .

ولقد شارك يهود سالامين في خطة التحرر العام الذي قام به يهود فلسطين ،

ومصر ، وبرقة ضد السيطرة الرومانية ؛ وحملوا هم أيضا السلاح ضد ساداتهم .  
ووصل هياج اليهود وشراسمتهم إلى حد أنهم لم يتركوا المدنيين الرومان ، ولا حتى  
اليونانيين . وبأوامر من آرتيموان ، قائدهم ، قاموا بمذابح فظيعة ، حتى زاد  
عدد القتلى عن ٢٤.٠٠٠ نسمة . وكذلك كانت عملية القضاء على الثورة قاسية ،  
وعنيفة . وقام الرومان بأعدام الثائرين في الميادين العامة ، إلا من تمكن من  
الفرار من بينهم . ولكي يطمئنوا الأهالي المرتعبين ، طلبوا إلى الامبراطور تراجان  
أن يصدر قراراً بمنع اليهود تداماً من الافاقة في قبرص .

ولم تكن جزيرة قبرص ، علاوة على موقعها الاستراتيجي ؛ تمثل أى نفع  
للرومان سوى كونها مكاناً حصيناً ضرورى من أجل محافظتهم على سلطتهم في بلاد  
الشرق الأدنى . ومع ذلك ، فانهم وجهوا اهتماماً خاصاً للشئون المحلية ؛ وبعد  
إنشائهم لشبكة من الطرق كانت لازمة لأغراضهم العسكرية ، بدأوا في القيام  
بأشغال أخرى لها طابع النفع العام، وانشفع الثقافى . مثل مجارى المياه ، والمدرجات  
العامة ( الفورم ) ، والجنائز يوم ، والمكتبات العامة ، والمسارح ، والحمامات العامة ؛  
وكانوا يهتمون ببنوع خاص بمدن بافوس ، العاصمة ، وكذلك سالامين ؛ فعملوا  
على تجميلهما . وحين خرب أحد الزلازل معبد أفروديت ، أمر الامبراطور  
أغسطس باعادة بنائه ، على نفقته . وسمح هذا الكرم لمدينة بافوس أن تستعيد مجدها ،  
وتصبح كما كانت فيما مضى ، مركز عبادة إلهة الجمال ، وحيث أصبح الحجاج ، من كل  
أنحاء قبرص ، وكذلك من بلاد أخرى عديدة ، من بلدان العالم القديم ، يحضرون كل  
عام ، لعبادة أفروديت . وأصبح نظام وخنونيا ، الموجود في الدوائر اليونانية ، بعد  
تعديله لمواجهة المتطلبات الجديدة ، هو الذى يطبق في الجزيرة ، ودون تدخل من  
جاناب الرومان ؛ بينما عهدوا بإدارة الأمور في المدن الكبرى إلى مجالس يتنخبها  
السكان ؛ الأمر الذى سمح لأبناء الجزيرة بأن يهتموا ، وبحرية ، بأمر تقدم مدنهم  
وتنمية تجارتهم .

## التفصيل الثاني

### قبرص تحت حكم البيزنطيين

#### ١ - تأسيس الكنيسة :-

كان القديس برنابا ، الذى إغتنى المسيحية من صغره ، من مواليد جزيرة قبرص ، وصاحب القديس بولس أثناء الجزء الأول من حياته . وفى عام ٤٥ نزل الإثنان ، ومعهما القديس مرقس ، ابن عم برنابا ، فى سالامين ، وحيث أخذوا فى الدعوة للدين الجديد بين أعضاء الطائفة اليهودية فى هذه المدينة . ولكن اليهود أخذوا منهم موقفاً معادياً ، فاضطروا سريعاً إلى الاتجاه نحو العناصر اليونانية والرومانية ، والتى رحبت بهم بدرجة أكبر .

وسافروا على الأقدام بين المدن والقرى الموجودة فى الجزيرة ، وتمكنوا من إعداد النواة الأولى للمسيحيين فى الجزيرة ، وحتى من ترسيم بعض الأساقفة . وحصلوا على نشاطهم الأكبر فى بافوس العاصمة ، وحيث قابلهم سيرجيوس باولوس . ولقد قابلهم القنصل الأول الرومانى فى قصر ، وقام رغم إعتراض المحيطين به ، باعتناق الدين المسيحى . وهكذا كانت قبرص أول بلد يعتنق حاكمه المسيحية . وبعد رحيلهم ، إستمر عدد المسيحيين فى الجزيرة فى التزايد ، رغم ردود فعل اليهود ؛ وحين عاد برنابا مع القديس مرقس إلى قبرص بعد عشر سنوات ، كانت الكنائس موجودة فى أماكن عديدة . ولكن برنابا إستشهد على أيدي اليهود ، ودفن ابن عمه القديس مرقس جثمانه سرّاً قرب سالامين . وليست هناك معلومات تاريخية ثابتة عن إنتشار المسيحية فى جزيرة قبرص خلال الثلاثة قرون الأولى لهذا العهد ؛ ولكن من المؤكد أن



المسيحيين هناك تعرضوا للعذاب والاستشهاد مثل غيرهم من أنصار الدين الجديد في بقية أنحاء الإمبراطورية الرومانية .

ويذكر بعض المؤرخين أن عدد أسقفيات قبرص بلغ عند بداية القرن الرابع الميلادي عشر أسقفيات ، أو أكثر . وكان من بينها المقر المركزي في سالامين ، ثم أسقفيات سيبتيون ، وتويميتوت ، وبافوس ، وأماتونت ، وتماسوس . ولكنهم ذكروا أن الجزيرة لم تكن في حالة ازدهار في ذلك الوقت ، وأنها قاست من مصائب كثيرة ، ومن الأوبئة واستمرار الجفاف ، الأمر الذي أدى إلى هلاك المحاصيل . وفقد سكان الجزيرة آمالهم ، ويأس الكثير من بينهم من هذا الحال ، فهاجروا في جماعات كبيرة إلى سوريا وإلى قيليقيا . وكان هذا هو حال الجزيرة وقت أن زارتها القديسة هيلانة ، والددة الإمبراطورة قسطنطين الأول . ولقد نزلت قرب مدينة سيبتيون ، في عام ٣٢٧ ، في رحلتها للعودة إلى القسطنطينية ، وبعد اكتشافها للصليب المقدس ، في مدينة القدس ، ولقد وجدت القديسة هيلانة البلاد في حالة من الضنك ، وقد قل عدد سكانها ، وعصفت بها الجماعات والأوبئة . ولقد تأثرت بذلك وقررت مساعدة أبناء الجزيرة ، المسيحيين مثلها . وتروي القصص أن الحالة تغيرت بمجرد وصولها ، وجاءت أيام ممطرة ، هطلت فيها السماء بعد فترة الجفاف الطويلة ، ونسبوا ذلك إلى « معجزة » الصليب المقدس ، والذي منحت القديسة هيلانة جزء منه للدير الذي أمرت ببنائه على قمة أحد الجبال . وعين إنتشر خبر وصول القديسة هيلانة ، وخبر التغير الذي حدث ، عاد كثير من المهاجرين القبارصة ، من البلاد القريبة التي كانوا قد هاجروا إليها ، إلى بلادهم الأصلية . وكانت كنيسة قبرص ، منذ إنشائها ، تمثل فرعاً له إستقلاله الذاتي ، داخل الكنيسة المسيحية . ومع هذا الاستقلال فيما يتعلق بإدارة شئونها الداخلية ، تمكنت كنيسة الجزيرة من أن تحافظ على إستقلالها الذاتي حتى بداية القرن الخامس

دون أى تدخل فى شئونها من جانب السلطات المدنية ، أو من جانب الكنائس الأخرى . وأصبحت سالامين . التى تحول إسمها إلى قسطنطينية تكريماً للإمبراطور قسطنطين ، هى عاصمة الجزيرة ، بدلاً من بافوس .

ولكن بعض الكنائس المجاورة لم تحترم أمر إستقلال كنيسة قبرص بشكل مستمر. ومنذ بداية القرن الخامس ، حاول بطاركة أنطاكية أن يتدخلوا فى الشئون الكنسية لقبرص . ولقد بنوا إدعائهم على أساس حقهم فى ترسيم الأساقفة من مذهبهم . ونتيجة لإدخال الجزيرة فى إقليم أنطاكية المذنب ، طالبوا بممارسة هذا الحق على قبرص كذلك . وأمام مقاومة أساقفة قبرص ، الشديدة ، عجز بطاركة أنطاكية عن القيام بأى شئ. ولكن حينما توفى تيودور رئيس أساقفة قسطنطينية ، فى عام ٤٣١ ، قامت كنيسة أنطاكية بتجديد محاولاتها لإخضاع كنيسة قبرص ؛ وأمام هذه المحاولة ، تمسك أبناء الجزيرة بحقوقهم ، ورفضوا الطاعة ؛ وقاموا بانتخاب ريجينوس كخليفة لتيودوروس ، وأرسلوه كممثل لهم فى مجلس المجامع الكنسية الذى انعقد فى إيفيس عام ٤٣١ ؛ لسكى يدافع عن وجهة نظرهم . ولقد أعطت إستجابات كنيسة قبرص على مخططات بطاركة نتائجها ، ووافق مجلس المجامع ، فى قراره الثامن ، على إعلان أن كنيسة قبرص مستقلة فى إدارة شئونها . وبعد الاعلان الرسمى لا استقلال كنيسة قبرص ، أخذت هذه الكنيسة فى تنظيم أمورها ؛ وتمكن أساقفة قبرص من أن يحصلوا على حقهم ، ومن أن يمارسوا وظائفهم دون أى تدخل ؛ ولمدة تقرب من خمسين عاماً . ولكن كنيسة أنطاكية كانت تتربق الفرص ، ولم يكن بطاركها قد تخلوا ، رغم فشلهم ، عن فكرة إخضاع كنيسة قبرص ، وجعلها تابعة لهم . وبعد إنتخاب بطرس بطريركاً على أنطاكية ، فى عهد الامبراطور زينون ( ٤٧٤ - ٤٩١ ) ، إعتقد أن الفرصة كانت مواتية لسكى يجدد المحاولات . وكان على صداقة مع الإمبراطور ، واستند فى مطالبه

الوصاية على كنيسة قبرص ، إلى العامل الثانى : فالمسيحية لم تدخل إلى قبرص مباشرة من القدس ، ولكن عن طريق أنطاكية ، والتي يجب اعتبارها الأصل بالنسبة للكنائس الموجودة في الجزيرة . ولم يكن في وسع قبرص أن تعتمد على الامبراطور ، الذي كان الحكم في هذا الخلاف ؛ ورأى أساقفتها أن الخطر يحيق من جديد بكل حقوقهم . ولكن سرعان ما حدثت مفاجأة : فلقد اكتشفوا قرب مالامين القبر العرى للقدس برنابا ، ونسخة إنجيل القديس متى . وكان ذلك كافياً بالنسبة للإمبراطور زينون ، الذي قبل هذه الهدية الثمينة ، وأعاد تأكيد استقلال الكنيسة القبرصية ، ومنح أنتيميوس ، كبير أساقفة قبرص ، ومن بعده خلفائه بعض المنح الامبراطورية ، متمثلة في حق حمل الصولجان ، وارتداء المعطف ، والذي كان من حق الامبراطور وحده أن يرتديه ، وكذلك الحق في أن يوقع ، مثل الامبراطور ، بالحبر الأحمر .

وبعد هذه القرارات ، ظلت كنيسة قبرص ، ومنذ ذلك الوقت ، محمية من كل مطالبات أخرى ، سواء من جانب أنطاكية ، أو غيرها من الكنائس المسيحية .

## ٢ - قبرص أحد أقاليم الامبراطورية الشرقية : -

منذ نقل مقر الامبراطورية الرومانية إلى القسطنطينية ، في عام ٣٣٠ ، أصبحت قبرص جزءاً من ذلك الإقليم الشرقى . والذي كان يشتمل على ترافيا ، والممتلكات الآسيوية ، ومصر . وفي عام ٣٩٥ ، ضمت بشكل نهائى إلى الإمبراطورية الشرقية ، وقت التقسيم الإدارى للدولة بين ابنى الإمبراطور تيودوس الأول . وأصبحت الجزيرة منذ ذلك الوقت تابعة لحاكم أنطاكية ، وتحت قيادة حاكم عسكرى ، يخضع لسلطة كونت الشرق .

ولقد قسمت قبرص إلى أربعة عشر منطقة إدارية ، تشتمل مع عدد الأبرشيات ،

بدلاً من أربعة كانت موجودة في العهد الماضي . ومع ذلك فإنها ، نتيجة لفقدان أهميتها الاستراتيجية ، قد أصبحت مجرد إقليم تهمله الإدارة المركزية . ولقد قل نشاطها التجاري ، كما قلت صناعاتها التعدينية . ولقد عاشت في سلم ، أوفى نسيان ؛ ما يقرب من القرنين ؛ ولم تخرج من هذه العزلة إلا في عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥) ؛ ويرجع الفضل في ذلك للإمبراطورة تيودورا ، والتي كانت من مواليد هذه الجزيرة . وكانت للإمبراطورة شخصيتها وكانت ابنة لأحد مروضي الوحوش ؛ وكانت تعطف على الفقراء ؛ كما كان لها تأثير على الإمبراطور ، وكانت وراء إلغاء بيع مناصب الحكام لأقاليم الدولة ، وأصبح التعيين في هذه المناصب مرتبط بتقاضى مرتب من الدولة .

ولقد أفادت قبرص ، والتي كان أهلها قد بدأوا بعد فترات طويلة من الركود التجاري في الانصراف كلية إلى الزراعة ، من هذا الإصلاح إلى درجة بعيدة . ذلك أن الفلاحين رفع عن كاهلهم ما كانوا يرزحونه تحته من أعباء ثقيلة ، من ضرائب كانت لا تسمح لهم بحنى أى ثمار من فلاحتهم ؛ فعملوا بنجاح في زراعة الكروم وأشجار الفاكهة ، إلى جانب زراعتهم للحبوب ، وصناعة الحرير ، التي أدخلت إلى الجزيرة ، وإلى بقية أقاليم الإمبراطورية في عصر جستنيان . وفي نفس هذا العصر ، عادت الحرف ، بعد إهمال طويل ، إلى نشاطها السابق . وهكذا أصبح الفلاحون والحرفيون أكثر أهمية من العمال والتجار ، والذين كانوا ، ولمدة قرون طويلة ، يمثلان القاعدتين الأساسيتين للمكون الاجتماعي للجزيرة . وأصبح لإقتصاد الجزيرة يعتمد منذ ذلك الوقت على الزراعة ، وإحتفظ بهذا الشكل لفترة طويلة . وجاءت عوامل خارجية للإسهام في هذا النمو الإقتصادي للجزيرة ، ذلك أنه أثناء حروب بينونة ضد الفرس ، كانت سوريا دائماً مهددة بقوات الفرس ؛ وكان قرب جزيرة قبرص يجعل منها نقطة مرافئة ، وقاعدة للموين العسكري .

ولقد كان الانتصار الكبير للإمبراطور هرقل في نينوى عام ٦٢٦ ، على جيوش كسرى ، ورغم أنه كان هزيمة ضخمة للفرس ، لا يكفي لحماية الممتلكات الآسيوية للإمبراطورية . وسرعان ما ظهر المسلمون على الأفق وحرمت قوتهم المتزايدة البيزنطيين من جنى ثمار انتصارهم على الفرس . فقام العرب بغزو فلسطين وسوريا ، واقتطعوا من جسم الدولة البيزنطية .

ورغم أن الموقع الاستراتيجي كان يحمي جزيرة قبرص ، إلا أن ذلك لم يستمر لوقت طويل . وسرعان ما بدأ البحارة المسلمون هجماتهم على المدن البحرية في الجزيرة ، وكانت سيتيون أول موقع يهاجمونه ، في عام ٦٣٢ . ولم تستمر هذه الهجمة الأولى لفترة طويلة ، وعاد بعدها المسلمون . ولكنهم رجعوا من جديد في هجمة أقوى ، عام ٦٤٧ ، في عهد ولاية معاوية للشام .

وكان المسلمون قد إحتلوا الشام ، وحصنوا موانئها ، وأخذوا يستعدون للخروج إلى البحر ، حتى يمنعوا إعتداءات الروم عليهم ، ويتمكنوا من الحصول على قوافل أمامية لهم في هذا البحر . وكانت شخصية معاوية بن أبي سفيان ، أكثر إرتباطاً بالبحر المتوسط ، من إرتباطها بالصحراء . ولقد طلب معاوية ، وهو وال على الشام ، الإذن من الخليفة عمر بن الخطاب لكي يركب البحر ويفتح قبرص ، ولكن عمر إشتراط عليه أن يأخذ معه زوجته ، في حالة خروجه لهذا الغزو . وكان إصرار معاوية على فتح هذه الجزيرة ، وإلحاحه في ذلك حتى وفق إليه ، لا يخلو من الدلالة على إهتمامه بالبحر وشدونه ، ونظراً لعدم تعود المسلمين من قبل على ركوب البحر فإن ذلك يعد دليلاً على فضل بنى أمية ، في تمكين المسلمين من أمر البحر المتوسط ، وفتاحة لسيادة المسلمين عليه .

وكانت سفن المسلمين تقرب في عددها من سبعمائة سفينة ، وكانت تهدف لإخضاع جزيرة قبرص . ولقد حاصر المسلمون هذه المرة مدينة قسطنطينية ، إلا

## ٥٠. ح

أن الأهالي واصلوا المقاومة ، ولم تنظروا بحجم المدد من القسطنطينية . ولقد تمكن المسلمون من إحتلال المدينة ، وأقام معاوية في قصر رئيس الاساقفة ، وأصبح سيد الجزيرة كلها لعدة أشهر ، وترك جيشه يقوم باخضاع بقية أجزاء الجزيرة . ولكن معاوية فقد زوجته ، التي سقطت من ظهر فرس أثناء نزهتها ، فأمر ببناء مقبرة لها لاتزال موجودة حتى الآن ، وتعرف باسم وأم حرم .

ولقد وصل المدد أخيرا من القسطنطينية ، ولكنه وصل متأخراً ، وبعد أن كان المسلمون قد تركوا الجزيرة . ولقد عاد المسلمون إلى الجزيرة في العام التالي ، وهاجموا بافوس ، أغنى مدن قبرص بعد قسطنطينية ، واستمروا في هجماتهم حتى قبل القبارصة دفع الجزية ، ووعدوا بعدم مساعدة إمبراطور بزنطية . وحين أخل القبارصة بوعدهم ، قسا المسلمون في عقابهم ، حتى اضطرت الكثيرين من بينهم إلى ترك المزارع ، والالتجاء إلى الجبال والغابات . واضطر الأهالي في نهاية الأمر إلى الخضوع ، وإتفق الإمبراطور مع العرب ، ولم تعد قبرص بزنطية : ذلك أن الجزية السنوية أصبحت تقسم بين الإمبراطور وبين العرب . وسبحت هذه الهدنة للقبارصة بالعودة من الكهوف والغابات ، والعودة إلى أعمالهم . ولكن الحال كان صعباً عليهم ؛ فبدلاً من أن يكون لهم سيد واحد ، من الناحية الاقتصادية ، أصبح لهم سيدان ، يدفعون إليهما الجزية كل عام . ومع ذلك فإن الجزيرة وصلت في آخر الأمر إلى السلم والهدوء .

وفي عام ٦٩١ ، وجد البيزنطيون أنفسهم ، مرة جديدة ، في حرب مع المسلمين ، نتيجة لفهمهم الجزية نقوداً تحمل شارة الصليب ، مع شارة الإمبراطورية ، ومنذ بداية العمليات الحربية ، فكر جستنيان الثاني في إخلاء قبرص من السكان العرب ، ونقلهم إلى مكان آخر ، حتى يتحاشى أمر نشوب اضطرابات داخلية في الجزيرة . ولكنه اضطرت ، بعد هزيمته في قيليقيا ، إلى أن يغير فكرته ؛ ذلك أنه

## ١٤ -

شعر بصعوبة حماية قبرص وسكانها اليونانيين من إنتقام العرب ؛ فقرر نقل السكان المسيحيين من الجزيرة إلى هيليس بونت . وبأوامر منه ، قام رئيس الاساقفة جان رأس كنيسة قبرص ، مع غالبية السكان بترك الجزيرة ، وذهبوا للإقامة على الساحل الأوربي في هيليس بونت . وكانت هذه الهجرة الإجبارية مؤقتة ، ولم تستمر سوى فترة تقرب من عشر سنوات . وتم خلالها إنشاء مدينة جديدة لهؤلاء القبارصة في المنفى ، سميت جستنيانبوليس ، نسبة إلى الإمبراطور .

وبروح من التضامن ، قرر مجمع كنائس القسطنطينية منح رئيس أساقفة قبرص لقب وأسقف جستنيان بوليس ، مع منحة حق ممارسة سلطته على كل إقليم هيليس بونت . ومنذ ذلك الوقت ، أصبح رؤساء أساقفة قبرص ، علاوة على لقبهم الرئيسي يحملون لقب مكان منقاهم ، والذي لم يعد له ، بعد عودتهم إلى قبرص إلا قيمة رمزية . ورغم عطف الإمبراطور ، والترحيب الودى الحار لأهالى منطقة هيليس بونت ، فإن القبارصة لم يتأقلوا جيدا مع حياة المنفى . وأخذهم الحنين للعودة إلى بلادهم ؛ ولكنهم لم يتمكنوا من العودة إلى قبرص إلا بعد عقد هدنة جديدة بين البيزنطة وبين المسلمين ، ولقد عادوا إلى بلادهم قرب بداية القرن الثامن ، ووجدوا الجزيرة شبه مهجورة ؛ ولكنه كان من الصعب أن يعيشوا فيها في هدوء نتيجة لعودة الحرب . ولقد تنازع الجزيرة من جديد كل من المسيحيين والمسلمين . ولم يكن في وسع البيزنطيين ، ولا في وسع العرب أن يحتفظوا بالسيطرة الكاملة على الجزيرة لوقت طويل ، ولمدة قرنين ونصف قرن ، خضعت قبرص لما يقرب من أربع وعشرين هجمة عربية ، وكل منها لفترة قصيرة . ولقد تحررت مرات عديدة ، بواسطة البيزنطيين ، لكي تقع من جديد في أيدي المسلمين ، حتى تحررت نهائيا في عام ٩٦٤ ، على يد الإمبراطور نيسيفور فوكاس .

### ٤- المرحلة الأخيرة لحكم البينظيين (٩٦٥-١١٨٤) :-

كان انتصار نيسيفور فوكاس يمثل بداية لإنهيار قوة العرب في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وفي الشرق الأدنى . فلقد طرد المسلمون من قبرص ، وأيضا من كريت ، كما أنهم أبعادوا عن قيليقيا . ولم يعودوا يمثلون خطراً على قبرص ، التي عادت إلى بينظلة وحدها ، وهي التي ستمعيش في سلام لمدة تزيد على قرنين من الزمان ، دون أن تخشى من تهديد الغزو العربي لها .

ومأناً تخلص القبارصة من الاضطار الخارجية ، حتى أخذوا في إعادة بناء جزيرتهم ، التي كانت قد أصيبت بالدمار . ولم تكن المدن الكبرى شيئاً أكثر من أكوام من الخرائب ، وكانت التجارة والصناعة قد اختفت ، وتحدد الانتاج الزراعي بالحاجة المنزلية لكل فلاح . ولما عجز أبناء الجزيرة عن إعادة بناء المدن المخربة ، أخذوا في بناء مدن جديدة ، فنشأت مدينة جديدة إلى جوار قسطنطية ، هي مدينة أموجوستوس (ماجوستا) . وأخذت لارناكا مكان سيتيون ، كما أخذت ليمسوس (ليماسول) مكان أماتونت ، ونشأت مدينة جديدة في وسط الجزيرة ، وهي ليوكوسيا (نيقوسيا) ، والتي ستصبح عاصمة قبرص فيما بعد ، قرب مكان ليدرا القديمة . وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ قبرص ، بعد أن تخلصت من دفع الجزيرة للإمبراطور ، وللعرب .

و أعطى إعادة التنظيم الإداري للإمبراطورية البينظية فوائده للجزيرة . ولم تعد قبرص خاضعة لإقليم آخر ، بل أصبحت إقليماً يحكمه دوق مسئول عن الدفاع عنها ، وكذلك عن إدارتها المدنية . وأصبحت نتيجة لموقعها الجغرافي ، موقعاً إستراتيجياً أمامياً للإمبراطورية ، لا يمكن للحكومة الامبراطورية أن تهمله ، كما حدث في الماضي . وهكذا عرفت قبرص الإزدهار ، نتيجة لتوسع إنتشار منتجاتها من الانسجة ، ولفو تجارتها ، وكذلك نتيجة لإنشاء أديرتها الكبيرة ، والتي أصبحت بعد ذلك أماكن



## — ٤٢ —

يُحج إليها المسيحيون من كل منطقة الشرق الأدنى .

وكان الدير الوحيد ، من بين الأديرة القديمة ، والذي ظل سليماً ، هو دير الصليب في ستافروفوني ، والذي كانت القديسة ميلانة قد أنشأته ، وقت زيارتها لقبرص في القرن الرابع . أما بقية الأديرة ، فكانت قد تخربت أو أحرقت . أما الكنيسة القبرصية فأنها تمكنت ، بعد أن تجرّت من الأخطار الخارجية ، من أن تعود سريعاً إلى نشاطها وإلى سلطتها السابقة . وأصبحت مدعّمة في ذلك اوقفت بتأييد الأباطرة ؛ والذي ظهر بالمنح الكبيرة للمنشآت الدينية في الجزيرة . ولقد تميزت هذه الفترة كذلك بالحركة الديرية . ففي قبرص ، مثلها في ذلك مثل بقية أجزاء الامبراطورية البيزنطية ، بدأ الشباب ، سواء كان ذلك نتيجة للاخلاص للدين ، أو من أجل التهرب من التزامات السخرة ودفع الضرائب والتي كان الرهبان معفون منها ، في السير على طريق الحياة الديرية ومن بين الأديرة التي نشأت في أثناء القرن الحادي عشر ، ومن أشهرها ، كان دير العذراء المقدسة في كيكوس ، والذي يرجع أصله إلى اكتشاف ثلاث أيقونات تنسب إلى القديس لوقا . ولقد نشأ دير كيكوس ، وكذلك دير ماكيراس ، بمرسومات إمبراطورية ، ضمنّت الإستقلال الداخلي ، لإدارتهم الداخلية .

وفي أثناء هذه المرحلة ، لم يضطرب السلم إلا مرتين : في عام ١٠٤٢ ، وفي عام ١٠٩٣ ؛ ونتيجة لمحاولات فاشلة من جانب حكام الجزيرة لكي يعلنوها دولة مستقلة . وحين عين تيوفل إيروتيكوس حاكماً على قبرص ، في عام ١٠٤٠ ؛ انتشر عدم الرضاء في كل مكان بسبب الضرائب الثقيلة وحين وعد باصلاح نظام الضرائب في صالح الممولين ، جمع حول نفسه جزءاً من سكان الجزيرة . وأعلن في عام ١٠٤٣ إستقلاله . ولكن الثورة على السلطة الامبراطورية لم تستمر سوى بضعة أشهر . ولانهزم إيروتيكوس أمام قوات الاميرال هاجي ،

## — ٤٤ —

وأُسِر ، ونقل إلى القسطنطينية .

وبعد خمسين عام أخرى ، قام راسبوماتيس ، وهو حاكم آخر للجزيرة ، بمحاولة مماثلة . واستمرت الثورة هذه المرة لفترة أطول ؛ ولكنها فشلت ، مثل سابقتها ، وهزم راسبوماتيس ، وأُرسل إلى القسطنطينية .

ولقد ساد النظام بعد هزيمة راسبوماتيس كما تدعمت السلطة الامبراطورية من جديد في قبرص . وبعد أن انتهت الفوضى الداخلية ، تمكن سكان الجزيرة من أن ينصرفوا في سلام إلى أعمالهم . ولكن حياتهم ، التي تغيرت قليلا في الظاهر ، ظلت خاضعة ، وبدرجة متزايدة ، للأحداث التي تقع في الحوض الشرقي للبحر المتوسط . فبعد أربع سنوات من نهاية ثورة راسبوماتيس ، قام رؤساء مجموعة من الدول الغربية بأول حملة صليبية من أجل تخليص القدس من أيدي العرب ، ومن أجل إنشاء مملكة مسيحية هناك . وهكذا أصبحت المدن البحرية في فلسطين وسوريا مراكز هامة . وحصلت البندقية ، والتي كانت تجارتها ونشاطها التجاري مزدهرين إلى حد كبير ، على ميزات وإعفاءات في كل من كريت وقبرص . وجاء ولأول مرة ، تجار لاتين ، وأقاموا في فاجوستا . أما بيزنطة فإنها ، رغم وصول أسيرة كومنين إلى عرشها الامبراطوري ، لم يعد في وسعها أن تمنع ولوقت طويل ، تفكك إمبراطوريتها الآسيوية . وتزايد التراخي ، وبشكل متزايد ، في العلاقات بين الأقاليم وبين السلطة المركزية ، التي كانت موجودة في القسطنطينية أما نعمة القوميات المحلية ، والتي كانت غير ظاهرة حتى ذلك الوقت ، فإنها ظهرت في شكلها الحقيقي . ولكن قبرص لم تشارك في هذه الحركة ؛ وظلت دائما مغلقة لبيزنطة ، رغم كونها جزيرة . ومع ذلك ، فإن تجارتها لم تعد خاضعة منذ ذلك الوقت لبيزنطة البعيدة . وكانت تنميتها تتطلب توثيق الروابط مع مملكة القدس ، والتي كان النظام الإقطاعي الموجود فيها يسمح ، وهو يتبع في ذلك الاتجاه

المركنتيلي الذي كان موجودا في البندقية ، بتوسيع علاقاتها مع المدن البحرية الموجودة في سوريا وفي فلسطين . ولقد أجبرتها الحاجة الضرورية على الخروج من عزلتها . ومع ذلك ، فإن انفصالها عن بينظرة لم يأخذ شكل التباعد المتزايد ؛ بل إن صلتها ببينظرة قد انتهت فجأة ، في عام ١١٨٤ ، مع وصول إسحق كومنين ، حفيد الإمبراطور مانويل ، إلى الجزيرة .

وكان إسحق كومنين قد تحرر من أسرة ، بعد هزيمة الأرمن له ، ووصل إلى قبرص ، حيث إستولى على السلطة ، بوثائق مزيفة ، ذكرت أن الإمبراطور قد عينه حاكماً على الجزيرة . وبعد أن إستقر في الحكم ، إنزعج السيادة ، بإعلان الجزيرة مستقلة ، تحت سلطته الخاصة .

وحين إفاق أبناء الجزيرة من المفاجأة ، عارضوا موقف إسحق الانفصالي وكانوا يمتثلون من أن تعود الجزيرة ، وللمرة الثالثة ، مسرحاً للعارك ، وللمجرد خدمة طموحات معتصبى السلطة . ورفضت الكنيسة ، وكانت دائماً مخلصه لخاصة لحاميها الدائم ، إمبراطور بينظرة ، كل فكرة للقطيعة معه . وحين وجد إسحق نفسه دون سند من الأهل ، جمع حوله بمجموعه من المرتقة ، حتى يتمكن من المحافظة على نظامه . وأصم آذانه عن نداءات الأساقفة والأعيان ، وفرض نفسه بالقوة . وخشى من إنتقام عمه ، الإمبراطور إسحق الملاك ، فتحالف مع ملك صقلية ؛ وتمكن بمساعدته من إبعاد الأسطول الذى أرسله الإمبراطور ضده وبعد أن أصبح سيد الجزيرة بلا منازع ، أظهر طغيانه وشدة قسوته تجاه الأهل وأنزل أشد العقاب بكل من خالف أوامرهم . وكان غليظاً ، وعدوانياً ، وفرض سلطته بكل قسوة . وعاش عيشة بذخ ، فبذر الأموال العامة . فاضطر إلى فرض ضرائب جديدة ، أدت إلى إفقار الأهل . واستولى على الأموال ، حتى من الكنائس ، ومن الأديرة ، والتي كانت معشاة حتى ذلك الوقت من دفع الضرائب .

وتبعاً للتقليد البيزنطى ، إعتبر نفسه على أنه الرئيس الأعلى للدين المسيحى الأرضى وذكى . وعاقب ، جسدياً ، كل رجل دين تجرأ على عصيان أوامره . ولم يتردد ، من أجل تدعيم سلطته ، فى أن يتحالف مع صلاح الدين ، بعد إستيلائه على القدس . ولكن نهايته كانت قريبة ، وكان تطرف طغيانه سبباً فى فقدته قبرص .

#### ٤ - إحتلال ريتشارد قلب الاسد للجزيرة

هزت عملية إستيلاء جيش صلاح الدين على القدس ، فى عام ١١٨٧ ، العالم المسيحى الغربى ، الذى قرر أن يجمع قواته من جديد ، لكى يعمل من أجل تحرير الأرضى المقدسة . وتمت الاستعدادات لهذه الحملة الصليبية الجديدة ، فى عام ١١٩١ . ولقد ترك أسطول الصليبيين جزيرة صقلية ، وإتجه صوب عكا ، بقيادة فيليب ؛ ملك فرنسا ، وريتشارد ، ملك إنجلترا . ولكن العواصف تسببت فى جنوح ثلاث سفن إنجليزية إلى سواحل قبرص ، قرب ليماسول . وكانت إحدى هذه السفن تحمل الملكة الوالدة ؛ أخت ريتشارد ، وكذلك خطيبته ، بيرانجيز صاحبة نافار . وما أن سمع إسحق نبأ الجنوح ، حتى أسرع إلى ليماسول ، وضرب بكل تقاليد الضيافة المعمول بها تجاه الناجين من الغرق عرض الحائط ؛ وأسر رجال ريتشارد ، وأعلن الإستيلاء على السفن ، وأمر بانزال السيدتين منها بالقوة . وبمجرد أن علم ملك إنجلترا بهذه الإهانة التى وجهها لإسحق لاخته وخطيبته ، أسرع ومعه جزء من الأسطول لتجديتها . ووصل فى الوقت المناسب ، قبل نزولها ، لى يحاسب ملك الجزيرة على هذه الإهانة ، ويطالب بفك أسر البحارة المسجونين . ورفض إسحق ، بكل تعالى ، أمر التفاهم معه ؛ فأمر ريتشارد بمهاجمة الجزيرة . وحاول إسحق أن يقاوم ؛ ولكنه لم يكن من السهل عليه أن يقاوم القوات الكبيرة من قاذفى السهام ، الإنجليز والفرنسيين ، الموجودين فى

جيش ريتشارد ؛ فاضطر إلى الفرار . ثم عرض التفاوض مع ملك انجلترا ، ووعده بالاشتراك في الحملة الصليبية ، وبأن يدفع للملك لإنجلترا مبلغ ٣٥٠٠ ماركا ذهباً . وقنع ريتشارد بنتائج هذه المغامرة البحرية ، وقرر البقاء بعض الوقت في ليماسول ، وحيث أعلن زواجه من أميرة نافار . ولكن إسحق غير موافقه ، وترك المدينة ليلاً ؛ وإلتجأ إلى قلعة القنطرة ، في شمال الجزيرة ، وإتجه صوب صلاح الدين ، وطلب إليه أن يأتي لمساعدته . فخرج ريتشارد وراءه ، وأجبره على التسليم . وتم عزل إسحق ، وفقد نفوذه ، وأحضره أمام ريتشارد مكبلاً بالسلاسل . وتذكر إحدى الروايات ، أنه شكى من قيده بالسلاسل الحديدية ، وأن ريتشارد أمر بأن توضع بدلاً منها سلاسل من فضة .

ويوصلنا هذا التسلسل إلى أمر بيع جزيرة قبرص لجماعة فرسان المعبد . ذلك أن ريتشارد لم يكن في وسعه ، بعد انتصاره السهل على إسحق ، أن يبقى في الجزيرة لفترة طويلة وكان يرغب في الإسراع إلى فلسطين . وبدأ أن هذا الغزو المفاجئ لجزيرة قبرص كان يضايقه ؛ وكان لا ينوى الاحتفاظ بهذه الجزيرة بشكل دائم . فوافق على العرض الذي تقدمت به جماعة فرسان المعبد لشراء الجزيرة نظير مبلغ ١٠٠.٠٠٠ دينار . وقبل أن يترك جزيرة قبرص ، سلمهم إسحق ، سيد الجزيرة السابق ، يفعلون به ما يريدون . وخشى فرسان المعبد مما قد يقوم به إسحق ، فنقلوه ، لأسباب الأمن ، إلى سوريا . حيث مات وهو في السجن ، بعد بضعة أشهر . وما أن أقامت جماعة فرسان المعبد في الجزيرة ، حتى أخذت تعامل الأهالي على أنهم شعب مهزوم . وكانوا يبحثون بكل طريقة عن الأموال اللازمة ، حتى يدفعوها للملك ريتشارد ؛ فلم يترددوا في فرض الضرائب العالية والاتاوات الضخمة على الأهالي ، والذين كانوا قد أرهقوا من قبل من كل ما كان قد فرضه عليهم نظام إسحق المتحكم ؛ فلم يعد في وسعهم أن يتحملوا أكثر من ذلك . وكان

فرسان المعبد ، وهم يحملون شارة صليب القدس على أرديتهم ، يظهرون تعسفهم تجاه رؤساء الكنيسة الارثوذكسية ؛ وكافوا يقيمون الفلاحين ، ويصادرون أملاكهم . فكرهم الأهالي ، ولم يتمكنوا من ممارسة سلطتهم إلا بالقوة . وكان عددهم غير كبير ، فلم يتأخر أبناء الجزيرة كثيراً عن أن يشوروا ضدهم ، وضد نظامهم . فرفضوا دفع الضرائب ، وفي نيقوسيا ، حاصر الأهالي مجموعة تقرب من مائة من فرسان المعبد ، وطالبوهم بالتسليم ؛ ولكن الفرسان تمكنوا بحركة مفاجئة من الخروج ، ومن الفرار . ثم عادوا لكي ينتقموا من الثوار ، وقتلهم جميعاً . وهكذا خضبت هذه الحركة الأرض بالدماء ، وحولت التمرد والعصيان إلى ثورة . وشعر فرسان المعبد أنهم لن يتمكنوا بعد ذلك من إحتواء الأهالي المعادين ؛ وأصبحوا يخشون من الانتقام ، فتركوا قبرص في عام ١١٩٣ . وأعادوا ملكية قبرص إلى ريتشارد قلب الأسد ، الذي أعفاهم بدوره من دينهم وهكذا عاد ملك إنجلترا من جديد ، ودون أن يرغب ، لكي يصبح سيداً على قبرص . وكان عليه أن يبعث عن مشتري جديد ، لهذه الجزيرة التي غزاها .

## الفصل الثالث

مملكة قبرص (١١٩٢ - ١٤٨٩) :

### ١ - إقامة النظام الجديد :

في عام ١١٩٢ ، وبمجرد الاتفاق مع ريتشارد قلب الأسد ، حضر السيد الجديد لجزيرة قبرص ، ومعه أفراد أسرته ، وبعض فرسان ، من الأراضي المقدسة . وكان هو جى دى لوسينيان ، ملك بيت المقدس . ولم يكن من حقه أن يلقب نفسه بلقب ملك قبرص دون أن يتوج ، ودون أن يوافق البابا على ذلك ؛ ومع ذلك فإنه قنع بلقب « سيد قبرص » . وفى أثناء ذلك الوقت ، لم يكن لوسينيان يهتم كثيراً بالشكليات والمسائل الشرفية ، خاصة وأنه كانت تواجهه مسائل عاجلة . فقد كان عليه أولاً أن يدعم نظامه ، ويدفع ديونه للملك إنجلترا . وفهم ، بعد تجربة فرسان المعبد ، أنه من الصعب عليه أن يحكم أهالى يختلفون عنه فى الجنس وفى اللغة ، دون أن يكون لديه حلفاء ، يقضون إلى جواره . ولذلك فإنه قرر أن يفتح أبواب الجزيرة أمام فرسان الأراضي المقدسة . وأن يبيع لهم الأراضي ، ويوزع عليهم مناطق النفوذ ، حتى يحصل منهم على المال . ولم يحتفظ لنفسه إلا بما كان ضرورى من أجل بلاطه . ولذلك فإنه أتى إلى قبرص ، وفى بضعة أشهر ، مايزيد على ثلاثمائة فارس ، ومائتين من مساعديهم . واعتقد جى دى لوسينيان أن مكانه قد تدعم ، ففعل إلى قبرص جماعة مملكة بيت المقدس ، وأقام فيها كنيسة لانيئية ، ونظاماً إقطاعياً ؛ ولكن وفاته المبكرة ، فى عام ١١٩٤ منعتة من إتمام بقية أعماله . وخلفه أخوه آمورى ( ١١٩٤ - ١٢٠٥ ) ؛ وهو الذى أصبح أول ملك لقبرص . وتم تنويجه فى عام ١١٩٧ فى نيقوسيا ، بواسطة

المستشار كونراد ، الذى أرسله هنرى السادس . إمبراطور ألمانيا ؛ وأصبح مؤسس « مملكة قبرص وبيت المقدس » ، بزواجه الثانى ، من إيزابلا ، الملكة الأم لبيت المقدس . وفى أثناء عهده ، تم إنشاء الكنيسة اللاتينية فى قبرص .

ولقد وقعت فى أثناء فترة حكم آمورى بعض الأحداث الخطيرة . ذلك أن أحد القبارصة اليونانيين ، وهو كاناكيس ، أعلن الثورة ضد محاولات الملك لاسترقاق أهالى الجزيرة ، وحمل السلاح ضد الفرنسيين . وبعد أن هاجم ليلاً ممتلكات الفرسان ، انسحب عند الفجر ، ثم عاد فى الليلة التالية . ونجح فى إحدى اللحظات فى أسر الزوجة الأولى للملك ، وأولاده ، وأخذهم كرهائن عند إسحق ، سيد أنطويكة . ولم يرجعهم إلا بعد تدخل ليون سيد أرمينيا الصغرى .

## ٢ - الأوضاع الاجتماعية :

حتى وقعت وصول جى دى لوسينيان ، لم يكن فى الجزيرة تميز اجتماعى . وفى أثناء العصر البيزنطى ، كان رجال الدين وحدهم هم المعفون من الضرائب . وكان الشعب ، والبورجوازيون ، والفلاحون يعاملون بنفس المعاملة . وكانوا جميعاً يخضعون لأعمال السخرة ، والذى كان فى وسع الأغنياء وحدهم أن يتفادوها بدفعهم مبالغ مهيمنة . وبإدخال النظام الإقطاعى ، تغير البنيان الاجتماعى للجزيرة كل التغيير . فالتقسيم سكانها إلى قسمين : المعمرون اللاتين ، والأهالى اليونانيين . وطوال كل عهد نظام الفرنجة ، لن يتداخل هذين العنصرين مع بعضهما أبداً . وسيجيشون منفصلين عن بعضهما ، الواحد إلى جوار الآخر ، وبينهما عداوات إقتصادية ، ودينية ، أو كهلفاء عند التهديد الأجنبى ، ولكنهم لن يكونوا أبداً سوياً .

وسرعان ما حضر ، إلى جانب الفرسان ، بعض البورجوازيين من اللاتين ، وبعض التجار ، والحرفيين ، الذين أقاموا فى أول الأمر فى نيقوسيا وفى فلجروستا ، وحيث كثر فى الطبقة البورجوازية ، التى تضم أصحاب المهن الحرة والتجار .



أما عند الأهلالي الوطنيين ، فكان من الممكن تمييز ثلاث مجموعات :

**أولاً :** - مجموعة الفلاحين ، وكانت تمثل غالبية السكان اليونانيين . وكانوا أفنان الملك ، وسادة المناطق . وكان عليهم أن يعملوا لمدة ثلاثة أيام من الأسبوع في حقوله ، والثلاثة أيام الأخرى لحسابهم . ولم يكن من حقهم الخروج من أرض سيدهم ، دون إذن منه ؛ ولم يكن في وسعهم حتى أن يتزوجوا دون تصريح منه . وكان من حق سيد المنطقة أن يعاقبهم كما يرغب ، ولكن دون أن ينزل بهم عقوبات بدنية ، أو يحكم عليهم بالإعدام .

**ثانياً :** - المجموعة الثانية ، وكانت أقل عدداً من الأولى ، وكان أفرادها مرتبطين كذلك بسيد المنطقة ، ولكنه كان لأفرادها الحق في شراء حريتهم ، وحرية أنبائهم . وبدلاً من أن يعملوا ثلاثة أيام أسبوعياً على أرض السيد ؛ كانوا يدفعون مبلغاً سنوياً من المال ، قيمته خمسة عشر بيزنطى .

**ثالثاً :** - المجموعة الثالثة ، وهى مجموعة الأحرار ، وكانوا من الأفنان الذين قام سادتهم بتحريرهم ، وكان من حقهم الحصول على ملكيات شخصية . وكان عليهم كذلك ، إعطائه جزءاً من محصول الأرض . وكان من حقهم أن يتزوجوا كما يحلو لهم ، ولكن في حالة زواج أحدهم من امرأة من مجموعة أفنان الأرض ، فإن أولاده لا يصبحون أحراراً .

وإلى جانب هاذين العنصرين من الأهلالي، أى اليونانيين والمعمرين الفرنسيين، الفرسان والبورجوازية ، كانت هناك كذلك جاليات أجنبية صغيرة ، وكانت أهمها جالية البنادقة البيض . وكانوا من سلالة الصليبيين ، وأقام هؤلاء البنادقة البيض منذ زمن بعيد في قبرص ، وعملوا في فلاحة الأرض . وكانوا يدفعون جزية سنوية للملك زمام المنطقة ، ولكنه كان من حقهم أن يقدموا للحاكم أمام قنصل البندقية في نيقوسيا .

### ٣ - النظام الادارى :-

ولقد تم تنظيم إدارة مملكة قبرص على نفس طريقة تنظيم بيت المقدس . وكان يجمع الفرسان ، أو المجلس الأعلى ، يمثل السلطة العليا في المملكة . وكان يرأسه الملك ، وكان له الحق الكامل في إدارة شئون الدولة ، وممارسة السلطة التشريعية وكان هذا المجلس الأعلى يمثل كذلك المحكمة العليا بالنسبة للنبل وله سلطة إصدار الاحكام ، وبدون إستئناف ، في كل مسائل شرعية وراثية العرش ، أو الوصاية ، في حالة وفاة الملك أو غيابه . وكان على الملك نفسه أن يتقدم أمام هذا المجلس الأعلى ، حتى يستوثق من أحقيته في العرش ، قبل أن يرسم .

ومع ذلك ، فعلينا ألا نتصور أن ملك قبرص كان مجرد شخصية تمثيلية ، وبدون سلطات فعلية ، فلقد كان له الحق في صك العملة ، وفي توزيع مناطق النفوذ ، وفي منح الامتيازات التجارية للأجانب ، وممارسة العدالة بين البورجوازيين ؛ وكذلك أمر الاشراف على أموال الدولة ، بواسطة وزرائه . وكان على الفرسان أن يؤدوا القسم بالولاء له . وبدون حضوره ، لا يكون للمجلس الأعلى كياناً شرعياً . وكان هو الذى يمنح العفو للمحكوم عليهم بالأعدام . وإلى جانب المجلس الأعلى ، كان هناك كذلك مجلس البورجوازيين ، أو المجلس « الأدنى » ، والذى كان أهم ما يقوم به يتمثل في الفصل في القضايا بين البورجوازيين . وكان فيكونت نيقوسيا هو الذى يرأس المجلس الأدنى ، والذى كان يختص مدنياً وجنائياً في كل الخلافات بين البورجوازيين وبعضهم ، وكذلك كل المنازعات بين البورجوازيين والطبقات الأخرى من الأهالى .

ومع ذلك فإن كل من المجلس الأعلى ، والمجلس الأدنى لم تكن له سلطة في الشئون الشخصية ، والتي كانت من إختصاص المحاكم الكنسية للكنيسة اليونانية

بالنسبة للأهالى الوطنيين ، ومن إختصاص الكنيسة اللاتينية بالنسبة للفرسان البورجوانيين .

وكانت الشخصيات الكبيرة فى البلاط هى التى ترأس الادارة المدنية . وكان حاكم فاجوستا هو أميرال المملكة . وكان الفيكونتات يحكمون المدن ، والأقاليم المختلفة فى الجزيرة . وكان هناك رجال الشرطة ، والذين يمكنهم أن يصبحوا علفين أمام القضاء .

وكانت اللغة اللاتينية هى اللغة الرسمية للملكة فى أيام حكم جى دى لوسينيان وآمورى ، ولكن الفرنسية حلت محلها ، بعد عهدهم . ومع ذلك ، فإن اللغة اليونانية أدخلت كذلك كلغة رسمية فى الإدارة ، فى الفترة الأخيرة من حكم أسرة لوسينيان ، كما أدخلت إلى المحاكم ، وفى العلاقات مع الملوك الأجانب .

#### ٤ - إنشاء الكنيسة اللاتينية والصراع المذهبى :-

ويرجع تاريخ إدخال الكنيسة اللاتينية إلى قبرص إلى عصر حكم الملك آمورى فى عام ١١٩٦ ، كتب ملك قبرص إلى البابا سلسنتين الثالث ، وطلب إليه إقامة نظاماً كنسياً لاتينياً فى الجزيرة ، حتى يسهل من عملية تحويل الأهالى الخاضعين للكنيسة اليونانية . وكإجابة على هذا الطلب ، أرسل البابا إلى نيقوسيا مندوبين ، كلفهما بدراسة هذا الاقتراح ، فى قبرص ، وتسوية المسائل المالية . ولقد عرض الملك أن يدفع للأسمافسة ورجال الدين من الخزانة الملكية ، ولكن المندوبين رفضوا هذا العرض ، وعلى أساس ضرورة بقاء الكنيسة دائماً مستقلة . وطالبوا بدخول ثابت ، وأراضى ، وبجزء من العشور عن الأراضى الملكية وأراضى الفرسان . وبعد مفاوضات طويلة ، أعطى آمورى موافقته ، حتى يحصل على موافقة البابا على تنويجه . وبعد هذا الاتفاق ، تم إنشاء الكنيسة اللاتينية ،

## ٥٨

قرب نهاية عام ١١٩٦ . وكانت تشمل على رئاسة أسقفيات في نيقوسيا . وثلاث أسقفيات في فاجوستا ، وليناسول ، وبافوس ، ولكل منها أراضى ، أخذت من الكنيسة اليونانية . ومع رئيس الأساقفة ، والأساقفة اللاتين ، وصلت إلى الجزيرة كذلك جماعات كاثوليكية ، حصلت ، هي كذلك ، على إمتيازات ، وعلى أراضى . وكرد على إحتجاجات الكنيسة اليونانية ، التي حرمت من بعض أملاكها ، قنع آمورى بأن يدعو لديه رئيس الأساقفة اليونانى ، ورئيس الأساقفة اللاتينى ، وبأن ينصحبهما بأن يعيشا فى سلام وفى إفسجام مسيحي . وجاء أمر إستيلاء الفرنجة على القسطنطينية فى عام ١٢٠٤ ، وفى أثناء الحرب الصليبية الرابعة ، لى يحرم الكنيسة اليونانية فى قبرص من التأييد المعنوى الذى كان تحصل عليه من قبل : فلم يعد فى وسع البطريرك الأرثوذكسى الذى التجأ إلى نيسيه أن يمارس سلطاته ، كما كان فيما مضى . ولقد أفاد البابا إنوسنت الثالث من ضعف الكنيسة اليونانية ، وأرسل فى عام ١٢١٩ ، الكاردينال بيلاجيوس إلى نيقوسيا ، وزوده بكل السلطات اللازمة من أجل تدعيم الكنيسة اللاتينية فى الجزيرة . وأتم الكاردينال مهمته ، إن لم يكن بتعصب ، فعلى الأقل بنشاط زائد ، وفى عام ١٢٢٢ ، جمع مجمعا من رؤساء الكنائس اللاتينية فى فاجوستا ، تحت رئاسته ؛ وحضر هذا المجمع كذلك ممثلين للجماعات الكاثوليكية . ولم يقتصر عمل هذا المجمع على مجرد تسوية مسائل النظام الكنسى للكنيسة اللاتينية فى قبرص ، بل وضع كذلك أسس تفوق هذه الكنيسة الأخيرة على الكنيسة اليونانية . وقلل عدد الأساقفة اليونانيين من عشرة إلى أربعة ، ونقل مقارهم إلى بعض القرى ، حتى لا يكونوا فى المدن التى يقيم فيها الأساقفة اللاتين . وقرر كذلك ضرورة تحديد الملك ورئيس الأساقفة اللاتينى لعدد الرهبان اليونان ، وضرورة موافقة الكنيسة اللاتينية فى قبرص على ترسيم أساقفة الكنيسة اليونانية . أما أولئك الذين يرفضون الطاعة ، فيتم نفيهم ،

وأصبح موقف الكنيسة اليونانية مأسوياً ، بعد مجمع فاجوستا . وحين رفض رئيس الاساقفة اليوناني قبول تفوق الكنيسة اللاتينية ، نفى من الجزيرة ، مع أسقف سولى . فالتجأ إلى نيسيه ، عند البطريرك اليوناني للقسطنطينية . وشرحا له الوضع ، وطلباً تأييده . ونتيجة لذلك ، أرسل البطريرك مندوباً إلى قبرص ، لكي ينصح الاساقفة والاهالى بعدم الخضوع . وأمام هذا الموقف ، طلبت اليكس ، الوصية على العرش ، من البابا ، وكانت تخشى من ثورة اليونانيين ، عدم تنفيذ قرارات مجمع فاجوستا ، ولكن أحداً لم يستمع إليها . ومع ذلك ، فانها رفضت الموافقة على تنفيذها الفوري ، الأمر الذى سمح للأساقفة اليونانيين بالاحتفاظ بإمтиازاتهم لثمرة حياتهم .

وكان من نتائج توسط الملاك أليكس ، فى صالح اليونانيين ، التهديم المؤقتة لعملية اضطهاد الكنيسة اليونانية ، ولكنها لم تمنع تطرف التعصب الدينى وموت الرهبان اليونان فى دير القنطرة : وكانوا قد رفضوا التخلي عن كنيستهم ، فوضعوا فى السجن لمدة ثلاث سنوات . ثم أعلنوا بأنهم من الهراطقة ، وتم حرقهم أحياء . وفيما عدا هذا الحدث الخطير ، تمكنت الكنيسة اليونانية من أن تحافظ على موقفها حتى وقت وفاة البابا إانسنت الرابع ، فى عام ١٢٥٤ . وبعد انتخاب البابا إسكندر الرابع ، جدد رئيس الاساقفة اللاتينى لقبرص محاولته لإخضاع الكنيسة اليونانية ؛ وترك البابا الجديد سياسة المصالحة التى كان قد سار عليها سلفه ، ووافق على الطلب ، وأعد فى عام ١٢٦٠ مرسوماً بابوياً ، أيد به قرارات مجمع فاجوستا .

وكانت عملية إذلال الكنيسة اليونانية كاملة : فكان على الاساقفة اليونانيين أن يقسموا بالولاء لرئيس الاساقفة اللاتينى ، ولم يعد من حقهم الإقامة فى المدن ، بل يظلوا فى بعض القرى . وعند وفاة أحدهم ، يقوم رئيس الاساقفة اللاتينى باختيار

خلفاً له ؛ أما العشور التى كان الأساقفة اليونانيون يجمعونها ، فإنها نقصت ، وفى صالح الأساقفة اللاتينى . وقصرت سلطاتهم القضائية على الخلافات التى تقع فى نطاق قانون الأحوال الشخصية بين اليونانيين . وفى حالة وقوع خلاف بين اليونانيين واللاتينيين ، فإنه كان ينظر أمام المحكمة الكنسية اللاتينية .

ورغم اعتراض اليونانيين ، ونداءات المملكة والنبلاء الذين لم يسكنوا من أنصار تدخل الكنيسة فى شئون المملكة ، تم تنفيذ المرسوم البابوى . ومن نوع الاستثناء ، وكنحة شخصية ، سمحوا الرئيس الأساقفة جرمانوس بالاحتفاظ بحقوقه وبمركزه طوال حياته ، ودون أن يجبروه على إعلان الخضوع لرئيس الأساقفة اللاتينى فى نيقوسيا .

### ٥ - الحياة الاقتصادية والثقافة :

أما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية ، فإنها شهدت تقدماً كبيراً . ولقد كانت إقامة التجار والحرفيين الذين جاءوا من الغرب فى نيقوسيا ، وفى بقية المدن البحرية الأخرى فى الجزيرة ، وكذلك رفع قبرص من حالة دولة إقليمية إلى مرتبة المملكة ، من الأسباب التى أثرت تأثيراً إيجابياً فى تقدمها الإقتصادى . وسرعان ما أصبحت الجزيرة محطة هامة بين الغرب والشرق الأدنى ، ونمت فيها الصناعات ، كما ازدهرت الزراعة . وسمحت زراعات قصب السكر والكروم بتصدير السكر المسحوق والأنبذه إلى الخارج . وأصبحت الأنبذه الحلوة ، ومطرزات لأفراكا ، والمنسوجات الحريرية من بافوس ، ونتيجة لمستواها الرفيع ، من المنتجات الشهيرة فى كل بلاد الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، وكذلك فى أوروبا .

وإذا أضفنا إلى ذلك المنتجات الزراعية ، نجد أن هذه التجارة كانت تأتى للجزيرة بشروات كبيرة ، وأصبحت فمناجوستا أكثر مكن الشرق الأدنى ثروة ،

والميناء الذى كان يصل إليه ، ويخرج منه كل يوم ، وحسب رواية فيليب دى ميزير ، أكثر من مائة سفينة ، محملة بجميع أنواع السلع .

وكان غنى ورفاهية هذه المدينة تثير إعجاب زوارها . وكانت توجد فيها الأخشاب النادرة ، كما كانت التوابل موجودة فيها ، ومتوفرة ، بدرجة توفر الخبز ، على حد تعبير الحجاج السكسون . وكانت توجد عند بنات البورجوازيين مجموعات من الجواهر ، لم تكن متوفرة حتى عند ملكة فرنسا نفسها ، فى ذلك الوقت ، فى خزائنها . وكان التجار يدعون الملك والفرسان إلى حفلات إستقبال فاخرة ، تلعب فيها الجواهر الغالية ، وتتألق ، وكانوا يضعون الجواهر على صوانى من الفضة ، وكذلك يعرضون اللآلىء ، لكى تبهر الأبصار ، وكدليل على ثروتهم وكانوا يطهون الأطباق التى تقدم فى هذه الولائم على نار أخشاب معطرة . وكانت السجاجيد التى تزين القصور مطرزة بخيوط من ذهب ، وخيوط من حرير . وكانت السفن تصل كل يوم وعليها لآلىء الخليج الفارسي ، والذهاب والعاج ، وتوابل الشرق . ومع ذلك فإن مستوى المعيشة كان مرتفعاً للغاية حتى أن الرجل الذى كان لديه ثلاثة آلاف فلورنسى ، كان أشد فقراً عما يكون عليه فى البلاد الألمانية ، وله دخل يقارب ثلاثة ماركات .

وأما فيما يتعلق بالعمارة ، فنجد أن العهد الفرنسى لجزيرة قبرص كان يتميز ببناء الكاتدرائيات الفخمة ، والقصور التى ترك الفن الفرنسى عليها بصمات واضحة فكاندراياث القديسة صوفيا فى نيقوسيا ، والقديس نقولا فى فماجوستا ، والتى حولت فيما بعد إلى جوامع فى أثناء العهد العثماني ، كانت عينات ممتازة لفن العمارة الفرنسى من العصر القوطى . أما صالة طعام أبرشية بلاباق ، فإنها تشبه تلك التى كانت موجودة فى قصر أفينيون . وكانت قلعة سان هيلاريون ، التى تسيطر على البحر عند كيرينيا ، هى المقر الصيفى للأسرة الملكية . أما قلعتى بوفافنس والقنطرة ؛

والموجودتين في شمال الجزيرة ، فانهما بنيتا في نفس موقع القلاع البيزنطية القديمة ، وذلك في أثنا القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر .

وأما الحياة الثقافية للجزيرة في عهد حكم لوسينيان ، فإنها لم تكن على مستوى الفنون المعمارية . والحقيقة أنه يمكننا أن نميز في هذه الفترة آدابا باللغة الفرنسية وآدابا باللغة اليونانية .

ومن بين المؤلفين الفرنسيين ، كان المؤرخ فيليب دي نوفار هو الأكثر شهرة ؛ وجاء كتابة عن الحرب بين الامبراطور فردريك وجان ديبيلان كتحفة رائعة . ويمكننا أن نذكر كذلك المؤرخ فلور بيسترون ، والشاعر جيوم دي ماشو ، والذي وصف في ملحمة الشعرية « الاستيلاء على الاسكندرية » ، الحملة الصليبية للملك بطرس ، ملك قبرص ، وكذلك فيليب دي ميرير ، وإستيفان دي لوسينيان . ويمكننا أن نذكر ، من بين المؤلفين باللغة اليونانية ، وقبل غيرهم ، مورخى القرن الخامس عشر ، ليونس ماكيراس الذى كان أحد كبار موظفى أسرة لوسينيان وجورج بوسترون . ولدينا أيضا شعراء شعبيين يونانيين ، كتبوا بالعامية القبرصية ، والكثير من أغاني الحب .

## ٦ - التطورات السياسية (١٢٠٥ - ١٢٥٨) :-

وبعد وفاة الملك آمورى فى عكا ، فى الشام ، فى عام ١٢٠٥ ، تولى ابنه هيج وله من العمر إحدى عشر عاماً ، عرش قبرص . وكان الابن الأكبر ، وتم تنويجه فى عام ١٢١١ . ولكنه لم يعيش لمدة طويلة ، فتوفى وله من العمر ٢٣ سنة ، فى أثناء رحلة إلى الشام عام ١٢١٨ . وتولى بعده ابنه هنرى ، وهو طفل عمره تسعة أشهر ، ووضع تحت وصاية والدته أليكس ، وريشة عرش بيت المقدس . ومع ذلك فإن أليكس لم تبق كل الوقت فى قبرص . وبعد زواجها الثانى من أمير أنطاكية ، تركت قبرص نهائيا إلى الشام ، وذلك بعد خصومتها مع جان ديبيلان .



## ٥٩ -

وفي ذلك الوقت عرفت قبرص ، ولأول مرة بعد إنشاء المملكة ، صراها بين عناصر الفرسان. وبمجرد بدء هذا الصراع ، استمر ، ولم ينته أبداً. ولقد استمر بأشكال مختلفة ، حتى نهاية عهد أسرة لوسينيان ، وتحول في بعض المراحل إلى عمليات قتل ، وحتى إلى حروب داخلية .

وفي أثناء المنافسة بين مجموعة إيبيلان ، وبين مسئول المملكة ، الذي عينته الملكة أليكس ، وصل إلى الجزيرة فردريك الثاني، إمبراطور ألمانيا، في عام ١٢٢٨ وهو في طريقه إلى بيت المقدس. وبعد أن أحسن إستقباله الحزب المعارض لمجموعة إيبيلان ، طلب فردريك إلى جان إيبيلان أن يوقف هجماته على مسئول المملكة . ولما رفض ، استخدم فردريك القوة ، ووضع بعض الرهائن في السجن ، مكبلين بالسلاسل . وكان فردريك يرغب في الإسراع بالسفر إلى بيت المقدس ، فعين قبل سفره خمسة من بارونات الحزب المعارض ، كمسؤولين للمملكة. وعند عودته، احتفل في قبرص بتزويج الملك هيج الشاب من ابنة أخيه، أليكس دي مونفيرات، ثم سافر إلى أوروبا. وبعد سفره ، عمل مسئولوا المملكة الجدد على الانتقام من مجموعة إيبيلان وأعوانهم ، وصادروا أملاكهم . وفرضوا عليهم إتاوات كبيرة؛ ولكنهم لم يتمكنوا من الحكم لفترة طويلة . وتمكن جان ديبيلان من أن يعود من سوريا إلى قبرص ، بعد هزيمة خصومه ، وأصبح من جديد وصيا على الجزيرة ؛ وخلص الملك الشاب . ولكن الخصومة ، بين مجموعة إيبيلان وبين الإمبراطور، استمرت ، وامتدت إلى سوريا . وتم عقد صلح بعد محاصرة بيروت ، وعاد الملك هنري إلى قبرص

وبعد إقامة السلم، عاد الهدوء ، وتمكنت قبرص أخيراً من أن تعيش ، وبدون اضطرابات داخلية ، لعدة سنوات ، ومع ذلك فإن مسألة الوصاية على العرش طرحت من جديد، بعد وفاه الملك هنري ، في عام ١٢٥٣ ؛ وكان قد ترك كورث

له ابنه هيج الثانى . الذى كان طفلا عمره بضعة أشهر . وترك أمملته الشابة قبرص ، وذهبت إلى فلسطين ، لى تتزوج من جديد ، تاركة الوصاية على ابنها هيج ، ابن عمه ؛ وهو الذى سيخلفه على العرش ، بعد وفاته المبكرة ، فى عام ١٢٦٧ . وكان الملك الجديد ، هيج الثالث ، رجلا قوى الشكيمة ، وشارك فى حملات الفريجة على الاراضى المقدسة . ولقد عمل على تدعيم نظامه ، بوضع حد للقوة المتزايدة والمهددة لجماعة فرسان المعبد ، وذلك عن طريق مصادرة ممتلكاتهم ، وتخريب قلاعهم فى ليماسول وبافوس . ولم يسمح بعد ذلك بقيام منافسات بين عناصر الفرسان . ومع ذلك ، فإن النزاع حول العرش ظهر من جديد بعد وفاته فى عام ١٢٨٤ . ولم يعيش ابنه جان الاول سوى عام واحد ، وتلاه على العرش أخوه هنرى الثانى ، وكان حكمه الطويل ( ١٢٨٥ - ١٣٢٤ ) حكما إسميا ، أكثر من كونه فعلى ولقد قام بانتزاع عرشه منه أحد إخوانه ، ثم الآخر : وهما جى ، وآمورى . وقضى الفترة الواقعة بين ١٣٠٦ و ١٣١٠ سجيناً فى أرمينيا ، ولم يعد إلى قبرص إلا بعد مقتل أخيه آمورى ، لى يعيش فى سلام ، حتى وفاته ، فى عام ١٣٢٤ . وحكم بعده ابن عمه هيج الرابع .

وكان وصول هيج الرابع إلى عرش قبرص يمثل بدء المرحلة الأكثر أهمية فى تاريخ أسرة لوسينيان ، وكذلك بالنسبة لازدهار الأوضاع فى الجزيرة . ذلك أنه بعد إستيلاء المسلمين على عكا ، وكانت آخر معاقل الصليبيين فى الشام ، أصبحت قبرص هى البلد الوحيد فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط الذى يخضع لنظام مسيحي . وجاء التجار البنادقة ، الذين خرجوا من الاراضى المقدسة ، لى يقيموا فى فاجوستا ، الميناء الرئيسى للتجارة مع الشرق ، ومركز التهريب ، والنشاط التجارى غير المشروع ، بين البندقية ، وسلطنة المماليك ، والأتراك العثمانيين . ولقد شارك هيج فى التحالف المسيحي ، الذى تم تكوينه ضد المسلمين ، وانضم إليه ،

وأرسل أسطول له لكي يستولى على جزيرة إيمبروس ، وعلى ميناء أزمير ، في آسيا الصغرى . وحين شعر بقرب منيته ، تنازل عن العرش ، في عام ١٣٥٨ ، في صالح ابنه بطرس ، وتوفي بعد عام من ذلك .

## ٧ - حملة بطرس الاول وضمف المملكة :-

وبدأ الملك بطرس الاول ، بمجرد وصوله إلى العرش ، في العمل من أجل إعداد حملة صليبية ضد الأتراك . وكان جريئا ، ويعتبر نفسه على أنه يمثل روح الفروسية السابقة ، وكان آخو يمثل لحركة المد الصليبي ، وآخر أمل للغرب المسيحي . وبعد قيام بطرس بالاستيلاء على أضايا ، وعلى جوريكوس ، في آسيا الصغرى ، قام برحلة إلى أوروبا ، لكي يحصل على تأييد البابا ، ومعونة الملوك الغربيين من أجل الإعداد لحملة صليبية جديدة . ولكنه لم يحصل ، رغم ترحيبهم الكبير به ، والوعود الشفهية بالدعم ، على أى شيء . فعاد إلى قبرص خاوي الأيدي ، وإن كان قد استمر على تصديمه على تنفيذ مشروعه . ولقد سافر في عام ١٣٦٥ على رأس أسطول له إلى جزيرة رودس ، وفرض الغرامة والتحالف على بعض رؤساء آسيا الصغرى . ثم عمل على مهاجمة مصر ، وحاصر ميناء الاسكندرية وبحركة سريعة ، تمكن رجاله من الاستيلاء على هذه المدينة . وفكر بطرس في إمكانية التقدم صوب القاهرة ، ولكن رجاله وحلفاءه رفضوا إلتباعه . وبعد ثلاثة أيام من نهب المدينة ، ترك بطرس الاسكندرية ، وعاد إلى قبرص . ولقد احتفظ حتى آخر أيامه بأمل العودة إلى حملة صليبية جديدة . ولقد عقد إتفاقيات تحالف وذهب من جديد إلى أوروبا يطلب معونة البابا ، ولكنه عاد مرة أخرى إلى قبرص وأيديه خالية . وكانت الجمالة المالية للجزيرة سيئة ، والخزانة شبه خاوية ، بسبب نفقات الحرب الباهظة . وعلاوة على سوء الأحوال الاقتصادية ، كان على الملك أن يواجه منافسات جديدة ظهرت بين مجموعات الفرسان ، وكذلك مشكلات

أسروية . ولم يقبل الالهانة التي وجهت إلى شرفه ، فحاول أن يثار ، ولكنه أغتيل على أيدي منافقيه ، وبمساعدة إخواته . وقطعوا رأسه ، وعرضوها على الآلهى المتجهمين أمام القصر ؛ ثم أعلنوا إرتقاء ابنه القاصر ، بطرس الثانى ، عرش قبرص . ومنذ وفاة بطرس الاول ، أصبحت المملكة ، فى قبرص ، تحت رحمة مجموعات البارونات ، ومنافسات المعمرين البنادقة وأبناء جنوا . وفى عام ١٣٧٢ ، وفى وقت تتويج الملك الشاب بطرس الثانى ، تنازع أبناء البجاليين من المعمرين على أهمية كل من البجاليين بالنسبة للبجالية الأخرى . وتطورت الخصومة إلى معركة دموية ، ثم إلى صدام معان ، كانت نتيجة إستيلاء أبناء جنوا على فماجوستا فى عام ١٣٧٤ ، ولم يعد الملك سيدا على كل الجزيرة ، وأصبح عليه أن يطلب التصريح من أبناء جنوا قبل زيارة فماجوستا ؛ وقام من خلفه ، وهو الملك جاك الاول ، بحماية المناطق الخلفية من البلاد ضد هجمات أبناء جنوا . واتخذ لارناكا مقراً له ، بدلا من فماجوستا ، وكانت لارناكا قد أهملت حتى ذلك الوقت . ولقد واصل ، وحتى وفاته فى عام ١٣٨٩ ، محاولاته الفاشلة من أجل إستعادة فماجوستا والتي بقت فى أيدي أبناء جنوا . وبعد وفاة رئيس الأساقفة اللاتينى لنيقوسيا ، أقنعت هيلانة الملك بأن يعين كنخليفة له أحد أعضاء الكنيسة اليونانية . وأمام رفض البابا الموافقة على هذا التعيين ، قام الملك بمصادرة أملاك الكنيسة ؛ ولكنه اضطر ، ونتيجة لتدخل النبلاء ، إلى إعادتها ، وقبل تعيين رئيس الأساقفة الذى إختاره البابا . وكانت هيلين لانقيل تدخل زوج إبنتها الوحيدة ، شارلوت ، فى شؤون الدولة ولاتوافق على طريقته فى حماية الكنيسة اللاتينية ، فمارست كل نفوذها حتى تنفيه بعيداً عن قبرص .

\* \* \*

وهكذا ضعفت قبرص بشكل واضح ، من عام ١٤٥٨ حتى عام ١٤٨٩ ،

والذى تمثل نهاية حكم كاترين ، آخر من حكم قبرص من أسرة دى لوسينيان .  
لإنها فترة إحتصار المملكة ، ووقوعها تحت سيطرة ونفوذ كل من المماليك فى مصر ،  
البنادقة ، من جانب آخر .

ولذلك فإنه من الأصوب الحديث عن هذه المرحلة ، مع الحديث عن نظام  
حكم البنادقة للجزيرة ، ابتداء من عام ١٤٨٩ — وذلك كفترة تمهيدية تصل إلى  
عام ١٥٧١ ، والذى تمت فيه عملية إستيلاء العثمانيين على جزيرة قبرص . لأنه  
موضوع الفصل الرابع .



## البَابُ الثَّانِي

قبرص تحت الحكم العثماني





## الفصل الرابع

### ضعف قبرص ونفوذ المماليك والبندقية .

#### ١ - احتصار مملكة قبرص (١٤٥٨ - ١٤٨٩) :

بعد وفاة الملك حنا الثاني ، والتي حدثت في عام ١٤٥٨ ، وبعد بضعة أشهر من وفاة زوجته ، شارلوت ، أصبحت ابنتها الوحيدة ملكة شرعية على قبرص . وبعد عام من ذلك ، تزوجت من ابن عمها لوى دى سافوا . ولم تحكم إلا لمدة بضعة أشهر : وطالب جاك ، الابن الطبيعي لحنا الثاني ، بعرش قبرص لنفسه . وكان جاك محبوباً للغاية بين اليونانيين ، ولكن الفرسان كانوا يكرهونه ، بسبب طريقة مولده ؛ ولذلك فانه عجز عن الوصول إلى هدفه . ولقد نخشى على حياته فسافر سراً من الجزيرة ، ولتجأ عند صاحب السيادة على قبرص ، سلطان المماليك في مصر . وقدم نفسه إليه على أنه هو الوارث الشرعى الوحيد لعرش الجزيرة ، وطلب منه أن يعطيه العون ، في نظير دفع جزية سنوية .

ومع هذا العون ؛ عاد في عام ١٤٦٠ إلى قبرص ، واحتل مدينة لارناكا بدون مقاومة . وتقدم إلى داخل الجزيرة مع هتافات الألهالى ، وأصبح سيداً عليها في فترة عدة أيام ، بينما اضطرت شارلوت ، مع زوجها وعدد من الفرسان المخلصين ، إلى أن تلتجئ إلى كيرينيا . ودون أن يخسر الوقت ، توج نفسه في نيقوسيا ، ملكاً على قبرص وبيت المقدس وأرمينيا ؛ ثم استولى على مدينة فاجوستا من أبناء جنوا .

وفي أثناء ذلك الوقت . كانت شارلوت وزوجها المحصورين منذ ثلاث سنوات في قلعة كيرينيا ، قد رفضا دائماً التخلي عن حقوقهما في العرش ؛ ولكنهما

إضطرا . بعد خيانة الفرسان لهما ، إلى الفرار إلى روما ، حيث عاشا في المنفى . ولم يكن لهما أولاد ؛ فقررت شاولوت أن تتنازل عن حقها في عرش قبرص إلى أسرة سافوا ، التي كان ينتسب إليها زوجها .

وكان رد فعل الملك جاك سريعا ؛ فأرسل سفارة إلى البندقية ، لكي تطلب له يد الأميرة كاترين ، سليلة أسرة كورنارو النبيلة ؛ وتطلب عقد التحالف بين قبرص وبين جمهورية البندقية . وبعد الزواج ، الذي تم بتوكيل في كاتدرائية القديس مرقس ، ذهبت كاترين ، ومعها مائة ألف دوقى ، منحتها لها الجمهورية ، وسافرت إلى قراجوستا . ومنذ هذا الوقت ، حانت نهاية أسرة لوسيتان . فلقد عهدوا بأمر حماية المملكة إلى البنادقة . وتم تعيين بيير موشنيجو أميرالا لقبرص . ولم يعد في وسع الفرسان أن يقاوموا عملية تغلغل البنادقة في القصر الملكي ، وفي الجيش . وفي عام ١٤٧٣ ، توفي الملك جاك ، بعد مرض قصير ، وترك أرملته حامل . وتم تعيين كاترين ، ويعاونها مجلس من النبلاء ، كوصية على العرش ، حتى يولد الطفل . والواقع أن عمها ، أندريه كورنانو ، كان هو السيد الفعلى للجزيرة . ولقد إتهمه الفرسان بأنه قد دس السم للملك جاك . وبعد بضعة أشهر ، ولدت كاترين لابنا ، هو جاك الثالث ، الذى لم يعيش إلا عام واحد . وبعد موته ، خشى الفرسان من أن يقوم البنادقة باحتلال الجزيرة ، فقرروا منح تاج قبرص لآلفونس ، الابن الطبيعى لفريناند ، ملك نابولى . وحصلوا على تصريح بذلك من البابا ، عن طريق رئيس أساقفة نيقوسيا اللاتينى . ولقد أعلن الفرسان أن أندريه كورنار وهو الذى قتل الملك ، ودخلوا في أثناء الليل إلى القصر الملكى ، وقتلوه وقتلوا في نفس الوقت مارك بامبو ، نحال الملكة كاترين ، ومستشارها ومع ذلك ، فإنهم لم ينجحوا في تنفيذ خططهم للنهية ، وذلك بسبب معارضة الأهالى اليونانيين . وكانت كاترين هى آخر ملكة لقبرص ، حتى وقت التنازل عن الجزيرة للبندقية ، في عام ١٤٨٩ .

## ٢ - نظام حكم البنادقة (حتى عام ١٥٧١) :-

في عام ١٤٧٤ ، وبعد واحد من مقتل عمها ، وأكبر مستشاريها ، فقدت كاترين كذلك ابنها الوحيد ، الملك جاك الثالث الصغير وإنتهت بذلك أسرة لوسينيان . وعندئذ أصبحت كاترين هي الملكة الأم في قبرص . ولكنها كانت وحدها ، وكانت مؤمرات الأحزاب مستهرة . ولم تعد السلطة الملكية إلا ظلالا كانت عليه من قبل . ولم تعد الملكة سوى سيدة إسمية للجزيرة ، بدون قوة ، وغير قادرة على أخذ قرار ، وتحت رحمة منافسة المجموعات . ولم يعد في وسعها أن يسيطر على الصراع المستمر الذي تقوم به المعارضة ؛ وكانت محبوبة للغاية من جانب الشعب ، ولكن النبلاء كانوا يكرهونها ، وينظرون إليها على أنها أجنبية ، وكان عليها أن تواجه هذا العداء الواضح ، وكذلك أمر التهديد من جانب العثمانيين . وحين لم يجد التأييد من حولها ، فالتجأت إلى البندقية ، التي أرسلت لها إثنين من المستشارين . ومنذ ذلك اليوم أصبح تدخل البندقية متزايدا في قوته . وإستولى البنادقة على أزمة الأمور في الحكومة ، رغم معارضة النبلاء . ومرت الإدارة كلها بين أيديهم ، ولم يعد للملكة سوى التوقيع على أوامره . والحقيقة أن إستقلال الجزيرة قد إنتهى . وفي عام ١٤٨٧ تم رفع علم القديس مرقس على نيقوسيا . ولم يبق سوى أمر الضم الرسمي إلى جمهورية البندقية ، الأمر الذي حدث بعد عامين من ذلك ، وفي عام ١٤٨٩ ، دعت كاترين إلى البندقية ، حيث تم إستقبالها بكل تقدير ملهي ، ولكنها أجبروها هناك على التنازل عن العرش في صالح جمهورية البندقية . ولقد منحوها ، وفي نظير تنازلها عن العرش ، قصر أسولو ، الذي أمضت فيه حياتها في عزلة ، حتى وفاتها في عام ١٥١٠ .

وكانت البندقية تعرف تماماً الصعوبات الخاصة التي تواجه حكومة الجزيرة وكذلك الأنظار الخارجية ، فوضعت نظامها هناك بكل حذر . ولما تبعد كل سوء تفاهم مع الخارج ، ضمنت لسلطنته الممالك في مصر دفع الجزية السنوية

بانتظام ، وعرضت على نبلاء الجزيرة ألقاب صرف من جمهورية البندقية، ولكنهم رفضوها بإحتقار . ومنحت سكان أمر الاستمرار في تطبيق النظام الذى كان متبعها في بيت المقدس ؛ ولما ألفت نظام المجلس الأعلى « . وأعاد تنظيم الإدارة على نفس الطريقة المتبعة في البندقية، وذلك بوضعها على رأسها حاكماً من البندقية، من النبلاء ، ويعاونه إثنان من المستشارين ، ويشكل معها « مجلس رئاسة » Rectorat للجزيرة . وهؤلاء الرؤساء الثلاث يكونون القيادة العليا لقبرص . وليست لهم مسؤولية سوى أمام مجلس شيوخ الجمهورية « بشأن الإدارة الداخلية للجزيرة ، ويكلف مراقب عام Provéditeur بالشئون الخارجية وبالدفاع عن هذه الممتلكات الجديدة . ولكي يحافظوا على إحترام القوانين والنظم ، منحوا النبلاء الحق في أن ينتخبوا من بينهم ، وكل عامين ، أحد السادة الذى يحمى التشريع . وفيما عدا هذه التعيينات، وبعض التغييرات الادارية والعسكرية الأخرى، لم تكن هناك ، فيما يتعلق بشعب الجزيرة ، إختلاف كبير بين النظام الجديد، وبين نظام أسرة لوسينيان . ولم تغير وضعية الكنيسة اليونانية . وظل التمييز الإجتماعى كما كان . وحين كان البنادقة يحتاجون للمال (وكانوا دائماً في حاجة إلى الأموال نتيجة لخلو خزائهم بشكل دائم) كانوا يلجئون ، وكما كان يحدث في عهد حكم آل لوسينيان ، إلى بيع الأراضى للتابعين ، ويسمحون للعناصر الفرنجية الأصل بإعادة شراء إعفائهم من السخرة . وكانت النفقات العسكرية الضخمة تستدعى فرض ضرائب جديدة ، وطلب تقديم كميات نوعية من المنتجات الزراعية .

أما من الناحية الاستراتيجية ، فإن البنادقة قد عملوا ، منذ سيطرتهم على الجزيرة ، على تحصينها ، الأمر الذى كان قد أهمل في أثناء الفترة الأخيرة من حكم أسرة لوسينيان . فنهضوا أعمالاً وأشغالا عسكرية ضخمة في فاجوستا ، وفي

نيقوسيا، وفي كيرينيا، وكذلك في المدن الأخرى . وكانوا يخشون من خطر العثمانيين فأرسلوا إلى الجزيرة مجموعة من أحسن مهندسيهم المعماريين ، لكي يقوموا ببناء التحصينات في فماجوستا ، وفي نيقوسيا ، وهي التحصينات التي لا تزال موجودة حتى الآن . وأنشئوا هناك أبراج مراقبة على قمم الجبال ، وعلى سواحل الجزيرة كانت تراقب ليلاً ونهاراً ، حتى تسرع بإبلاغ السلطات حين إقتراب سفن القرصنة .

ولست هناك إحصاءات دقيقة عن عدد سكان الجزيرة وقت حكم البنادقة . واسكن وصف المؤرخين يمكننا من إستخلاص أن عدد السكان . والذين كانوا يعملون في غالبيتهم بالزراعة ، كان يتراوح في هذه الفترة فيما بين ١١.٠٠٠ و ١٩٧٠٠٠ نسمة ، بما في ذلك ٦.٠٠٠ يمشون رجال الحامية من البنادقة . ولقد ساد السلم قبرص ، وحتى وقت إستيلاء الأتراك العثمانيين عليها ، في ١٥٧٠ - ١٥٧١ ، فيما عدا ثلاثة أحداث ، عكرت صفوه . وكان الحادث الأول يتمثل في الهجوم على بعض السفن العثمانية . ففي شهر نوفمبر ١٥٣٣ ، أصدر «مراقب» عام الجزيرة أوامره بمهاجمة السفن العثمانية التي تسير قرب سواحل قبرص ، ومعاملتها على أنها سفن قرصنة . ولكن هذه المسألة سويت سريعاً ، بعد الاعتذارات التي قدمتها البندقية للدولة العثمانية . أما الحادث الثاني فقد وقع بعد بضع سنوات ، وحينما تعرضت جزيرة قبرص للهجوم العثماني الأول ، وذلك في الوقت الذي قام فيه خير الدين بربروسا بإحتلال جزر بحر إيجه ، ولم تفلت جزيرة قبرص من التعرض لهذا الخطر . وفي عام ١٥٣٨ تعرضت مدينة ليماسول البحرية لهذه الهجمة ، وتم إحتلالها ، ولكن هذا الإحتلال لم يستمر لفترة طويلة . وفي عام ١٥٤٠ ، وبعد عقد الصلح ، انسحب الأتراك من المدينة . أما الحادث الثالث ، فكان داخلياً ؛ ولقد وقع في عام ١٥٦٥ ، وبسبب المجاعة

واليؤس ، اللذين انتشرا في الجزيرة في هذه الفترة . وقام أهالي نيقوسيا ، وهم مسلحون بالحجارة ، بغزو قصر المراقب ، العام ، وطالبوا بالخبز ؛ ولكنهم تفرقوا بعد أن وعدوا بتحسين الأحوال ، وتوزيع مواد المعيشة .  
ولكن نهاية إحتلال البندقية للجزيرة كان قريباً . وكان تزايد قوة الدولة العثمانية يثير مخاوف جمهورية البندقية ، التي كانت ترغب في نفس الوقت في الاحتفاظ بممتلكاتها ؛ فاضطرت إلى البقاء على الحياد التام . ولكنها عجزت عن تطبيق ذلك الحياد .

### ٣ - إحتلال العثمانيين على الجزيرة (١٥٧١) :-

ولقد قام العثمانيون ، في عام ١٥٦٦ بالاستيلاء على جزيرة خيوس ؛ وقاموا في عام ١٦٦٧ بالاستيلاء على جزيرة ناكسوس . وأصبح السلطان سليم الثاني يزيد من طلباته ، وبشكل مستمر ، من البنادقة ؛ ولم يخف نيته في إحتلال جزيرة قبرص . وفي عام ١٥٧٠ ، أرسل سفيرا إلى البندقية ، لكي يطالب بالتنازل له عن جزيرة قبرص ، لأسباب تتعلق بالأمن ، وبالجوار الجغرافي .

ولكن مجلس الشيوخ في البندقية ، رفض هذا الطلب ، وبشكل إحتقار ، وأفهم السفير العثماني أن جمهورية البندقية مصممة على الإحتفاظ بجزيرة قبرص ، مهما كان الثمن . ومنذ ذلك الوقت ، بدأ الصدام المسلح .  
وكانت لإجابه البندقية قد أخذت شكل إهانة للسلطان ؛ فأصدر أمره إلى المصطفى ، قائد جيشه ، لإعداد حملة على قبرص ؛ وبعد بضعة أشهر ؛ وصل الأسطول العثماني إلى ميناء لارناكا ، وإحتلها بسهولة . ولكن البنادقة كانوا قد إحتفظوا بقوتهم من أجل الدفاع عن نيقوسيا ، العاصمة ، وفماجوستا ، الميناء الرئيسي ؛ كما كانوا قد إحتفظوا بأحدى الحاميات للدفاع عن مدينة كيرينيا الصغيرة ، في شمال الجزيرة .

وقرر مصطفى باشا أن يهاجم في أول الأمر نيقوسيا ، والتي كانت تحصيناتها أقل من تحصينات فماجوستا ، حتى تكون له حرية عمل أكبر ، ويحتفظ بالبلاد الخلقية تحت تصرفه . أما سكان المدينة من اليونانيين فكانوا غير راضين عن البنادقة ، ولم يظهروا أى عداوة للعثمانيين . ولقد عملت سلطات نيقوسيا على أن تستثير اليونانيين على القتال ، وتؤكد لهم أنها سوف تقوم باصلاحات ، في صالحهم ، ولكن بلا جدوى . وتم حصار نيقوسيا ، قرب نهاية شهر أغسطس بقوات مصطفى باشا . ولقد دافع البنادقة عنها بكل بسالة ، رغم انسحاب قائد جيشهم ، الذى اختلف مع القائد الثانى ، وترك العاصمة ، وذهب إلى المدافعين عن مدينة فماجوستا . ولم ينجح العثمانيون ، رغم هجماتهم المتكررة ، فى الانتصار على البنادقة ؛ وإقترحوا كذلك على المدافعين أمر التسليم ، ولكن البنادقة ، رفضوا ذلك .

وفى ذلك الوقت ، تدعم موقف المهاجمين نتيجة لوصول جيش بيالى باشا ، ونزوله إلى الجزيرة ، فعادوا إلى عملية تحويل الحصار إلى عملية هجوم على نيقوسيا . وأصبح موقف البنادقة ، ومنذ الأيام الأولى من شهر سبتمبر ، بلا أمل ؛ واضطروا إلى التسليم يوم ٩ سبتمبر . ورفع العلم العثمانى ، الذى يحمل الطلال على تحصينات المدينة . وبعد ثلاثة أيام من تطهير للمدينة ، تم تحويل كاتدرائية القديسة صوفيا إلى جامع . وانتهت المقاومة .

وبعد سقوط مدينة نيقوسيا قليل ، تم سقوط فماجوستا . ولقد بدأ مصطفى باشا محاصرة فماجوستا فى أثناء شهر أبريل ١٥٧١ ؛ وكانت قواته قد تدعمت بقوات أتت إليه من سوريا ، ومن آسيا الصغرى ؛ فركز حصاره لهذه القلعة الأخيرة للبنادقة فى قبرص . وفى داخل هذه المدينة المحاصرة ، قام مارك أنطوان براجادينو القائد العام ، بمواصلة الحرب والمقاومة ، ومع قواته التى بلغت

## - ٧٤ -

، ، ٧ مقاتل ، وحتى النهاية . ولمدة عدة أشهر ، لم يتمكن المحاصرون من الحصول على أى نتيجة ، ولكن المدافعين عن المدينة أصبحوا محصورين من ناحية البر ، وكذلك من ناحية البحر ، ولقصتهم الذخائر ومواد التموين وقرب بداية شهر أغسطس ، عرضوا على مصطفى باشا أمر تسليم فماجوستا ، بشروط مشرفة ، وقبل مصطفى باشا ذلك . ويقال أنه ضمن سفر الجيش إلى كريت ، مع أسلحته ومهمات ، وأنه وعد سكان المدينة بحرية ممارسة طقوسهم الدينية ، مع إحترام أملاكهم . ولكن مصطفى باشا أمر ، بعد وصول براجاديتو إلى مقر قيادته ، بالقاء القبض عليه ، وتكبيله بالسلاسل ، ثم أمر بقتله . ولقد عرضت رأسه على سكان المدينة ، ثم أرسلت إلى إستنبول . ولقد قام أخاه بشراء هذه الرأس بعد بضع سنوات ، ودفنت في أحد كنائس البندقية . وبعد مأساة فماجوستا ، دار الزمن على الدولة العثمانية ، في موقعة ليباناتو . فعلى القرب من هذه المدينة البحرية ، الواقعة على خليج باتراس ، إنتقم الغرب المسيحي من الأتراك ، ومن عملياته إستيلائهم على قبرص . ففى يوم ٧ أكتوبر ١٥٧١ ، إنتصرت الأساطيل المتحدة للبندقية وإسبانيا ، على الأسطول العثماني ، وتمكنوا من أخذ خمسة عشر ألف أمير مسيحي ، كانوا يجدفون على السفن العثمانية . وبعد عامين من ذلك ، وقعت البندقية على الصلح مع الدولة العثمانية ، وتنازلت عن كل حقوق لها على قبرص ودخلت قبرص عهداً جديداً ، هو العهد العثماني .



## الفصل الخامس

### العهد العثماني (١٥٧١ - ١٨٧٨) .

#### ١ - التنظيم الإداري :

كان غزو الأتراك العثمانيين لقبرص يمثل نهاية السيطرة اللاتينية على الجزيرة ، والتي كان عليها بعد ذلك أن تعيش تحت نظام « غير مسيحي » ، حتى وقت التنازل عنها لبريطانيا العظمى ، في عام ١٨٧٨ . ولكن الغزو التركي لم يكن مجرد تغيير في السلطة ، كما كان إحتلال البنادقة ، وبدون تغييرات في البنيان الإجتماعي والكنسي والديني : بل لقد قام تنظيم جديد للأمور ، وفي كل ميسادين الحياة في الجزيرة .

وسرعان ما حلت الإدارة المدينة محل السلطات العسكرية ، بعد وفاة العمليات الحربية . وعين السلطان حاكماً عاماً للجزيرة ، يحمل لقب باشا . وكان يماونه إثنان من الباشوات الآخرين ، وكانا مكلفان بالإدارة المحلية لإقليمى بافوس وفماجوستا . وكان الباشا هو سيد الجزيرة ، وكانت مسؤوليته أمام الصدر الأعظم . وتم إلغاء النظام الإقطاعي ولم يعد هناك سادة ، ولا تمييز بين الطبقات الاجتماعية ، بين الأهلالي اليونانيين ؛ ولم تسمح الإدارة الجديدة بوجود أرسقراطية محلية ، أو طبقات مميزة .

وبدلاً من قوانين مملكة بيت المقدس التي كانت مطبقة ، أدخل الأتراك العثمانيون نظامهم القضائي ، وكان القانون الشرعي مستمد من القرآن . ولقد قسمت الجزيرة إلى سبعة عشر قضاءً ، أو منطقة قضائية ، مع محاكم من الدرجة الأولى ، وأنشئت محكمة إستئناف في نيقوسيا ، تحت رئاسة قاضي شرع ، ولكنه لم يكن من

حق اليونانيين أن يعينوا في مناصب القضاء ، كما أنهم كانوا لا يقبلون كشهود في القضايا بين المسلمين والمسيحيين .

وتم فرض النظام الضرائب ، الذى كان مطبقا على بقية أنحاء الامبراطورية العثمانية ، على سكان قبرص . فأصبح عليهم دفع نفقات الحامية العثمانية ؛ وأصبحوا يدفعون الضرائب على الاراضى وعلى المياه ، ورسوم للجمارك ، وضرائب نوعية على المحصولات الزراعية . وكان على المسيحيين ، أو « الرعية » أن يدفعوا علاوة على ذلك ضريبة الرؤوس ، نتيجة لاعفائهم من التجنيد .

ولكى يحددوا عدد دافعى الضرائب ، أخذ الأتراك العثمانيون ، بعد إقامتهم في الجزيرة بعدة أشهر ، في عمل احصاء للسكان ، الذين وصل عددهم في ذلك الوقت إلى ١٦٠.٠٠٠ من المسيحيين ، و ٢٠.٠٠٠ جندي من الأتراك . ولقد ذكرت المصادر الرسمية أنه لم يعد هناك لاتين في الجزيرة بعد الاحتلال العثماني . ولكن من المؤكد أن غالبيتهم كانت قد فرت بعد وصول العثمانيين ، ومن المؤكد تقريبا أن بعض أفراد الأسرة اللاتينية والمارونية ، والتي كانت قد التجأت إلى قبرص بعد سقوط عكا ، لم تتمكن من ترك الجزيرة ، وكانت موزعة على القرى ، ودخلت إلى الاسلام حتى لاتعرض للإضطهاد . ومع ذلك فإن بعضهم قام بذلك ظاهرياً وكونوا بذلك طائفة خاصة من المسيحيين القبارصة ، ويطلق عليهم اسم لينومباكي ( مرتضى التيل والقطن ) ؛ وكانت بعض سلالاتهم موجودة حتى وقت الاحتلال البريطاني للجزيرة . ورغم أنهم كانوا قد أعلنوا دخولهم إلى الاسلام ، فإنهم لم يتخلوا أبداً ، في حقيقة الأمر ، عن دينهم . وكانو يعملون أطفالهم سرّاً ، ويحملون أسماء مسيحية ، في السر ، علاوة على أسمائهم المسيحية .

ولكى يسهلوا أمر إقامة الأتراك في الجزيرة ، قام السادة الجدد بتوزيع قطاع من الاراضى ، بجانب ، على المحاربين القدماء ، وأخذوا هذه الاراضى من الاراضى

السابقة للسلادة البنادقة ، والفريجه . ولكنهم باعوا كذلك مساحات من الأرض للأهالى اليونانيين ، ولم يعاملوهم معاملة شعب مقهور . ومع ذلك ، فإنهم لم يسمحوا لهم بحمل السلاح ، ولا بركوب الخيل ، وهى الميزات التى إحتفظوا بها للأتراك وحدهم ، كما هو الحال فى بقية أنحاء الدولة العثمانية . وكان على اليونانيين أن يدفعوا الجزء الأكبر من نفقات الاحتلال . وكانوا يمدون بمسؤولية جمع الضرائب إلى ملتزمين خاصين ، يشترون بالمزاد حق جمع الضرائب فى منطقة معينة . وكانوا يجمعون الضرائب ، ويزياده ، أو فائض ، حتى يعرضوا بجهودهم . وهكذا كان على الأهالى أن يدفعوا ، علاوة على ضرائبهم ، أرباح الملتزم ، ومصاريه جمع الضرائب .

#### ٢ - إعادة إنشاء الكنيسة اليونانية : -

ولقد أرسل يونانيو قبرص ، بعد إنشاء السلطات المدنية العثمانية فى جزيرتهم مباشرة ، وفداً من أعيانهم إلى إستانبول ، لكى يطلبوا إلى السلطان إعادة إنشاء الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ، والتى كانت قد ظلت تقريبا غير موجودة خلال الثلاثة قرون الماضية . ولقد قابل الوفد الصدر الأعظم ، الذى حصل منه على تأكيد بولاء سكان الجزيرة للنظام الجديد ، وحصل فى نظيره ذلك على الحرية الدينية ، والتصريح باعادة إنشاء الكنيسة الأرثوذكسية ، بحقوقها ، وتقاليدها السابقة . وحصل ، علاوة على ذلك ، على حق إعادة شراء الأديرة التى كان العثمانيون قد صادروها . وحرية إمتلاك الكنيسة للدور وللأراضى ، وحتى فى مدينة فاماغوستا ، والتى كانت محجوزة للمسلمين . ولكن هذه الامتيازات لم تمنح إلا على أساس عدم السماح لأى شخص من المذهب اللاتينى بالدخول فى الكنائس اليونانية .

وبعد عودة الوفد إلى جزيرة قبرص ، قام الاساقفة بانشاء المجمع المقدس ،

وعاد رئيس الأساقفة إلى نيقوسيا ، كما عاد بقية الأساقفة من الأماكن التي كانوا فيها ، إلى مدن فاجوستا ، ولیماسول ، وبافوس . وبعد بضع سنوات ، أخذت أسقفية كيرينيا مكان أسقفية فاجوستا . وهذه الامتيازات التي معتها السلطات العثمانية للكنيسة اليونانية في قبرص ، نلها منح أخرى ، في أثناء القرن الثامن عشر . فلقد أصدر السلطان خطأ ( مرسوماً ) شاهانيا ، في عام ١٧٥٤ ، يعترف فيه رسمياً برئيس أساقفة قبرص ، والثلاث أساقفة الآخرين في الجزيرة ، ممثلين للأهالي اليونانيين في قبرص ، مع حق الاتصال مباشرة مع الباب العالي ، دون المرور عن طريق الحاكم العام للجزيرة . أما فيما يتعلق بعلاقاتهم مع السلطات المدنية المحلية ، فإن الأساقفة أصبحوا يستخدمون إدارة المترجم الرسمي في قصر الحاكم . وكان هذا المترجم دائماً من اليونانيين ، ويتم اختياره من بين نبلاء نيقوسيا ؛ وسرعان ما حصل على سلطة كبيرة ، وإن كانت أقل من سلطة كل من الحاكم ورئيس الأساقفة . وكان رئيس الأساقفة هو الذي يعينه ، وكان في نفس الوقت يعبر عن رغباته لدى الحاكم ، كما كان هو المتحدث باسم الحاكم عند رئيس الأساقفة . ولم يكن من الممكن فرض أى نص على المسيحيين إلا بعد استشارة رئيس الأساقفة وعن طريق المترجم . وفي حالة إصرار الحاكم ، كان من حق رئيس الأساقفة أن يرفع الأمر إلى الباب العالي . وكان من حق رؤساء الكنيسة ، هم كذلك ، أن يأخذوا المضرائب من المسيحيين ، من أجل صيانة الكنائس ، كما كان لهم الحق الكامل في ممارسة النظام الكنسي على القديس ، وأن يحكموا ، وطبقاً للقانون الكنسي ، في خلافات الأحوال الشخصية بين اليونانيين .

وهكذا ، أصبح رئيس الأساقفة هو السلطة الإدارية الثانية في الجزيرة . وباعتراف السلطان به كرئيس وممثل الأهالي اليونانيين في الجزيرة ، وطبقاً لنص « براءة » الترسيم ، أصبح هو الرئيس الروحي لقبرص ، وهو اللقب الذي

. إستفظ به طوال العهد العثماني ، وحتى كذلك أثناء الحكم البريطاني .  
ومع ذلك فإن بعض الأحداث الداخلية وقعت ، وبشكل مؤقت ، في الكنيسة  
القبرصية ، فلقد وقعت بعض المنافسات بين المتقدمين لكرسي رئاسة الأسقفيات ،  
وتسببت في بعض الأحيان في نشأة صعوبات بين الكنيسة وبين الأهلالي في قبرص .  
ولكن هذه الأمور كانت عارضة ، وكثيراً ما كانت تسوى بواسطة بطريرك إستانبول ،  
وبقية البطاركة اليونانيين . وبشكل عام ، كان مركز الكنيسة القبرصية ثابتاً في هذه  
الفترة ، وذلك حتى وقت نشوب حرب إستقلال اليونان ، في عام ١٨٢١ ، حين  
قام الأتراك بقتل رئيس الأساقفة ، وغيره من رؤساء الكنيسة ، نتيجة لتحرّيكهم  
للثورة ، كما سنشرح فيما بعد .

وإلى جانب وظائفهم الكنسية ، كان رؤساء الكنيسة القبرصية يظهرون دائماً  
إهتماماً بتعليم الشباب ، وينشر الثقافة اليونانية . وقاموا بإنشاء المدارس الابتدائية  
في مدن وقرى الجزيرة ، وعلى حساب الكنيسة . كما قام رئيس الأساقفة ، فيلوتيوس ،  
بإنشاء مدرسة عليا في نيقوسيا ، منذ أواسط القرن الثامن عشر .

### ٣ - التطورات السياسية :

ولقد مرت بالجزيرة بغض التطورات السياسية ، تمثلت في محاولات أولى  
للمتمرر ، ثم خضعت بعدها جزيرة قبرص للحكم العثماني ، وأصبحت ولاية عثمانية  
من عام ١٥٧١ حتى عام ١٨٢١ ، وفي أثناء هذه الفترة وقعت كذلك ثورة في  
عام ١٧٦٤ ، كما وقعت فيها ثورة تالية ، تعرف باسم ثورة خليل أغا .

أما عن المحاولات الأولى للمتمرر فتتلخص في أن بعض أبناء الجزيرة ، قد صدقوا  
تأكيدات عملاء البنادقة ، الذين وعدوهم بالعون السريع ، وحملوا السلاح في عام  
١٥٧٨ ضد سلطات الجزيرة . ولكن سرعان ما خابت آمالهم ، ولم يأت أي عون  
من البندقية ، أو إسبانيا ، أو البابا . ولم تستمر هذه الثورات إلا لفترة عدة  
أسابيع فقط .

وقامت بعد ذلك محاولة ثانية ، في بداية القرن السابع عشر ، وقام بها القبرصى فيكتور زيبيتوس ، ولم يكن مصيرها خير من مصير سابقتها . وقرب عام ١٦٠٠ ، قام دوق سافوا شارل إيمانويل فيليبير ، وكان يدعى حقه في عرش قبرص ، لقرابته للملكة شارلوت دى لوسينيان ، بوضع خطة جاده لغزو قبرص ، وإعادة النظام السابق . فدخل من أجل ذلك في علاقات مع رئيس الأساقفة ورؤساء الكنيسة القبرصية ، وأرسل إليهم ممثلان شخصياً . ووافق على شروط أبناء الجزيرة بشأن تفوق الكنيسة اليونانية ؛ ولكن الحالة الداخلية في دوقية سافوا لم تسمح له بتحقيق خطته . ومع ذلك ، فإن زيبيتوس ظل يأمل دائماً في الحصول على العون ، وحمل السلاح ضد العثمانيين . ولكنه ظل بمفرده ، مع بعض المخلصين له ؛ واضطر بعد بضعة أشهر ، إلى أن يترك الجزيرة ، حتى لا يقع في الأسر ولتجاء إلى سافوا .

وظلت جزيرة قبرص عثمانية ، من عام ١٥٧١ . وطبقا للنظام المطبق في الدولة العثمانية ، كثيراً ما كان السلطان يمنح ، وكنحه شخصية ، إدارة أحد الأقاليم إلى أحد رجال الدولة ، نظير دفع الجزية السنوية لخزانة الدولة ، أو حتى كمنطقة نفوذ شخصي ، ودون أن يدفع المستفيد من ذلك أى مبلغ مقدماً .

وفي عام ١٦٧٠ ، وبعد قرن كامل من نظام الإدارة المباشرة ، وضعت قبرص تحت إدارة أمير البحار العثماني ، القبودان باشا . ومع هذا النظام الجديد ، أصبح على القبارصة أن يدفعوا ، علاوة على الضرائب العادية ، ضريبة سنوية خاصة في صالح القبودان باشا . وسرعان ما أثارت هذه الضريبة الجديدة غضب الأهالي ، اليونانيين وكذلك العثمانيين ، الموجودين في الجزيرة ، ورفضوا دفعها . وتحول هذا الرفض إلى ثورة « بقيادة أحد كبار الأتراك في نيقوسيا ، الذي قام ، بمعاونة الآخرين ، بعمليات مقاومة امتدت إلى فترة سبع سنوات ، وحتى وصول الإمدادات

من إستانبول . ولكنهم اضطروا أخيراً ، ونتيجة لنقص التمويل ، إلى أن يتراجعوا عن المقاومة . وتمكنت قوات الباشا من أسرهم ، وشنقتهم في الأماكن العامة في نيقوسيا ولم يتغير نظام الضرائب .

ورغم المظاهر الواضحة لمساواة الإدارة غير المباشرة ، إستمر البؤس الناتج عن جشع الكثيرين من الموظفين . وفي عام ١٧٠٢ قرر السلطان أن يعهد بإدارة الجزيرة إلى الصدر الأعظم . ولكن هذا التغيير لم يحسن من النظام السابق ، وأجبر الفقر السائد في الجزيرة العديد من السكان إلى الهجرة إلى الخارج ، أملاً في الحصول على حياة أفضل . وظل عدد الأهالي يتناقص ، سنة بعد أخرى ، حتى اضطرت السلطان في عام ١٧٤٥ ، وتحت تأثير الطلبات الملحة للأساقفة والأعيان الأتراك ، إلى أن يرفع الجزيرة إلى مستوى الولايات الممتازة ، ويجعلها من البشالك . وعين لإدارتها أحد رجال خاصته ، ثم أبو بكر باشا ، في عام ١٧٤٦ ، وهو الذي أبدى اهتماماً كبيراً بشئون قبرص . وكانت فترة حكمه هي الفترة الأولى ، منذ الغزو العثماني ، التي عرفت فيها الجزيرة مزايا الإدارة الحسنة . وكان أبو بكر باشا ينفق ، حتى من أمواله الخاصة ، من أجل تنفيذ المشروعات ذات النفع العام ، والتي كان من بين أهمها مشروع مجارى مياه مدينة لارناكا . ولكن هذه الفترة لم تستمر سوى ثلاث سنوات ؛ وفي عام ١٧٤٨ ، وترك أبو بكر باشا وظيفته ، نتيجة لمؤامرات القصر ، وعادت لإدارة قبرص من جديد إلى أيدي الصدر الأعظم ، ووقعت قبرص في البؤس ، ودون أمل في التغيير . أما مطالب الأساقفة من أجل تقليل المساوىء ، من جانب الحاكم وموظفيه ، فقد ظلت ، فيما عدا إستثناءات نادرة ، بدون نتيجة . وهذه الحالة البائسة دفعت كذلك أترك الجزيرة أنفسهم إلى أن يفقدوا الأمل . ومرات عديدة ، قام اليونانيون والأتراك في الجزيرة ، بالاحتجاج لدى الباب العالي ، على شراهية الحكام ؛ وشكوا من حالة الإهمال التي تركوا فيها الجزيرة ،

ولكن بمجهوداتهم لم تؤد إلى تحسن الأحوال . وكان الحكام في غالبيتهم ، بدون كفاءة ؛ وغالباً ما كان هؤلاء الباشوات غارقين في الديون ، التي نزلت بهم نتيجة للانحراف ، والوصول إلى منصب الحكام ؛ وكانوا بعد تعيينهم ، يحاولون الإفادة من سلطتهم ، وإستغلالها ، من أجل تكوين ثروات على حساب الأهالي .

وأما عن ثورة عام ١٧٦٤ ، فنجد أن الأزمة المستعصية للجزيرة قد زادت خطورة ، في هذا العام ، نتيجة لتعيين غيل عثمان كحاكم للجزيرة . وبمجرد وصوله إلى نيقوسيا ، أبلغ رئيس الأساقفة أنه سيفرض ضرائب إضافية، حتى يتمكن من أن يدفع ديونه في إستانبول ؛ وكانوا قد عينوه حاكماً ، وكان قد وعدهم بدفع ديونه بما يمكنه أن يحصل عليه من منصبه الجديد . ورفض رئيس الأساقفة أن يوافق على ذلك . وعندئذ هدهد الحاكم بالحجز على ممتلكات الأديرة . ولكي يتحاشى تفافم الحال ، في حالة تنفيذ هذه التهديدات ، أرسل رئيس الأساقفة ، سرّاً ، وفداً إلى إستانبول ، لكي يطلب تدخل الباب العالي في الأمر . وأجاب الصدر الأعظم هذا الطلب ، وأصدر الأمر إلى الحاكم بالألا يطالب بأية ضرائب، غير المبالغ المحددة في الأوامر السلطانية ، وإلا فإنه يعرض نفسه للفصل . وحين وصلت الأوامر من السلطان ، طلب الحاكم لإجتماع الأساقفة والأعيان الأتراك في قصره ، من أجل قراءة فرمان ؛ ولكن حدث ، إما بتعمد أو كمجرد حادث ، أن وقعت أرضية صالة الإجتماع تحت ثقل الأشخاص المدعويين ، والذين وقعوا جميعاً في سرداب القصر . ونتيجة لصياعهم ، إعتقد الأهالي ، الديونانيون والأتراك ، والذين كانوا متجمهرين أمام القصر ، في أن هناك مقاومة مدبرة لإغتيال ممثلهم ، فهجموا على القصر ، من أجل إنقاذ رؤساء الكنيسة وأعيان الأتراك ، وقتلوا الحاكم ، ونهبوا القصر ، ثم أحرقوه . وبعد أن عاد النظام ، إختار الأتراك واحداً منهم لكي يحكم الجزيرة مؤقتاً ، وأرسلوا إلى إستانبول لكي يشرحوا أسباب الحادث ، ويقدموا



أسف مكان الجزيرة على الجريمة التي ارتكبت ضد مثل السلطان.

ومع تعيين الصدر الأعظم الحاكم الجديد للجزيرة ، أرسل معه ثلاثة من المسؤولين لعمل تحقيق ، ولتحديد قيمة التعويض الذى سيدفع لأسرة الحاكم المقتول ، والذى سيدفع لخزانة السلطان . وعندئذ اجتمع اليونانيون والأتراك ، وشرحوا أن غيل عثمان كان طاغية ، وأنهم لم يتمكنوا من تحمل طغيانه أكثر من ذلك ، سواء فى ذلك الأتراك أو الرعية ، من اليونانيين . ووعدوا بإعادة بناء القصر الذى لحرق ، وبدفع التعويض المطلوب .

وبعد أن قام مندوبو الصدر الأعظم بإتمام عملهم فى الجزيرة ، ووزعوا الغرامة بين السكان اليونانيين والأتراك ، عادوا إلى إستانبول ، وتركوا للحاكم الجديد أمر جمعها . ولكن الأتراك رفضوا ، بعد سفر المندوبين ، دفع نصيبهم فى هذه الغرامة ؛ وإدعوا أنهم لم يكونوا مسؤولين عما حدث . وحاول الحاكم العام أن يجبرهم على أن يدفعوا ، بالقوة ؛ ولكن ثلاثمائة من بينهم قاموا باحتلال طواحين كثيرية ، وحرموا بذلك نيقوسيا من الدقيق ومن الأكل . وبعد بضعة أيام أظهر خليل أغا ، قائد قلعة كيرينيا ، وعلناً ، نيته فى معارضة دفع الغرامة ، سواء كانت من جانب الأتراك ، أو من جانب اليونانيين . وأرسل مندوبين إلى مدن وقرى الجزيرة ، ومعهم أوامر للسكان برفض دفع أية ضريبة . وأمام مثل هذا الموقف ، عجز الحاكم عن مجرد جمع الغرامة . بل وأيضاً عن القيام بواجبات عمله ، إذ أنه لم يكن لديه سوى عدد بسيط من الجنود . ولذلك فإنه أرسل رئيس الاساقفة سراً إلى إستانبول ، لى يطلب المدد ، حتى يتمكن من إعادة النظام وتدعيمه . وبعد وصول الإمدادات ، تحصن خليل أغا فى كيرينيا ، حيث استمر فى المقاومة لمدة أسابيع . ولكن الجوع أجبره ، مع رجاله ، على التسليم . وتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم .

#### ٤ - النجاح مع ثورة اليونان :

كان من حظ قبرص أن يكون لها رئيس أساقفة ، منذ عام ١٨١٠ ، شاباً نشطاً ، اسمه كيبريانوس ، الذي لم يهتم فقط بالمسائل الكنسية ، وتحسين أحوالها المالية ، بل إهتم كذلك إهتماماً كبيراً بزيادة تعليم الشبان اليونانيين في الجزيرة . وكان يميل ، منذ البداية ، لحركة الجامعة الهلينية، وإعادة بعث اليونان ؛ ومع ذلك فإنه كان متحفظاً فيما يتعلق بثورة جزيرة قبرص ضد الحكم العثماني ، ولم يعد إلا بالتأييد المعنوي والمادى ، واعتذر بعدم قدرته على القيام بدور أكثر نشاطاً من ذلك ، بسبب قرب جزيرة قبرص من آسيا الصغرى وسوريا .

وفي أثناء حرب إستقلال اليونان ، ظلت جزيرة قبرص هادئة . ولكن حاكم الجزيرة ، كوجك محمد ، كان يخشى من أن يقوم يونانيو قبرص ، هم كذلك ، بحمل السلاح ضد العثمانيين ، كما فعل يونانيو جزر بحر إيجه ؛ فطلب إلى كيبريانوس ، تأكيدات عن ولائه ، وقدمها رئيس الأساقفة له دون تردد . ورغم ذلك فإن كوجك محمد ظلت تساوره الشكوك ؛ فطلب لإرسال ٢٠٠٠ جندي تركي إلى الجزيرة ، لكي يضمن الأمن . كما أصدر الأوامر بنزع السلاح من كل اليونانيين في الجزيرة ؛ وعلاوة على ذلك ، وكأنه لم يكن كافياً ، أمر بالقضاء القبض على أعيان اليونانيين ، وقتل المترجم . وجاءت عملية توزيع بعض المنشورات لكي تزيد من شكوكه ؛ ولم يعد يثق في تأكيدات رئيس الأساقفة .

ولقد كتب حاكم الجزيرة إلى الباب العالي ، وإنهم رؤساء الكنيسة اليونانية ، والأعيان اليونانيين في الجزيرة ، بأنهم على صلوات مع الشوار . وطلب معاقبتهم ، الأمر الذي عارضه السلطان ، ورفض تنفيذه في أول الأمر . ولكن كوجك محمد أصر حتى حصل على موافقة السلطان .

وبعد أن حصل الحاكم على الموافقة بالتنفيذ ، دعا رؤساء الكنيسة إلى قصره في

نيقوسيا ، بدعوى التوقيع على « تصريح بالولاء » . وكانت الدعوة محددة بصباح يوم ٩ يوليو ١٨٢١ ؛ وحين دخل رئيس الاساقفة ، مع الاساقفة ، إلى داخل القصر ، ووراءهم كبار رجال الكنيسة ، أمر الحاكم بإغلاق الأبواب ، وباحضارهم أمامه مكبلين بالسلاسل . وبدلاً من أن يقترح عليهم نصاً ، يمكنهم أن يوافقوا عليه ، قرأ عليهم قراره بالحكم عليهم بالإعدام ، وهو القرار الذي تم تنفيذه ، بدون تأخير ، في الميدان الكبير ، في نيقوسيا . وبعد تنفيذ حكم الإعدام ، أمر كوجك أيضاً بمصادرة أملاك الكنيسة ، وقتل الأعيان اليونانيين في كل من الجزيرة . وقتل في هذا الحادث ما يزيد على ٥٠ شخص ، ولم يتمكن من النجاة سوى أولئك الذين كانوا قد التجسؤوا إلى قنصليات فرنسا ، وانجلترا ، وروسيا ، ولكي يسافروا بعد ذلك سرّاً إلى الخارج .

#### ٥ - فترة الإصلاحات :-

وحتى وقت قتل رئيس ، الاساقفة كيريانوس ، لم يكن للعناصر العلمانية من اليونانيين صوت في إدارة الشؤون البلدية . وكان لرئيس الاساقفة ، مع سلطته في تمثيل اليونانيين القبارصة ، الحق الكامل في إدارة المالية ، ليس فقط للكنيسة ، ولكن كذلك للطائفة اليونانية ، وفي فرض الضرائب ، وإدارة المدارس ، ومراقبة طريقة عمل المنظمات العامة . ولكن هذا النظام الاوتوقراطي انتهى في عام ١٨٢١ . وبعد تنفيذ حكم الإعدام في رؤساء الكنيسة ، أعيد إنشاء هذه الكنيسة اليونانية ، ولكن الاساقفة الجدد لم تكن لهم السلطة ولا الهيبة السابقة .

ولقد أخذ الأهمالي في المطالبة بحقوقهم . وفي عام ١٨٣٠ ، وبعد عودة وفد كان قد أرسل إلى إسطنبول ، لنيقوسيا ، تم عقد مجلس من الاساقفة وممثل الشعب اليوناني في نيقوسيا . وبرئاسة رئيس الاساقفة ، كتب المجلس نظام لإدارة الشؤون البلدية ، وعلى أساس « المبادئ البرلمانية » ، حسب تعبير النص . ولم تعد

هناك ، عند الحاكم ، ذلك المترجم الذى كان هو المتحدث باسم رئيس الأساقفة ، بل أنشئت لجنة من أربعة أشخاص ، يمثلون الطائفة اليونانية . وفى عام ١٨٣٨ ، وبعد الإصلاحات الادارية فى الدولة العثمانية ، تعدلت الوضعية . ولم يعد رئيس الأساقفة والأساقفة هم رؤساء اليونانيين ، وأصبحت إدارة الشؤون البلدية فى أيدي عشرين من الممثلين المنتخبين عن طريق المجلس . وظل هذا النظام معمولاً به حتى نهاية العصر العثمانى .

أما الإصلاحات الادارية فإنها امتدت من عام ١٨٣٩ حتى عام ١٨٥٦ . وفى عام ١٨٣٩ ، قرر السلطان عبد المجيد ( ١٨٣٩ - ١٨٥٦ ) القيام باصلاحات إدارية فى الدولة العثمانية ، طبقاً للبادئ الحديثة للقانون . وأصدر فى هذا العام نطقى شريف كلياته ، الذى ألغى نظام بيع المناصب فى الدولة ، وأحل محله نظام التعيين المباشر ، مع تقاضى مرتب ثابت . وفى وقت هذه الاصلاحات ، أصبحت جزيرة قبرص ولاية من الدرجة الثانية ؛ وأصبح لقب حاكمها هو « قائممقام » . ولأول مرة فى تاريخ الدولة العثمانية ، سمح للمسيحيين بالمشاركة فى الديوان ، أى المجالس الإدارية والقضائية ، والتي أنشئت فى كل إقليم . وفى قبرص ، كان الديوان يتشكل من ثمانية أعضاء ، أربعة من الأتراك ، وأربعة من المسيحيين ، كان اثنان منهما من اليونانيين ( رئيس الأساقفة وممثل للطائفة اليونانية ) ، علاوة على أحد الموزانة وأحد الأرمن .

وفى عام ١٨٥٦ ، وبعد حرب القرم ومعاهدة باريس ، أدخل السلطان إصلاحات جديدة على الامبراطورية العثمانية . وبإصداره فرمانه الشهير فى هذه السنة ، والمعروف باسم نطقى شريف هيايون ، فى عام ١٨٥٦ ، أصبح من حق الأقليات المسيحية فى الدولة العثمانية إدارة شئونها البلدية ، دون تدخل من السلطات التركية . وتم الاعتراف من جهيد بالروساء الدينيين لليونانيين على أنهم

الرؤساء الروحانيين للرعية المسيحية ، وأصبحوا ، بحكم وظائفهم ، أعضاء في مجالس المقاطعات ، وشاركوا في إدارتها .

وفي قبرص ، أصبح الديوان ، الذى أعيد تشكيله ، بعد مشاركة رئيس الأساقفة والأعضاء الثلاث الذى ينتخبهم ممثلو الطائفة اليونانية ، لا يضم بعد ذلك أعضاء ينتسبون إلى الأفليات المارونية أو الأرمنية . وأصبح من حق الأساقفة كذلك حق المشاركة في مجالس المدن القبرصية الأخرى . وأصبحت الوضعية الشخصية للمسيحيين تسوى طبقاً للقانون الكنسى لديانتهم . وأصبح للأساقفة الحق الكامل في إدارة شئون الميراث . ولأول مرة ، أصبحت الخصومات تنظر أمام محاكم تشكل من قضاة أتراك وقضاة يونانيين . وقبلت شهادة المسيحيين في الخصومات المدنية ضد الأتراك .

ولقد تلى هذه الإصلاحات ، في عام ١٨٧٠ ، تطبيق القانون الفرنسى (الجنائى ، والتجارى والبحرى ) ، في الامبراطورية العثمانية ، مع إعادة تنظيم المحاكم . وأصبحت هناك محاكم من الدرجة الأولى في كل المدن الرئيسية في الجزيرة ، ومحاكمة إستئناف في نيقوسيا ، ومحاكمة تجارية في لارناكا ، تتكون من اثنتى عشر عضواً ، ستة من الأتراك ، وستة من المسيحيين .

ولقد ظل النظام الذى أنشأته إصلاحات عام ١٨٥٦ ، يمثل ميثاق الحرية الشخصية والبلدية للمسيحيين في جزيرة قبرص ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من المسيحيين في بقية أنحاء الدولة العثمانية . وظل نافذاً حتى نهاية العصر العثمانى . ولكن التقدم الاقتصادى للجزيرة كان بطيئاً .

وفي عام ١٨٦٨ . تم إلغاء ولاية قبرص ، وضمت الجزيرة إلى تقسيم إدارى آخر ، هو « ولاية الجزر » ، والى كانت عاصمتها هي نيساناك قلعى ، في الدردنيل ؛

الأمر الذى تسبب فى إستفحال الأزمة الاقتصادية ، وأهمال الزراعة ، وركود التجارة. ونتيجة لتدخل أعيان الجزيرة ، من الأتراك، أعيد العمل بالنظام الإدارى السابق للجزيرة، فى عام ١٨٧١ ، ولكن دون أن تتحسن الإدارة كثيراً. وأفادت مدينة لارناكا وحدها من هذا التغير ، وذلك بسبب تطبيق نظام الامتيازات الأجنبية ، ووجود بعض الأوربيين هناك ، فى حماية قنصلياتهم. وأصبحت لارناكا هى الميناء الرئيسى لقبرص ، وأهم مدينة فى الجزيرة ، بعد نيقوسيا .

ونصل بذلك إلى عام ١٨٧٨، ومرور الجزيرة من الدولة العثمانية إلى بريطانيا العظمى. وهذا الحدث مرتبط، فى جذوره ، بسياسة روسيا القيصرية حيال الدولة العثمانية ، ومحاولتها الخروج إلى البحر المتوسط ، وفى شكل أزمات متتالية ، حتى حرب البلقان ، ومعاهدتى سان استيفانو ، وبرلين عام ١٨٧٨ . وهذا هو موضوع الفصل التالى .

## الفصل السادس

### الضغط الروسى للوصول إلى البحر المتوسط

كانت الدولة العثمانية قد إتسعت من قارة آسيا إلى أوروبا، عبر المضايق وتوسعت فيها حتى سيطرت على اقاليم البلقان . ووصلت إلى وسط أوروبا ، قرب فيينا ، كما توسعت فى الجزء الشمالى من القارة الافريقية ، بعد احتلالها مصر ، وانضمام الجزائر إليها ، وعملها على تحرير كل من تونس وطرابلس من السيطرة الاسبانية . وكانت هذه الدولة قد وصلت إلى أوجها ، وتوقفت عن النمو ، فى نفس الوقت الذى وصلت فيه إلى احتلال قبرص ، أى مع معركة ليبانتو . وخضعت الدولة بعد ذلك لعمليات ضغط عليها ، وبخاصة مع زيادة قوة دولة روسيا ، وعملها على التوسع ، صوب أوروبا وصوب الدولة العثمانية .

#### ١ - الضغط الروسى ومعااهدة كجك فيناردجى :-

بعد أن ظلت الدولة العثمانية تمثل خطراً على أوروبا المسيحية ، ولمدة قرنين ، منذ نهاية القرن الخامس عشر ، وصلت إلى نهاية القرن السابع عشر ، لى تفقد هذه الصفة . ومن ناحية أخرى ، نجد أن روسيا ، والى كانت دولة شبه آسيوية فى أثناء القرن السابع عشر ، قد حاولت ، تحت حكم أسرة رومانوف الجديدة ، أن ترتبط بأوروبا ، ووصلت إلى أخذ مكانها بين الدول العظمى الأوروبية أثناء القرن الثامن عشر . ولقد وصلت إلى ذلك على مرحلتين . فقادها فى المرحلة الأولى بطرس الأكبر ، وتمكنت منها من تعظيم سيطرة السويد على بحر البلطيق ؛ ثم وصلت مع كاترين الثانية إلى إلغاء مملكة بولندا . وفى نفس الوقت الذى عمل فيه بطرس الأول على جعل روسيا دولة أوروبية ، من الناحية السياسية ، عمل كذلك على تغيير عادات شعب روسيا ، وفرض عليه الحضارة الأوروبية ، وواصلت كاترين الثانية هذا

العمل ، الذي بدأه بطرس الأول ، وزادت عليه .

ولقد وجد بطرس الأول أن السويد كانت تسيطر على سواحل بحر البلطيق ، وتمنع روسيا من الوصول إليه . أما روسيا فإنها كانت تسيطر على مصبات الدونك والدنيبر ، وتمنع روسيا من الوصول إلى البحر الأسود ؛ كما أن بولندا كانت تمنع روسيا من الاتصال بوسط أوروبا . وكان بطرس في حاجة إلى فتح نافذة تطل على أوروبا ؛ وأنفق سنوات حكمه الستة والثلاثين (١٦٨٩-١٧٢٥) للوصول إلى هذه النتيجة . وصمم بطرس الأول على الحصول على إحدى الموانئ ، إما على بحر البلطيق ، وعلى حساب السويد ؛ وإما على البحر الأسود ، وعلى حساب الأتراك . ولقد بدأ بالعمل ضد الأتراك ، خاصة وأنهم كانوا في ذلك الوقت أكثر ضعفاً ، وكانوا مشغولين بالحرب ضد النمسا والبنديقية . وكان في وسع الحرب ضدهم ، وهم مسلمين ، أن تأخذ شكل حرب صليبية ، علاوة على كونها السياسي . وكان بقاء الأتراك في إستانبول ، القسطنطينية فيما مضى ، والعاصمة الأرثوذكسية السابقة للعالم ، يعمل على إيقاظ الروح الوطنية لدى الروس الأرثوذكس .

ولقد عمل بطرس على الاستيلاء على ميناء آزوف ، الواقعة على مصب نهر الدون ، من الأتراك ، في عام ١٦٩٥ ، بالهجوم عليه من البر . ولكنه فشل في هذه المحاولة ؛ فارتد عنها بمحاولة ثانية ، في العام التالي ، بالهجوم عليه من البر ، وبمعاونة بعض السفن لحصاره من البحر ؛ ونجح في الاستيلاء عليه . وكان لذلك صدى في أوروبا وشارك بطرس في هذه العمليات ، بصفته أحد رجال المدفعية ، وكان له من العمر ثلاثة وعشرين عاماً .

ورغم أن الاستيلاء على آزوف كان هاماً ، إلا أنه لم يسمح لبطرس إلا بتجسس بسيط للإتصال بأوروبا ، خاصة وأن هذا الميناء كان يطل على بحر آزوف ، الذي لا يتصل إلا بالبحر الأسود ، والذي كانت كل سواحله ومخارجه في اليوسفوف



والنرويج ، تحت سيطرة الأتراك . وعلى العكس من ذلك كان بحر البلطيق يمثل مزايا كثيرة لروسيا . ولذلك فإن بطرس قد اتجه إليه . وبعد أربع سنوات من الاستيلاء على آزوف ؛ عمد بطرس إلى تحطيم ذلك الجدار السويدي الذي كان يحيط ببحر البلطيق ، ويفصل روسيا عن غرب أوروبا . ولقد استمرت الحروب في هذا الاتجاه مدة إحدى وعشرين عاما ، من عام ١٧٠٠ حتى عام ١٧٢١ . ولقد انتصرت روسيا على قوات السويد في معركة بولتافا ، في شهر مايو ١٧٠٩ . ولقد جرح شارل ، ملك السويد ، في رجله ، واضطر إلى أن يلتجئ من إقليم أوكرانيا ، التي وقعت فيه الموقعة ، إلى أقرب الحدود إليه ودخل لاجئا إلى الدولة العثمانية . وكانت معركة بولتافا من المعارك الفاصلة في التاريخ ، والتي جعلت من روسيا أكبر دولة في شمال أوروبا .

ولقد واصل بطرس عملياته العسكرية ضد الدولة العثمانية ، وهجم بقواته على البغدان . ولكن القوات العثمانية حاصرت في عام ١٧١١ ، واضطرت إلى أن يذهب ويعيد آزوف إليهم ؛ بعد أن دفع ثلاثة ملايين فرنك ذهب للصدر الأعظم محمد بلطاجي .

وبعد أن توفي بطرس الأكبر في عام ١٧٢٥ ، تنال على العرش عدد من القياصرة الضعفاء . ولكنهم عملوا على الضغط كذلك على الدولة العثمانية ، للوصول إلى مياه البحر الأسود . وشبت الحرب بين الدولتين ، في عام ١٧٣٥ ، ولكن روسيا فشلت في تحقيق أهدافها ، واضطرت إلى عقد معاهدة بلجراد ، في شهر سبتمبر ١٧٣٩ ، وهي المعاهدة التي نصت على ضرورة الاحتفاظ بالحدود السابقة بين الدولتين ؛ وإن كانت قد تدرت هم قلعة آزوف ؛ إلا أنها قررت منع روسيا من بناء أو إبقاء أساطيل لها أو أي سفن في البحر الأسود ، وأن يمارس الروس نشاطهم التجاري في البحر الأسود على سفن تركية .

## - ٩٣ -

وفي عام ١٧٦٣ وصلت كاترين الثانية إلى عرش روسيا ، وكان لها من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً ، وحكمت لفترة ثلاثة وثلاثين عاماً أخرى ، أى حتى عام ١٧٩٦ . وكانت ذكية ، ونشطة ، وطموحة ، وجريئة . ورغم أنها كانت من أصل ألماني ، إلا أنها كانت أقرب القياصرة إلى قلوب الروس ؛ وعرفت كيف تتعامل مع أبناء البلاد .

وكان من أهم أعمال كاترين الثانية مجهوداتها للاستعمار على الطريقة البروسية ، وجذبت عدداً من الأجانب إلى المقاطعات الجنوبية في روسيا ، وخاصة مناطق القولجا وأوكرانيا ، والتي كانت تتميز بالخصوبة وقلة السكان . وأحضرت الحكومة الآلاف من المهاجرين ، ومن الزراع والحرفيين ، وكانت تزودهم بالمساكن ، والمواشى ، وأدوات العمل ؛ وأنشأت بهذه الطريقة ما يقرب من مائتي قرية ومدينة صغيرة . ووضعت هذا المشروع تحت إدارة بوتمكين ، الذى كان ضابط صف ، ثم صديق لها ، على طريقة صديقات لوى الخامس عشر . وبدأ هذا المشروع وفي مناطق جنوب روسيا ٢٠٠ ألف نسمة ، ووصل عددهم عام ١٧٩١ إلى ٨٠٠ ألف . وكان الهدف منه ، علاوة على التنمية ، تكوين كثافة سكانية في المناطق القريبة من الدولة العثمانية .

أما في السياسة الخارجية ، فإن كاترين قد واصلت سياسة بطرس الأكبر ، الخاصة بتحطيم الجدار الذى كان يفصل روسيا عن أوروبا ، متمثلة في تركيا وبولندا وحاولت أن تمتد روسيا إلى البحر المتوسط في الجنوب ، وإلى الحدود الألمانية والنمساوية في الغرب . وإذا كانت عملية « تقسيم بولندا ، التي تمت بالاشتراك مع بروسيا والنمسا ( ١٧٧٢ - ١٧٩٥ ) قد سمحت بإعطاء روسيا واجهة على أوروبا الوسطى ، تكمل تلك الواجهة التي كان بطرس الأكبر قد حصل عليها على حساب السويد ؛ فإننا نجد على العكس من ذلك أن كاترين لم تنجح في إتجاه الجنوب ،

ورغم أنها كانت تحلم بتقسيم الدولة العثمانية، وإنشاء إمبراطورية يونانية لحفيدها في القسطنطينية . ذلك أن الدول العظمى خشيت من سرعة توسع روسيا ، ووقفت عندها في حربين ، وأعطتها شبه جزيرة القرم ، والسواحل الشمالية للبحر الأسود ، بدلا من إعطائها مخرجا على البحر المتوسط . هذا من وجهة نظر روسيا . أما من وجهة النظر العثمانية ، والتي رأت زيادة خطر روسيا ، وضغطها صوب الجنوب ، فإن معاهدة كجك قيناردجى ، التي أتت بعد حرب إستمرت سنوات مع روسيا ، ومنيت فيها القوات العثمانية بخسائر فادحة ، كانت ضربة شديدة للدولة العثمانية ؛ ولسيادتها على البحر الأسود والمضائق . ولقد تم التوقيع على هذه المعاهدة في ٢١ يوليو ١٧٧٤ ؛ وسمحت هذه المعاهدة لروسيا ، وأعطتها الحق في إنشاء بعض القواعد العسكرية ، البرية البحرية ، على سواحل البحر الأسود ؛ وبذلك أصبحت روسيا إحدى دول البحر الأسود ، الذى تحول من بحيرة عثمانية روسية ؛ كما أنها أعطت روسيا الحق فى إستخدام سفنها التجارية فى إستخدام البوسفور والدردنيل للخروج إلى البحر المتوسط .

ولقد أعطت هذه المعاهدة لروسيا ميناء آزوف ، مع بحر آزوف ، وكذلك شبه جزيرة القرم ، بما فيها من قلاع ، علاوة على قلعة عند مصب نهر دنيبر . أما من حيث حقوق الملاحة لروسيا فى البحر الأسود والمضائق ، فإن معاهدة كجك قيناردجى قررت أن تكون الملاحة حرة فى البحر الأسود حرة ومفتوحة وبدون أى قيد بالنسبة للسفن التجارية الروسية ، تلك السفن التى سيكون من حقها كذلك حرية المرور فى المضائق بين البحر الأسود والبحر المتوسط ، مع حرية دخول موانئ البحر الأسود . وسمحت الدولة العثمانية ، بهذه المعاهدة ، للروس بالقيام بأعمال التجارة فى جميع ولايات الدولة ، برأ وبحراً ، وعلى نهر الدانوب ؛ وأن يحظى الروس بنظام الامتيازات الأجنبية وأن يكون من

حقهم أن يدخلوا بسفنهم إلى إستانبول ، مع دفع الرسوم المقررة .  
وهكذا وصل الضغط الروسى ، على الدولة العثمانية ، وبمعاودة كجك  
قيناىردجى ، فى عهد كاترين الثانية ، وصوب البحر المتوسط ، إلى مزايا ومحقات  
إيجابية ، كانت خطيرة بالنسبة للدولة العثمانية . وحين توفيت كاترين الثانية ،  
فى عام ١٧٩٦ ، كان الجنرال بوناپرت قد إنتصر فى موقعة أركول ، فى إيطاليا .  
إنها مرحلة جديدة .

### ٣ - حملة دكوپرت وفشل إنجلترا فى إقناع المضايق :-

كان لجنم حملة الجنرال بوناپرت إلى مصر ، فى عام ١٧٩٨ تأثيراً كبيراً على  
الدولة العثمانية ، إذ أنه كان أول هجوم لدولة أوربية على إحدى الولايات  
الإسلامية فى الدولة العثمانية . وكانت مصر تعتبر أكبر دوة فى عمامة السلطان  
العثمانى .

فأسرع السلطان العثمانى بعقد معاهدة تحالف دفاعى ، مع إمبراطورية  
روسيا ، يوم ٢٣ ديسمبر ١٧٩٨ . ولقد كان هذا التحالف لمدة ثمانية سنوات ،  
وتعهدت روسيا بأن تمد الدولة العثمانية باثنتى عشرة قطعة بحرية ، وفى حالة  
تطور الظروف العسكرية بأن تمدها بقوات يتراوح عددها بين ٧٥ و ٨٠ جندي  
روسى . وفى مقابل ذلك وافقت الدولة العثمانية على منح روسيا حق مرور  
سفنها الحربية ، هذه المرة فقط ، وبحرية ، من المضائق . وهكذا نجح بول الأول  
قيصر روسيا ، فى أخذ خطوة جديدة صوب البحر المتوسط ، فى عهد السلطان  
سليم الثالث .

وفى العام التالى ، منحت الدولة العثمانية لبريطانيا العظمى ، حق مرور سفنها  
التجارية فى البوسفور والدردنيل ، من وإلى البحر المتوسط .

وفي عام ١٨٠٢ ، تم عقد صلح إميان ، بين الدولة العثمانية وفرنسا ، وحصلت فرنسا على حق مرور سفنها التجارية من وإلى البحر الأسود كذلك .

وفي وقت تجديد معاهدة التحالف الدفاعي ، بين تركيا وروسيا ، في شهر سبتمبر ١٨٠٥ ، حصلت روسيا على امتياز جديد ، أكثر خطراً من كل ما كانت قد حصلت عليه حتى ذلك الوقت ، إذ أن الدولة العثمانية اعترفت هذه المرة بأن الدفاع عن المضائق يعتبر مسؤولية مشتركة ، تقع على كل من الدولة العثمانية وروسيا في نفس الوقت . ولقد سمح للسفن الحربية الروسية . وناقلات الجنود ، بعبور المضائق من أجل خدمة وتموين القوات الروسية التي تحتل الجزر الأيونية ، وقد اشتملت هذه المعاهدة على مادة هامة ، نصت على أن روسيا ، والدولة العثمانية قررتا إغلاق البحر الأسود ، وعدم السماح لأية سفينة حربية تابعة لأي دولة أخرى بعبور المضائق ؛ وكل محاولة لإنتهاك هذا القرار تعتبر عملاً عدوانياً موجهاً لهاتين الدولتين ، العثمانية والروسية ، اللتين تقرران إستخدام قواتها البحرية في وجه كل سفينة تحمل مواد حربية تحاول الدخول إلى البحر الأسود .

وكانت معاهدة جاترة بالنسبة للدولة العثمانية . وسرعان ما جاءت إنتصارات نابليون في موقعة أولم ، ضد النمسا ؛ ثم موقعة أوسترليتز ، ضد النمسا وروسيا ، لكي يضطر قيصر روسيا إلى الانسحاب صوب بلاده شرقاً . وتمكن نابليون بعد ذلك من الانتصار على بروسيا في موقعة إينا ، عام ١٨٠٦ ، وأعلن ، الحصار البري على بريطانيا العظمى ، الأمر الذي زاد من هيئته ، وقلل من قيمة أعدائه ، ومنهم روسيا .

وقلت هيبة روسيا في إستانبول ، وقلت إمكانيات وجودها في الجزر الأيونية ، وتشجعت الدولة العثمانية وألغت جميع الامتيازات التي كانت قد أعطتها للبحارة الروس ، ولم تلتفت لموقف السفير البريطاني إلى جانب السفير الروسي . ثم وصل

إلى استانبول الجنرال سباستياني ، كسفير لفرنسا ، في ١٠ أغسطس ١٨٠٦ ،  
 وشعر الجميع بأنه سوف يعمل على تحصين البوسفور والدردنيل . ولقد طلب  
 سباستياني إلى الباب العالي لإغلاق البوسفور والدردنيل في وجه السفن الحربية  
 الروسية . وقال أن كل تحالف جديد أو استمرار بالعمل بتحالف سابق بين الدولة  
 العثمانية وبريطانيا وروسيا ، وهما أعداء فرنسا ، لن يكون مجرد نقص صريح  
 لمبدأ الحياد ، بل سيكون كذلك مساعدة إيجابية من جانب الدولة العثمانية في الحرب  
 التي تشنها بريطانيا وروسيا ضد فرنسا . واستجابت الدولة العثمانية لهذا النفوذ  
 الفرنسي ، وقررت في ١٤ نوفمبر ١٨٠٦ فسخ معاهدة التحالف المجددة مع روسيا ،  
 وقررت كذلك ، وفي نفس اليوم فسخ إتفاقها مع بريطانيا العظمى ؛ والذي كان  
 قد عقد في شهر يناير ١٧٩٩ .

وكانت فكرة إقحام المضائق تراود السفير البريطاني في استانبول ، قبل  
 وصول الجنرال سباستياني إلى عاصمة الدولة ، وزادت هذه الفكرة عند السفير ،  
 وعند وزارة لندن بعد وصول هذا السفير الفرنسي إلى استانبول ، وفسخ الدولة  
 العثمانية لتحالفها مع روسيا ، ولإتفاقها مع بريطانيا .

وأصدرت الحكومة البريطانية أوامرها بإرسال أسطول قوى ، للتقدم ، واتخاذ  
 مواقعه أمام استانبول ، وبشكل يسمح له بالقيام بالعمليات الحربية ، في حالة  
 فشل محاولات السفير البريطاني في العاصمة العثمانية ، في الوصول إلى أهدافه بطرق  
 الضغط الدبلوماسي ، وكان الاميرال السير جون دكويرث هو قائد هذا الأسطول .  
 وكان عليه أن يقوم بهذه المظاهرة البحرية ؛ لتأييد موقف السفير البريطاني ، وأن  
 يطلب إلى الدولة العثمانية قطع علاقاتها مع فرنسا ، وإعادة دعم العلاقات والتعاون  
 مع الحكومة البريطانية . وكان معنى ذلك إجراء مفاوضات تحت تهديد السلاح .  
 وفي حالة رفض الدولة العثمانية تنفيذ ذلك ، يقوم القائد العام للقوات البريطانية

في صقلية بإرسال قوات إلى الاسكندرية لاحتلالها ، واتخاذها نقطة إرتكاز للقوات البريطانية في شرق البحر المتوسط ضد فرنسا والدولة العثمانية . وهكذا كانت هذه العملية تهدف لإكراه الباب العالي على إبعاد النفوذ الفرنسي ، وإعادة علاقاته ببريطانيا العظمى وروسيا .

ولقد عبر اسطول الاميرال دكويرث الدردنيل ، ورسى أمام استانبول يوم ١٩ فبراير ١٨٠٧ ، وكانت أول مرة يدخل فيها الاسطول البريطاني إلى المضائق . ولكن السفير البريطاني كان قد غادر استانبول ، ومعه الرعايا البريطانيون ؛ كما كان سفير روسيا قد ترك استانبول أيضاً . وبعد تقديم الاميرال دكويرث مطالبته للحكومة العثمانية ، شعر أنها تسوف في عملية الرد عليه ؛ ثم خشى من استمرار عمليات التحصينات في منطقة البوسفور والدردنيل ، ومشاركة السفير الفرنسي ، وعدد من المهندسين الفرنسيين فيها ؛ فقرر ضرورة الخروج من منطقة المضائق ، قبل أن يتخرج موقفه هناك . وعند تحرك الاسطول البريطاني وهو عائد إلى البحر المتوسط ، أطلقت المدفعية التركية النيران عليه ، وأعطيت بعض قطعه . وفشلت هذه الحملة في تحقيق مهمتها في استانبول ، وإن كانت بريطانيا قد نفذت بعد ذلك الجزء الثاني من خطتها ، وهي إرسال حملة لاحتلال الاسكندرية . وكانت بقيادة الجنرال فريزر ، وهي لانتعان بموضوعنا ، الخاص بالضخمة الروسية للوصول إلى البحر المتوسط .

وعلى أي حال فإن رأى الحكومة البريطانية قد استقر على صرف النظر عن إرسال حملة أخرى إلى المضائق ، واكتفت بتشديد الحصار على موانئ الدولة العثمانية ، وتضييق الخناق على تجارتها ، حتى تعود هذه الدولة إلى صوابها وتستأنف علاقاتها الطبيعية مع بريطانيا .

ولكن العلاقات الدولية لم تستقر على ما كانت عليه . فبعد صلح تيلست ، في

عام ١٨٠٧ بين نابليون وقيصر روسيا ، انتهى التحالف الانجليزى الروسى ، وتمهد السبيل ، وبدلا منه ، لتقارب بين بريطانيا والدولة العثمانية . وتم فى ٥ يناير ١٨٠٩ عقد معاهدة صلح وتجارة وتحالف ، بين بريطانيا والدولة العثمانية ، وهى المعاهدة المعروفة بإسم معاهدة الدردنيل . ولقد أعادت هذه المعاهدة العلاقات بين الدولتين إلى ما كانت عليه من قبل ، مع سريانه نظام الامتيازات الأجنبية ، والتجارة فى البحر الأسود ، وإعتبار المعاهدات والاتفاقيات السابقة بين الدولتين سارية المفعول منذ عقدها ، وكأنها لم تلغى أو يعطل العمل بها . والشئ الهام فى هذه المعاهدة الجديدة ، وفى ظروف إنضمام روسيا إلى فرنسا . كان يتمثل فى قرار منع السفن الحربية ، فى أوقات السلم وفى وقت الحرب ، من عبور المضائق ، ومن الدخول إلى البحر الأسود . وبذلك أصبحت بريطانيا أول دولة تتمثل مصالحها وتتطابق مع مصلحة الدولة العثمانية فى إغلاق المضائق فى وجه السفن الحربية فى أوقات السلم وأوقات الحرب ، وحرمت بذلك روسيا من إمكانية خروج أسطولها من البحر الأسود إلى البحر المتوسط ، وفى كل الاوقات ؛ وشرطت ضرورة مراعاة كل دولة فى المستقبل هذا النظام الذى كان معمولاً به من وقت طويل فى الدولة العثمانية .

### ٣ - معاهدة إنكار أنكلسى :-

ولقد ظلت روسيا تحاول التخلص من هذه الوضعية التى تحرم على سفنها الحربية الخروج أو الدخول من وإلى البحر الأسود ؛ وكانت بريطانيا تقف إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا .

ومع نشوب الثورة فى بلاد اليونان ، وتسوية هذه المشكلة بمعاهدة أورنه عام ١٨٣٩ ، نصت هذه المعاهدة على أن يصبح من حق السفن الروسية التجارية ، ومن أى حجم ، الملاحة فى البحر الأسود ، والتجارة فيه ، وكذلك المرور عبر المضائق .



ولقد نصت نفس المعاهدة على حصول ولايتي الأفلاق والبغدان ، وهما يكونان رومانيا حالياً ، على الاستقلال الداخلى ، وتحت نفوذ روسيا ؛ وكان هذا النص يدعم مركز روسيا فى البحر الأسود ، ويضيف إليها دولا ، وإن كانت ناقصة السيادة ، تطل على هذا البحر الداخلى .

ولم يمر وقت طويل حتى سنحت الفرصة أمام روسيا ، للوصول إلى أهدافها فى المضائق . ذلك أن قوات والى مصر ، محمد على ، تقدمت فى الشام شمالا ، وإستولت عليها ، ثم بدأت زحفها ، وراء جبال طوروس ، حتى وصلت إلى قونية ، ووصلت بعض طلائعها إلى أزمير . ولقد ظهر بشكل واضح أن استانبول قد أصبحت مهددة ، وأن قوات مصر قد تستولى على عاصمة الدولة العثمانية . ولم يكن فى وسع بريطانيا أن تتدخل ، مع الظروف التى كانت موجودة فى اسبانيا والحوض الغربى للبحر المتوسط ، كما أنه لم يكن فى وسع الاسطول البريطانى أن يدافع عن الأناضول أو حتى تراقيا الشرقية . ولم يكن من السهل على النمسا أو بروسيا التدخل ؛ فاصبحت روسيا هى الدولة الوحيدة التى يمكنها أن تتدخل ، وفى صالح الدولة العثمانية ، وبهدف تحقيق أهدافها فى الوصول إلى البحر المتوسط .

وقد تم عقد معاهدة بين روسيا والدولة العثمانية فى شهر يونيو ١٨٣٣ ، وهى معاهدة تحالف دفاعى ، عرفت باسم معاهدة إنكار أوسكسى . وكان هذا التحالف لمدة ثمانية سنوات . ونصت المعاهدة على أن يقوم السلطان بإغلاق المضائق أمام السفن الحربية لجميع الدول ، ماعدا روسيا ، التى يكون من حق سفنها الحربية وحدها عبور المضائق . وكانت روسيا قد أسرعت بإرسال أسطولها إلى البوسفور ، فوقفت قطعه هناك ، وكأنها تحمى إستانبول . كما أرسلت قوات برية إلى هناك ، وكذلك إلى سينوب ، فى شمال الأناضول ، وإحدى الموانئ الصغيرة المطلية على البحر الأسود .

ولقد رأى البعض أنه في الوقت الذي تعهدت فيه روسيا بتقديم مساعدة مسلحة للدولة العثمانية ، وكان في وسع القوات الروسية عندئذ أن تحتل مضائق البوسفور والدردنيل في حالة قيام دولة ثالثة بمهاجمة تركيا ، لن يطلب القيصر إلى الباب العالي مدداً فعلياً إذا ما وجدت روسيا نفسها في حالة حرب مع دولة أخرى ؛ بل يكتفى ، في مثل هذه الحالة ، بعملية «إفقال» البوسفور والدردنيل ، ويمنع بالتالي عدو روسيا من إدخال أسطول في البحر الأسود وفي هذا الشكل ، لم تكن هذه المعاهدة تضمن سياسة روسيا سوى حل جزئياً لمسألة المضائق ؛ ولكنه أصبح لروسيا نفوذاً متفوقاً في توجيه السياسة العثمانية . وفي هذه النقطة ، أصبحت المصالح الإنجليزية مهددة بطريقتين مباشرتين .

ورغم ذلك ، فإن الحكومة الإنجليزية لمكتفت باحتجاج دبلوماسي . وكانت تعلم عدم قدرتها على الذهاب أبعد من ذلك ، إذ إنه لم يكن في وسعها أن تستند إلى فرنسا ، والتي كانت سياستها في إسبانيا تقلق بريطانيا ، ولم يكن في وسعها كذلك أن تستند إلى النمسا ، والتي كانت قد وعدت بانفافية مونشنشتراتز (٦ سبتمبر ١٨٣٣) وفي نظر وعد بالتعاون في شؤون أوروبا الوسطى ، بعدم معارضة السياسة العثمانية لروسيا .

ومع ذلك ، فإن السياسة الإنجليزية لم تتقاعس عن البحث عن وسائل أخرى تواجه بها عمل روسيا . وفي ٦ ديسمبر ١٨٣٣ ، وسم بلهرستون برناجه ، والذي يتلخص في إظهار مخاطر والتحالف المميت ، الروسى التركى للسultan ، وهو التحالف الذى يضع الامبراطورية العثمانية تحت إشراف دولة تبقى أهدافها الرئيسية ، في حقيقةهما ، معادية لبقاء هذه الإمبراطورية نفسها ؛ ومنح مساعدة بريطانيا العظمى للباب العالي ، لكي يعيد تنظيم قواته المسلحة ، ولكن دون أن يعرض عليه تحالف يمكنه أن يعطى الحكومة العثمانية الأمل في شن حرب انتقامية ضد مصر ، والحصول

## - ١٠١ -

في نظير ذلك على مزايا اقتصادية في الأقاليم العثمانية . وفي شهر أغسطس عام ١٨٣٨ عقدت معاهدة تجارية ، معروفة باسم معاهدة بلطة ليمان ، حددت الرسوم الجمركية في الدولة العثمانية بنسبة ٣٪ ، وهي المعاهدة التي سمحت لبريطانيا العظمى بزيادة مشترياتها من المواد الخام ؛ ومن الزيت والحبوب . كما عقد إتفاق في شهر مارس ١٨٣٩ ، أعطى لبعثة من ضباط البحرية الإنجليزية مهمة إعادة تنظيم الاسطول العثماني . وأما بالنسبة للجيش ، فإن السلطان قد إنتجأ إلى بعثة من الضباط البروسيين . وهكذا أظهرت الحكومة العثمانية رغبتها في التحرر من الإشراف الروسي .

### ٤ - إتفاقية المضائق عام ١٨٤١ :

و حين طرحت الازمة المصرية الثانية ، في سنة ١٨٣٩ ؛ أخذت هذه المسألة ، في المجال الدولي ، شكلا مختلفاً عن ذلك الذي ظهر في المرحلة السابقة . وهذه المرة ، كانت بريطانيا العظمى هي التي فرضت نفسها ، وكحامية للإمبراطورية العثمانية ، حتى يتجنب عودة أحداث عام ١٨٣٣ ، وعمل روسيا . وكانت إنجلترا ترغب في إجبار والى مصر على التنازل عن سوريا رغم إنتصاره في موقعة نصيبين . وتخلت الحكومة الروسية عن معاهدة انكيار أسكلكه سي ، في الوقت الذي وانتهى الفرصة لإستخدامها ، وأعلنت استعدادها لتسوية المسائل الشرقية «بالإتفاق مع الدول الأخرى» . وظهرت مقاومة السياسة الإنجليزية في فرنسا وحدها ؛ وبينما كانت الحكومة الفرنسية في تركت سفيرها في استانبول يقوم بسياسة «موالية للأتراك» في عام ١٨٣٣ ، أعطت هذه الحكومة الآن تأييدها لمصر ، بخاطرة في ذلك بأن تجدد نفسها في معارضة مع الدول العظمى الأخرى .

وكانت حكومة روسيا حذرة : فكان نيقولا الأول يعرف جيداً أنه ليست

## ١٠٢ -

له أية فرصة لكي يحصل ودياً من السلطان ، في عام ١٨٤١ ، على تجديد معاهدة انكيار أسكليه سى ، لأن الباب العالى لم يعقد هذه المعاهدة إلا بسبب ظروف إستثنائية . وبعد حصول سى ، تسبب فى قلة موارد الضرائب ، أصبحت الخزنة الروسية فى حالة ضعف ، لانسمح لحكومة القيصر بالمخاطرة بالحرب . ولكن هذا الحذر كان متأثراً كذلك بأهداف السياسة العامة . ومادام يقولوا الأول كان لا يشعر بقدرته على فرض رغبته ، فإنه قد فكر فى أن من مصلحته أن يترك بريطانيا العظمى تعمل ، وحتى فى أن يشجعها ؛ إذ أن ذلك سيكون الوسيلة لتحطيم الوفاق الفرنسى الانجليزى فى أوروبا .

وأخذت بريطانيا العظمى موقفاً من فرنسا ، التى كانت تؤيد محمد على ، بعد أن كانت قد إحتلت الجزائر ، وخشيت بريطانيا من سيطرته فرنسا بسهولة بعد ذلك على طرابلس وتونس ، وبشكل يمد السيطرة الفرنسية على سواحل البحر المتوسط من قرب مضيق جبل طارق حتى خليج الاسكندرونه . وكذلك فان بريطانيا جمعت حولها روسيا والنمسا وبروسيا ؛ واتفقت معهم لندن ( ١٥ يوليو ١٨٤٠ ) . وكانت هذه المعاهدة درساً لفرنسا . خاصة وأنها كانت فى ذلك الوقت منافساً خطيراً لبريطانيا فى بلجيكا ، وهى البلاد الأوروبية المواجهة للجزر البريطانية . ولقد نصت هذه المعاهدة على أن الباب العالى تلتزم بمنع السفن الأجنبية من المرور فى المضائق . وفى حالة إقدام والى مصر على توجيه قواته البرية والبحرية ضد استانبول ، فان الدول الأوروبية تقوم ، وبنا على طلب صريح من السلطان ، بالإستجابة لطلبه ، وتتخذ الاجراءات لحماية عرشه ، عن طريق التعاون الذى يتم بموافقة مشتركة من الدول الموقعة على المعاهدة ، وبذلك تصبح المضائق ، وكذلك باقى الأراضى العثمانية ، فى مأمن من كل إعتداء .

ولقد تراجعت فرنسا عن موقفها ، وانضمت ، فى ٣ مارس ١٨٤١ للدول

## ١٠٢ -

الموقعة على معاهدة لندن ، فسمح ذلك بعودة وحدة الصف إلى الدول الأوروبية الكبرى ، فيما يتعلق بتسوية المسألة الشرقية .

وبعد تسوية المسألة المصرية ، قامت الدول الأوروبية الست ، التي وقعت على المعاهدة السابقة ، وهي الدولة العثمانية . وبريطانيا العظمى . وفرنسا ، وروسيا ، والنمسا ، وبروسيا ، بعقد معاهدة ، في ١٣ يوليو ١٨٤١ عرفت باسم معاهدة لندن بشأن المضائق . وتقع هذه المعاهدة في ثلاث مواد ؛ وأعلن السلطان تعهده وتصميمه على أن يلتزم في المستقبل بالمبدأ الثابت في الدولة العثمانية ، والذي حرم على كل السفن الحربية لجميع الدول الأجنبية ، وفي كل الأوقات ، أمر الدول إلى المضائق ؛ وطالما كان السلطان في حالة سلم فإنه لن يسمح لاية سفينة أجنبية بدخول المضائق . ومن ناحية أخرى ، أعلن أباطرة وملوك الدول الأوروبية أنهم يتعهدون باحترام تصميم السلطان ، وبالتزام هذا المبدأ . واحتفظ السلطان لنفسه بحق منح ترانزيت للسفن الحربية الخفيفة ، التي سوف تستخدم في خدمة السفارات والقنصليات الأجنبية .

وهكذا نصت هذه الاتفاقية على أن عبور المضائق « يقفل دائماً أمام سفن الحرب الأجنبية ، مادام الباب العالي في حالة سلم » . ولقد أصبح من « واجب » الحكومة العثمانية أن ترفض هذا العبور ، وتعهدت الدول العظمى ، باحترام هذا الوضع ولكن السلطان لم يقيد بمبدأ « الاغلاق » ، إذا ما وجد نفسه مشتركاً في حرب ؛ وأصبح من حقه ، في مثل هذه الحالة ، أن يستدعى أسطول إحدى الدول الصديقة إلى المضائق .

وكانت هذه الوضعية تنقص من سيادة الباب العالي ، من حيث المبدأ ، مادام السلطان ، الذي كان حراً في الماضي في فتح وإقفال العبور حسب رغبته ، قد أصبح الآن وفي زمن السلم ، « حارساً للأبواب » تحت إمرة أوروبا . ولكن

## ١٠٤ -

الحكومة العثمانية وجدت في حقيقة الأمر بعض الميزات في هذه الوضعية ، إذ أنها لم تكن تشعر ، حين كانت حرة ، بقوة كافية لمنع توغل أى أسطول أجنبي داخل المضائق ، حيث كان وجود هذه السفن الحربية يهدد إستقلال سياستها . وأصبح في وسعها ، منذ ذلك الوقت ، أن تتهرب بسهولة من مثل هذه الضغوط ، وتحمى نفسها وراء سلطة أوروبا .

وإن مايشير الدهشة من الرحلة الأولى هو رؤية قبول الحكومة الروسية لهذا النظام ، مادام «الإقفال» يحرم أسطولها في البحر الأسود من الخروج إلى البحر المتوسط : الأمر الذى جعل السيادة الروسية تتنازل عن الضغط الذى كان في وسعها ممارسته على بريطانيا العظمى . ومع ذلك فإن مدى هذا التنازل كان بسيطاً ، لأن هذا الأسطول لم يكن في حالة تسمح له بمنازلة الأساطيل الانجليزية . وعلى العكس من ذلك ، نجد أن الإقفال كان يعطى ميزة لروسيا ، مادام يمنع القوة البحرية الانجليزية من الظهور في البحر الأسود . ولذلك فإن الإتفاقية ، في هذه النقطة ، كانت تؤكد المادة السرية في معاهدة انكيار أسكله سى . وبالإختصار ، فإن نظام المضائق كان ضمناً أخذته كل من روسيا وبريطانيا العظمى ، الواحدة ضد الأخرى ، وبرهان على الوفاق الذى عقده ، في عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ فى مسألة المحافظة على الامبراطورية العثمانية .

وهكذا فشلت روسيا من جديد ، ولفترة ، عن الخروج من مياه البحر الأسود إلى مياه البحر المتوسط .

ولكن ، هل إستنفدت روسيا وسائل عملها ، بعد أن منعت من الخروج البحرى . لقد كانت هناك ذرائع أخرى ، ووسائل عمل أخرى ، تهدف لنفس الهدف ، مادامت مصلحة روسيا كانت تسيرها صوب الخروج إلى البحر الحر ، فلقد كانت هناك مقالة الأهلالي الأرثوذكس في الدولة العثمانية ، وكانت هناك

مسألة العناصر السلافية في البلقان ، بعد ذلك ؛ وكانوا هم أيضا من الارثوذكس . وكانت هذه ذرائع جديدة لتدخل روسيا في الدولة العثمانية ، ومحاولة الوصول إلى أراضي ، وأهالي تطل بلادهم على البحر المتوسط .

#### ٥ - حرب القرم والوقوف في وجه روسيا :-

كانت هناك دوافع تدفع روسيا صوب العمل ضد الدولة العثمانية ، في أواخر سنوات الأربعينات ، وأوائل سنوات الخمسينات . ذلك أنها ، من الناحية الاقتصادية كانت ترغب في زيادة تصدير حاصلاتها من القمح صوب أوروبا الغربية ، وكانت من الناحية الدينية تحاول زيادة روابطها بالكنائس الارثوذكسية ، وبالشعوب الارثوذكسية الموجودة في البلقان ، وفي فلسطين ؛ كما كانت من الناحية السياسية ترغب في مد مجال نفوذها السياسي في البلقان ، ولإبتداء من ولايتي الأفلاق والبغدان ، صوب بلغاريا في الجنوب .

وإدعت روسيا أن الاصلاحات التي أعطتها الدولة العثمانية باسم دخطي شريف كلكخانه ، كانت غير محددة ، وغير كافية ، وأنه من حق روسيا أن تمارس حق حماية الرعايا الارثوذكس في الدولة العثمانية ، تشبها بفرنسا التي كان لها حق حماية الرعايا الكاثوليك في هذه الدولة .

ولقد فكرت روسيا في ذلك الوقت حتى في مشروع تقسيم الدولة العثمانية مع بعض الدول الأوروبية ، وخاصة مع النمسا ، وعلى أن تعطى بريطانيا مصر . أوكريت .

ولكن هذا الاتجاه كان ضد مصالح بريطانيا العظمى التي كان حجم تبادلاتها زاد مع الدولة العثمانية من ١٨٣٩ إلى ١٨٦٠ . وكان هذا العامل الاقتصادي هاما بالنسبة لبريطانيا العظمى ، ويمكننا أن نضيف إليه مشغولية بريطانيا العظمى في المحافظة على التفوق الانجليزي على الطرق الملاحية في البحر المتوسط .

أما فرنسا فإنها كانت تخشى من إقامة سلطة أرثوذكسية، في استانبول ، تقلل من قيمه البابوية ، وكان نابليون الثالث يرغب في ضم بريطانيا إليه ، في مشروعاته الأوربية ، لكي يضرب بها روسيا .

ولذلك فإن هاتان الدولتان وقفتا في وجه المشروع الروسى ، ونجحتا في ضم النمسا إليهما ، خاصة وأن تفوق النفوذ الروسى في الأغلاق والبغدان ، وهما يطلان على مصب الدانوب ، كان أمراً يخيف النمسا . وأخيراً ، وأمام مثل هذا التكتل ، فلم يكن من مصلحة بروسيا أن تشاهد استفحال النفوذ الروسى ، كدولة مجاورة لها ، وتوسع في اتجاه الجنوب . وأخيراً انضمت دولة بيدمونت إلى هذا التكتل ، الذى أرسل قوات عسكرية لنجدة الدولة العثمانية .

ولقد انتهت حرب القرم بعد عدة معارك ، ومن أهمها معركة سيباستبول، وإن كان سبب انتهائها سياسى ، أكثر منه عسكرى ، إذ أن كل من الطرفين كان يصعب عليه فرض نفسه على الجانب الآخر بقوة السلاح .

وجاءت معاهدة باريس ١٨٥٦ لى تنتهى هذه الحرب، وفي نفس الوقت أعلنت الدولة العثمانية «خطى شريف همايون» للإصلاحات في ولاياتها ، ومع رعايتها . وفي نفس الوقت الذى تم التوقيع فيه على معاهدة باريس ، ٣٠ مارس ١٨٥٦ ، تم التوقيع كذلك على إتفاقية خاصة بالمضايق والتواجد البحرى في البحر الأسود . وكانت تكرر نفس التزامات إتفاقية لندن بشأن المضايق ، وعام ١٨٤١ ؛ وإن كانت قد زادت عليها فقرة خاصة بشأن السفن الحربية الأجنبية التابعة للدول الموقعة على معاهدة باريس ، والمسموح لكل منها بالتواجد في مصبات نهر الدانوب في البحر الأسود ، ضماناً لتنفيذ اللوائح الموضوعة لكفالة حرية الملاحة في هذا النهر، وبحيث لا يزيد عدد هذه السفن عن سفينتين لكل دولة ،

وهكذا أوقفت عملية محاولة توسع روسيا وضغطها للوصول إلى البحر المتوسط،



## - ١٠٧ -

رغم أنها قد زعمت هذه المرة بحقها في حماية المسيحيين الارثوذكسيين في الدولة العثمانية ، ووقفت أمام روسيا كل الدول العظمى الأوروبية ، وأجبرتها على الاستمرار في احترام وضعية المضائق ، التي وجدت منذ عام ١٨٤١ .

ومع ذلك فإن الدولة العثمانية قد زاد ضعفها ، نتيجة لعواملها الداخلية العديدة ، وعدم كفاءتها في التعامل مع الدول العظمى ، وبشكل أغرى روسيا، من جديد . إلى القيام بمحاولات للتوسع فيها ، بهدف الوصول إلى البحر المتوسط .

وكانت حرب البلقان ١٨٧٥ - ١٨٧٨ فرصة لمحاولة روسيا جديدة ، وهي الحرب التي مستعطى ، مع معاهدة سان ستيفانو ، ثم مع مؤتمر برلين ، في عام ١٨٧٨ ، فرصة لبريطانيا العظمى لكي تحصل على قبرص .



# البَابُ الثَّالِثُ

## قِرْصٌ تَحْتَ الْحَكْمِ الْبَرِيطَانِي



## الفصل السابع

### حصول بريطانيا على قبرص ( ١٨٧٨ )

#### ١ - روسيا وحرب البلقان ( ١٨٧٥ ) :-

كانت إثارة المسألة الشرقية ، إبتداء من عام ١٨٧٥ متوقعة ، خاصة وأن نمو حركة القوميات في شبه جزيرة البلقان كان يضعف من السيطرة العثمانية على هذه المنطقة ؛ كما أن إمكانيات تدخل الدول العظمى تزايدت ، مع تزايد مصالحها في هذه الأقاليم ، وعبرها .

ولقد كان التقسيم الجزئي للدولة العثمانية في أثناء القرن التاسع عشر ، مع إنشاء إمارات الصرب والجبل الأسود ، وملكسة اليونان ، وأخيراً إمارة رومانيا ، يزيد من الصعوبات في المناطق التي كانت لا تزال خاضعة للسيطرة العثمانية ، والتي عاشت فيها شعوب صربية وبلغارية ويونانية ورومانية . وكانت هذه الإمارات وهذه الممالك مراكز جذب بالنسبة لتلك الشعوب . وكان البلغار هم وحدهم ، من بين مسيحي الإمبراطورية العثمانية الذين لا يجدون في الخارج وطناً قومياً ، مستقلاً أو شبه مستقل ، يمكنهم أن يوجهوا أنظارهم نحوه ؛ ولذلك فإن يقظتهم القومية كانت أكثر بطشاً من يقظة الشعوب المسيحية الأخرى . ولكنهم وصلوا من السلطان ، وبمساعدة روسيا ، في شهر أبريل ١٨٧٠ على نظام ديني جديد : فبدلاً من أن يخضعوا لبطريرك إستانبول الأرثوذكسى ، والذي كان يونانياً ، أصبحت لهم كنيسة قائمة بذاتها ، تخضع لرئيس بلغارى . وساعد وجود هذه الكنيسة البلغارية على نمو الشعور القومى .

ولقد تسببت الأوضاع الموجودة في البلقان في ظهور حركة ثورة

كبيرة ، بدأت في عام ١٨٧٥ ، ووصلت في خلال بضعة أشهر من البوسنة والهرسك إلى بلغاريا .

ولقد كانت الظروف الاقتصادية والأحوال الاجتماعية ، هامة بالنسبة للبوسنة والهرسك ، وحيث كانت أغلبية الشعب تتحدث اللغة الصربية ، وتبجع المذهب الأرثوذكسي . وكان النبلاء المحليين هناك قد وافقوا على سياسة البقاء منضمين إلى الدولة العثمانية ، حتى يحافظوا على إمتيازاتهم . ولقد إشتكى الفلاحون ، وخاصة حين كانوا من المستأجرين ، من التضخم المستمر لحقوق السادة ، ومن زيادة كل الرسوم والأعباء الضرائبية . وفي عام ١٨٧٥ جاء سوء المحصول لكي يزيد من بؤسهم ؛ وفي المدن رأى الحرفيون — من صانعي الأحذية والساجين — أن حالتهم تتدهور منذ إلغاء نظامهم التعاوني في عام ١٨٥١ ، وزيادة منافسة المنتجات المستوردة . ولقد إستغلت طبقة صغار القسس الأرثوذكسيين مشاعر عدم الرضاء هذه . ولكن العامل الديني لم يكن له ، مع ذلك ، إلا دوراً ثانوياً ، خاصة وأن الشعوب الأرثوذكسية كانت بمتزجة بمجموعات كاثوليكية ، كان رؤساؤها حذرين بالنسبة للحركة القومية ، وكانت بمتزجة بالإسراييليين الذين كانوا يؤيدون السلطة العثمانية .

ولقد كان دور حكومة الصرب أكثر أهمية . وكانت دعاية الحركة القومية الصربية مستمرة في البلقان ، وإستمرت في البوسنة والهرسك بنوع خاص ؛ وكانت الصرب ترغب في أن تلعب في البلقان دوراً مماثلاً لذلك الذي لعبته بيدمونت في إيطاليا .

وأما في بلغاريا ، فإن الحركة الثورية لم تظهر على أنها متأثرة ، بطريق مباشر ، بالمصالح الاقتصادية أو بالأحوال الاجتماعية ؛ ذلك أن المعارضة كانت من عمل رجال الدين والمدرسين ، ويشرف عليها عدد من المثقفين الشبان ، وكان يغذيها

شعور وطني ولسكن هذه الحركة كانت أكثر تنظيماً من حركة البوسنة ، رغم أنها لم تضم إلا أقلية من الشعب ، وقام ليفسكي ، الداعي لها ، ومنذ عام ١٨٧٣ ، بتنظيم مائتين من اللجان الثورية السرية . و حاولت اللجنة الثورية المركزية ، لكي تقود الجماهير ، أن تقنعهم بأن في وسع الثورة أن تعتمد على معونة خارجية ؛ ولم تتردد في بعض الحسابات ، ولسكي تقنعهم ، من إستخدام القوة ، وهددت بإحراق القرى إذا رفض سكانها الإشتراك في العمل . ومع ذلك فإنها لم تتمكن من الحصول على التأييد الفعلي والكامل إلا في قسم من البلاد . ولذلك فإن هذه الثورة البلغارية لم تكن « حركة جماهيرية » .

ولم يكن في وسع الدوافع المحلية وحدها أن تكفي لإثارة الثورة ، إذا لم يكن لدى رؤسائها أملاً في معونة تأتي من الخارج . وهذه المعونة كان في وسعهم أن ينتظرونها إما من روسيا ، وإما من النمسا والمجر . ومن المرجح أن الرحلة التي قام بها الإمبراطور فرانسوا جوزيف في دالماتيا في ربيع ١٨٧٥ ، وعلى طول الحدود مع البوسنة والهرسك ، قد شجعت الصرب في هذا الإقليم على الثورة . ومن المرجح أكثر من ذلك أن موقف عملاء روسيا قد أعطى للصرب والبلغار إعتقاداً بأنهم لن يكونوا بمفردهم ، إذا ما بدأوا الثورة ضد السيطرة العثمانية .

ولتبدأ الثورة في البوسنة والهرسك ، في شهر أغسطس ١٨٧٥ ، ولمتدت في ربيع ١٨٧٦ إلى بلاد البلغار . ولقد قاسى من ذلك الآلاف من الأتراك المسلمين المقيمين في هذه المناطق ؛ ولذلك فإن القمع كان سريعاً وحاسماً وبخاصة في بلاد البلغار . وعندئذ أعلنت الصرب والجبل الأسود الحرب على الإمبراطورية العثمانية ، وكان من الطبيعي أن تسحق المائتين الإماراتين إذا لم تحصلا على تدخل أجنبي .

ولقد وجدت روسيا في هذه الأزمة فرصة لإضعاف الإمبراطورية العثمانية ،

ولتدعيم نفوذها على الشعوب السلافية في شبه جزيرة البلقان ؛ وكان يكفيها أن تؤيد آمالهم في الإستقلال الذاتى أو فى الإستقلال . ولكنه كان على روسيا أن تتوقع مقاومة من جانب النمسا والمجر ، ومن جانب بريطانيا العظمى . وفى أول الأزمه ، قيم جور تشاكوف الخطر : فكان يرغب فى تأييد مصالح العناصر السلافية البلقانية ، ولكنه كان يرغب فى أن يعمل بالاتفاق مع الدول الأخرى إلى أبعد درجة ممكنة . وأشار إجناتيف ، سفير روسيا فى إستانبول ، والذي كان على اتصال بأوساط حركة الجامعة السلافية ، على العكس من ذلك ، بعمل « مستقل » : فكان فى وسع روسيا ، إذا ما تصرفت بمفردها ، أن تأخذ فى يدها زمام الحركة السلافية فى البلقان ، وتحصل على نفوذ مسيطر فى شبه الجزيرة . ولقد عطل هذا الخلاف فى رأى أمر إتخاذ قرار لمدة عدة أشهر . ومع ذلك ، فقد إعترف جور تشاكوف ، فى خريف عام ١٨٧٦ ، بأن نفوذ روسيا فى البلقان سيأخذ ضربة قوية وخطيرة ، إذا ما ترك الصرب والجبل الأسود تسحق . ولذلك فلإن حكومة روسيا أعلنت للدول أنها ، إذا لم تتفق لى تفرض على السلطان برناجاً للإصلاحات فى صالح الشعوب المسيحية ، فإنها لن تتردد فى التدخل بمفردها .

وكانت النمسا والمجر تراقب « طريق سالونيك » . وكانت تفكر فى إقامة نفوذها فى البوسنة والهرسك ، وهما ظهيرمة طاعة دماشيا النمساوية . وكانت تنظر كذلك صوب صنجق نوفي بازار ، الإقليم العثمانى المحصور بين الصرب والجبل الأسود . وكانت هذه هى مشغولياتها المباشرة . ولكنها لم تكن بطبيعة الحال ترغب فى نمو حركة سلافية تحت إشراف روسيا فى البلقان .

وكانت من مصلحة بريطانيا العظمى ، فى هذه الأزمه الجديدة ؛ مثل غيرها من الأزمان السابقة ، أن تحتفظ بسلامة الإمبراطورية العثمانية . وفى حالة تفككها ، كانت بريطانيا تخشى من أن ترى روسيا تستولى على المضائق . أما بالنسبة لإمكانية



القيام بضغط على السلطان لإجباره على تحسين حال الشعوب المسيحية ، فلم تكن هناك وحدة بشأنها في وجهات نظر الساسة . وكانت مشاركة بريطانيا في الضغط على السلطان في هذه المسألة تهدد بالتأثير على النفوذ الذي كانت الدبلوماسية البريطانية تحظى به في إستانبول ، وتهدد بإمكانية أن يؤدي ذلك إلى تنفيذ سياسة روسيا .

وظهرت الأزمة الدولية حينما أعلن القيصر ، في خطبة ألقاها في موسكو ، يوم ١١ نوفمبر ١٨٧٦ ، أنه مصمم على إستخدام السلاح ، إذا لم تقرر الدول التدخل بقوة لدى الحكومة العثمانية . واحتفظت هذه الأزمة بأوروبا في حالة طوارئ ، لمدة تقرب من عامين .

ولقد كان من اللازم أن تحصل الدول العظمى من سلطان الدولة العثمانية على تطبيق برنامج إصلاحات ، حتى يتفادوا تدخل روسيا . وكان سلطان الدولة العثمانية في ذلك الوقت هو السلطان عبد الحميد الثاني ، الذي كان قد وصل إلى العرش بعد أزمة ، وهزة عنيفة لنظام الدولة . ذلك أن السلطان عبد العزيز كان قد عزل عن العرش يوم ٣٠ مايو ١٨٧٦ ، بناء على فتوى مبنية على تهذيبه وعجزه عن حكم الدولة . أما ابن أخيه ، الذي إحتل عرش السلطنة بعده ، وهو مراد الخامس ، فلم يبق على العرش سوى ثلاثة أشهر ، عزل بدوره بعدها ، نتيجة لإختلال قوته العقلية ، وعجزه عن الحكم في هذا الوقت العصيب . وجاء بعده أخاه ، عبد الحميد ، في شهر أغسطس ١٨٧٦ ، ووجد الثورة قد إشتعلت أقاليم البلقان ، وإمتدت من البوسنة والهرسك صوب بلغاريا . وكانت روسيا تهدد ، والدول الأوروبية تطالب بضمانات في صالح المسيحيين في البلقان . وطالبت روسيا بضرورة فرض الهدنة في البلقان ، وإجراء مفاوضات بين الدولة العثمانية وبعض الولايات البلقانية من أجل عقد الصلح . ثم تقدمت بإنذار بضرورة منح الإستقلال

الإدارى لبعض هذه الولايات البلقانية ، وأن تضمن الدول الأوروبية حقوق سكانها المسيحيين . ووافق السلطان على ذلك ، خاصة وأنه كان من الواضح أن روسيا كانت مصممة على منازلة العثمانيين ، لتحقيق أطاعها التوسعية ، في الدولة العثمانية ، تحت ستار الانتصار لمبدأ حرية الشعوب في البلقان .

وقضجت عند بريطانيا العظمى فكرة الدعوة لعقد مؤتمر دولى في الآستانة ، بهدف العمل على ضمان تحسن حالة الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية ، وبالتالي تجنباً لقيام روسيا بدورها الذى رسمته لنفسها ، كحامية للمسيحيين في البلقان ، وللوصول إلى أهدافها التوسعية من وراء هذا الستار .

ولقد ألقى قيصر روسيا خطاباً مشيراً ، أثنى فيه على إستبسال أهل الصرب والجهل الأسود ، في حربهم ضد الدولة العثمانية ؛ ثم قادت روسيا بعملية تعبئة لقواتها الموجودة على الحدود .

ووافقت الدول الأوروبية على عقد المؤتمر الدولى ، الذى إجتمع فى إستانبول يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦ ؛ وكان يضم ممثلين عن فرنسا وبريطانيا وإيطاليا ، وروسيا وألمانيا والنمسا والمجر ، علاوة على ممثل الدولة العثمانية . وكانت هذه الوفود قد إتفقت مسبقاً ، وقبل بذلك ببضعة أيام ، وبدون المندوب العثمانى ، على الإقتراحات التى سوف تتقدم بها وتعرضها على المؤتمر بصفة رسمية ، وتطلب موافقة السلطان عليها كمطالب .

وقرر السلطان عبد الحميد أن يعلن إصدار الدستور ، أو المشروطة ، فى نفس اليوم الذى إفتتح فيه مؤتمر الآستانة الدولى . وكان هذا الدستور يقرر المساواة بين جميع الرعايا أمام القانون ، وينص على وحدة الدولة وعدم إمكان فصلها أو تجزئتها ؛ ووضع ضمانات ضد مصادرة الأموال ، والتعذيب . كما أنه وضع نظاماً لإنشاء الحكم التمثيلى ، وذلك عن طريق الإلتخاب من أجل مجلس المبعوثان ،

وقيام الدولة باختيار أعضاء لمجلس الأعيان . ولقد نص الدستور على سيادة القانون ، وضمان عدم التدخل في القضاء ، وأعلن حرية التعليم . وحرية الصحافة .

وهكذا أسقط في يد مندوبي الدول ، رغم أن البعض إدعى بأنها كانت مجرد مسرحية ، من جانب الدولة العثمانية ، لتفويت الفرصة على الدول الأوروبية ، من أجل التدخل ، ومن أجل الحصول على ضمانات دولية . فدعا السلطان عبد الحميد إلى إجتماع ، يوم ١٨ يناير ١٨٧٧ ، حضره ما يقرب من المائتين من أعيان الدولة ، ورؤساء الديانات ، وعرض عليهم مطالب الدول ؛ ولقد أجمعوا على رفضها . وهكذا رفض السلطان عبد الحميد مطالب مندوبي الدول الأوروبية ؛ عملاً برأى كبراء الأمة ، ورؤساء المذاهب والديانات ؛ وحفظاً لكرامة الدولة وصيانة لشرفها . وإذا كانت الدولة مستعدة للنظر في بعض طلبات المؤتمر ، فإنها كانت غير مستعدة للتمازل عن أى جزء من أراضيها ، سواء للصرب ، أو للجميل الأسود أو غيرها ؛ ما دامت قد أصدرت الدستور ، وسوت بين رعاياها .

وكان الإصرار من جانب الدول على ضرورة أخذ ضمانات من الدولة العثمانية ، بعد إصدار الدستور ، يعتبر أمراً غير ذى موضوع . فأنهى المؤتمر الدولي أعماله ، يوم ٢١ يناير ، وسافر المندوبون راجعين إلى بلادهم . وفتح ذلك الطريق لحرية عمل روسيا ، وعملها المسلح .

### ٣ - معاهدة سان إستيفانو -

وكانت روسيا قد أخذت لإحتياطها ، قبل أن تستخدم القوة المسلحة ضد الدولة العثمانية ، جماعة ، وأنها كانت لا ترغب في الاصطدام ، في نفس الوقت بانجلترا ،

وبالنسبة والمجر . ولذلك فإنها تفاوضت مع حكومة النمسا والمجر . وهذه المفاوضات ، التي كانت قد بدأت في عام ١٨٧٦ ، واستمرت بعد فشل مؤتمر الاستانة ، انتهت في يوم ١٥ يناير ١٨٧٧ بالتوقيع على اتفاقية سرية . ووعدت النمسا والمجر روسيا بأن تحتفظ ، في حالة نشوب الحرب الروسية التركية ، بحالة حياد ودي ، وحتى بأن تعمل دبلوماسياً على إبعاد إمكانية تدخل دولة ثالثة ، أي إنجلترا . وحصلت النمسا والمجر ، وفي نظير هذا الوعد ، على حق إحتلال البوسنة والهرسك ، وتعهدت روسيا بأنها لن تمتد عملياتها في أثناء الحرب الروسية التركية داخل ذلك الجزء الغربي من شبه الجزيرة . وبالاختصار ، فإن حكومة النمسا والمجر قد عرفت أنه لا يمكنها أن تتفادى تدخلا روسيا ؛ ولذلك فإنها قد فضلت حلا وسطاً ، يحدد الخسائر ، ويضمن لها تعريضا .

ولقد عملت روسيا على تصعيد الموقف ، في نفس الوقت الذي عملت فيه على بذل مجهودها من أجل ضمان حياد الدول الأوروبية في الحرب . وأوفدت روسيا إجناتييف إلى العواصم الأوروبية . ولاتفق ، في لندن ، على عقد مؤتمر دولي في العاصمة البريطانية ، يحضره سفراء الدول الموقعة على معاهدة باريس ١٨٥٦ . ولانعقد هذا المؤتمر ، ولم تشارك فيه الدولة العثمانية ، وأصدر دبروتوكول لندن ، في ٣١ مارس ١٨٧٧ ، وكان عبارة عن إنذار جماعي من الدول للباب العالي ، بضرورة عقد معاهدة صلح مع الجبل الأسود ، على أساس منح هذا الإقليم إضافات إقليمية كان يطالب بها ، وإنقاص أعداد الجيش العثماني الموجود في البلقان ، ومحسين أحوال الرهايا المسيحيين في الدولة وسوف تتخذ الدول الإجراءات الفعالة هذه الدولة العثمانية في حالة رفض هذه الطلبات ، ولقد عرض السلطان عبد الحميد هذه المطالب على مجلس المبعوثان ، فرفضها ، فأصبحت الحرب وشيكة الوقوع ،

وكانت روسيا قد أخذت إستعداداتها من أجل الحرب . منذ نشوب الثورة في البلقان . وكان هناك الكثيرون من الضباط الروس قد حصلوا على إجازات من عملهم ، حتى يتمكنوا من قيادة ثوار البلقان ضد الدولة العثمانية . وأخيراً تمكنت روسيا ، في هذا المناخ السياسي الذي سيطر على أوروبا ، من الإتفاق مع رومانيا ، وبإتفاقية سرية ، على مرور قواتها عبر أراضي رومانيا . في زحفها على الدولة العثمانية . وأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية . يوم ٢٤ أبريل ١٨٧٧ ، وعبرت قواتها حدود الدولة في البلقان . وفي آسيا ، في نفس اليوم . وكانت روسيا تعتمد على قوات برية ضخمة ، حشدتها على طول حدودها الجنوبية مع رومانيا ، وستكون هذه هي القوات الرئيسية في الحرب ضد الدولة العثمانية ، وبشكل يجعلها تزحف جنوباً إلى بلغاريا ، وتنزل إقليم الروميلي العربية الأراضى العثمانية في البلقان . وبذلك يحصل الثوار في الصرب والبوسنة والجبل الأسود على تفوق واضح ضد جيوش الدولة ، التي مستقطع خطوط مواصلاتها مع إستانبول . ويمكن لهذه القوات أن تهدد أدرنة وإستنبول ، وتقضى على الحكم العثماني في البلقان ، وتهدد عاصمة الدولة . إنه سهم يهدد بالوصول إلى البحر المتوسط ، أو على الأقل إلى المضائق .

وفي نفس الوقت جهزت روسيا هجوماً ثانياً ، يقوم به القوازق ، على منطقة جورجيا ، وهلال الجراكسة الواقعة فيما بين البحر الأسود وبحر قزوين ، وهدفت الوصول منه ، والدولة العثمانية مشغولة في البلقان ، إلى أقاليم الأرمن ، عبر أذربيجان ، وبعد أن تقضى على الجراكسة ، حراس الحدود الجبلية .

وأما في البحر الأسود ، فإن الأسطول الروسي كان ضعيفاً ، وكان لا يمكنه أن يدخل في معارك سندس من الجهادية العثمانية . ولذلك فإن الحرب ستكون برية ، وفي ميدانين : البلقان ، وتدعى فيه روسيا أنها تسمى الثوار ، ونفيم من وجودهم

## ١٢٠ -

ومعوتهم لها . ومعوتها لهم ؛ وفي آسيا ، وحيث يمكن روسيا أن تتوسع بسهولة ، نتيجة لإنشغال الدولة العثمانية بشورات البلقان .

وعليها ألا تنسى أن الدولة العثمانية كانت تتمر بأزمة إقتصادية ومالية حادة ، منذ بضعة سنوات ، وأن مالياتها كانت قد خضعت ، في إمتانبول ، للرقابة المالية الأوروبية ، منذ عام ١٨٧٦ ، مثلها في ذلك مثل مالية كل من مصر ، وتونس .

ودخلت القوات الروسية رومانيا ، وبإتفاق مع هذه الإمارة ، التي كانت لا تزال خاضعة للسيادة العثمانية . فصدرت الأوامر لوحدة البحرية العثمانية الموجودة في مصب نهر الدانوب بقذف شواطئ رومانيا . وردت رومانيا على ذلك بإعلان إستقلالها يوم ١٤ مايو ١٨٧٧ ، ثم أعلنت دخولها الحرب إلى جانب روسيا . وإنضم جيش رومانيا ، والذي كان يبلغ ستين ألفاً ، إلى جانب روسيا ، الأمر الذي سهل على جيش روسيا أمر عبور نهر الدانوب ، في أواخر شهر يونيو ؛ وغير ذلك من موازين القوات الموجودة في البلقان . وكان الجبل الأسود قد إنضم إلى روسيا ، منذ الأيام الأولى للحرب ، الأمر الذي إضطرت الدولة العثمانية إلى تحويل جزء من قواتها لمواجهة هذه الحالة في غرب البلقان ، بدلا من تجميع كل قواتها في مواجهة قوات روسيا . ودخلت الصرب بعد ذلك الحرب ، الأمر الذي جعل الدولة العثمانية تواجه تكتلا من روسيا ، ورومانيا ، والجبل الأسود والصرب ضدها ، وكان تكتلا مسيحيًا واضحًا ، خاصة وأن المسيحي الدولة العثمانية في البلقان إنضموا إلى هذا التكتل ؛ حتى أن أدت هذه الحرب شكلا صليبيًا واضحًا ضد الاتراك والمسلمين في شبه جزيرة البلقان . ولقد قاموا بمهاجمة أحياء المسلمين في المدن ، وإفترسوها وأعموا القتل والنهب والسلب ، والسبي وإشعال الخرائق فيها ؛ وحتى المساجد لم تهمل منهم ،

مما كان الهجوم الروسي قويًا ، وزاد إشتعال الثورة في البلقان ، مما إضطرت

## - ١٢٩ -

قوات الدولة إلى أن تتخلى عن كثير من المواقع ، وتتقهقر جنوباً ؛ كما تقدمت قوات روسيا في القوقاز ، وانتشر الذعر في إستانبول .

وانضمت بلغاريا إلى هذه الجبهة المهادية للدولة العثمانية وإن كانت المعارك تجرى في أراضيها ، ووقفت الدولة العثمانية بمفردها ، ولأول مرة ، في وجه مثل هذا التكتل . ولم تجرؤ إنجلترا وفرنسا على التدخل ، كما حدث في حرب القرم من قبل ؛ وظهر نجاح روسيا في عزل الدولة العثمانية دبلوماسياً ، بعد أن إنفقت مع إمبراطورية النمسا والمجر على أن تحتل إقليمى البوسنة والهرسك ، وأكدت لبريطانيا وفرنسا أن مصالحهما لن تتعرض للخطر ، وأن العمليات العسكرية لن تمتد إلى مصر ، وإلى قناة السويس ، ولن تعوق حرية الملاحة فيها .

ولقد أثبت الجيش العثماني جدارته ، وتميز الكثير من قواده في أثناء هذه الحرب ، وبخاصة عثمان باشا ، الذي قاد موقع بلغنا ، ببسالة منقطعة النظير . وكانت بلغنا في موقع ممتاز ، وفي غاية الأهمية من الناحية الإستراتيجية ، إذ أنها كانت تتحكم في الطرق الرئيسية الموصلة بين نهر الدانوب ، وغرب بلغاريا ، ومرتات جبال البلقان . ولقد قام عثمان باشا ببناء التحصينات والإستحكامات فيها ، وبشكل جعل هجمات الروس القوية والعنيفة تفشل في إقتحامها ، وتعود بعد كل هجوم ، وقد تركت الأرض مغطاة بالقتلى والجرحى . ولقد حضر قيصر روسيا بنفسه ، مع أمير رومانيا ، لرفع الروح المعنوية عند القوات الروسية ، ولكنهم اضطروا في النهاية إلى فرض الحصار المحكم على هذا الموقع ، بعد أن فشلوا في عمليات الهجوم عليه . وإستمر هذا الحصار مدة ستة أشهر كاملة ، من يوليو إلى ديسمبر ١٨٧٧ ؛ وسحين نفدت الذخائر من أيدي المدافعين العثمانيين ، اضطروا إلى التسليم ، بعد أن فقد الجيش الروسى أمام هذا الموقع ٣٨.٠٠٠ جندي ، ووصلت خسائر العثمانيين فيه إلى ١٥.٠٠٠ رجل . ولقد أشاد قيصر روسيا نفسه

ببشارة عثمان باشا ، قائد موقع بلقنا ، كما أرسل إليه السلطان عبد الحميد مكبراً بطولته وبطولة رجاله وبسالتهم

ومنذ بضعة أسابيع من ذلك كانت قوات روسيا قد أحزرت إنتصاراً في جبهة القوقاز ، وإستولت على مدينة قارص ، يوم ١٨ نوفمبر / ١٨٧٧ ؛ ثم جاء سقوط بلقنا يوم ١٠ ديسمبر . ولقد وجهت روسيا جيوشها صوب بلغاريا والروميلي ، وسقطت في أيديها صوفيا ، وأدرنة ؛ وبذلك أصبحت هذه القوات على مسافة ٥٠ كيلوا متراً من إستانبول .

وأمام هذا الزحف ، قام المسيحيون بالانتقام من المسلمين ، الأمر الذى أدى إلى هجرة الكثيرين من المسلمين صوب استانبول ، تاركين ديارهم وأملأهم وأمتعتهم . وإمتلأت بهم شوارع العاصمة ، إذ أن أعدادهم زادت على مائة وخمسين ألفاً . ووقع على الحكومة أمر إغاثتهم ، وتقديم المأوى والملابس والطعام لهم ؛ وزاد الطين بلة إنتشار وباء التيفوس بينهم .

وإضطرب الباب العالى إلى أن يطلب إلى الدول الموقعة على معاهدة باريس ١٨٥٦ التوسط لدى روسيا لوقف إطلاق النار ؛ تمهيداً لعقد الصلح ؛ ولكن الدول تباطأت . وكان الموقف يهدد باشتراك اليونان في الحرب ، وضد الدولة العثمانية كذلك ، ومن أجل تحقيق أطماع في البلقان ، وفي جزر البحر المتوسط ، وعلى أساس الوصول إلى إرضاء الإتجاه داهلينى ، وعلى حساب الدولة العثمانية . وأعلنت الحكومة اليونانية تأييدها للحركات الثورية التى نشبت في إلبروس وتراقيا وجزيرة كريت ، وإستعدادها لإحتلال هذه الأقاليم .

وأمام هذا الموقف ، طلب السلطان إلى روسيا وقف إطلاق النار ، وعقد هدنة وفرضت روسيا أمر الموافقة على إستقلال الصرب ، ورومانيا ، والجبل الأسود ، وتنازل الدولة العثمانية لهذه الدول عن بعض الأراضى ، ومنح بلغاريا إستقلالاً



داخليا ، وجعل الإدارة في البرمسة والهرسك مستقلة ؛ ودفع غرامة حربية . و تم عقد الهدنة في أدرنة ، يوم ٢٠ يناير ١٨٧٨ .

وكانت عملية وصول القوات الروسية قرب إستانبول ، . بعد هذا الانتصار السريع ، وفرض هدنة أدرنة ، قد أظهر الدولة العثمانية على أنها قد خضعت وأصبحت تابعة لروسيا . فخشيت بريطانيا على مصالحها في المضائق ، وفي الشرق الأوسط ، وفي قناة السويس ؛ وأسرعت بإرسال أسطولها إلى إستانبول ، بدعوى المحافظة على أرواح رعاياها ، وطلبت إلى سلطاتها في الهند الإسراع بإرسال قوات إلى مالطة ، وفي مناخ يهدد بخاطر الحرب .

ولقد ترتب على ذلك أن طلب القائد الروسي إدخال بعض القوات الروسية إلى إستانبول ؛ كما طلبت روسيا السماح لأسطولها بدخول البوسفور ، لحماية المسيحيين . وإحتجت بريطانيا على ذلك ، وشرحت أنه ليس هناك وجه مقارنة بين إرسال أسطولها إلى إستانبول وبين إحتلال القوات الروسية لإستانبول عسكرياً ؛ وأنذرت روسيا بأنها لن تسمح على الإطلاق بإحتلال إستانبول ، وأن الحكومة الروسية ستكون مسئولة ، في حالة دخول قواتها عاصمة الدولة العثمانية ، عن الأخطار التي ستتجم عن هذا العمل العسكري . وإضطرت روسيا إلى التراجع ، محتفظة لنفسها بهذا الحق في حالة نزول القوات البريطانية إلى البر .

وبدأت المفاوضات من أجل عقد معاهدة الصلح في أدرنة ، ثم نقلت إلى سان ستيفانو ، على البوسفور ، بعد ذلك . ونشبت اجتماعات بين ، المندوب الروسي ، وبحسرة التوقيع على المعاهدة قبل عيد القيصر ، وهو يوم ٣ مارس ١٨٧٨ ؛ وإلا فإن القوات الروسية ستعتبر أن الهدنة قد إنتهت ، ودون بمحيد ، وستدخل إستانبول ، وكان بجور تشاكوف قد وصل إلى هناك ، ومعه حرس من ألف جندي ، ندين فيما بعد إلى عشرين ألف ، ودون أن يتمكن أحد من الوقوف في وجهه ،

## - ١٢٤ -

وكان العثمانيون يشعرون بألم الهزيمة ، وبأنهم بمفردهم في مواجهة الروس ، ودون وسائل للمقاومة ، أو جدوى للمناقشة أو المساومة . فتم التوقيع على معاهدة سان إستيفانو ، يوم ٣ مارس ١٨٧٨ .

ولقد حصلت روسيا بهذه المعاهدة ، على نفوذ سياسى وعسكرى كبير فى البلقان ، نتيجة لحصولها على حق الإحتلال الموقت لدولة بلغاريا السكبرى ، التى تم إنشائها ، وبدعى تنظيم شعوب هذه الدولة ، ومساعدتها على إنشاء جيشها وإداراتها . كما حصلت روسيا على توسعات إقليمية على حساب الدولة العثمانية ، فى آسيا وفى أوروبا ، ووضعت نظاماً جديداً لمرور السفن فى البوسفور والدردنيل ، لتحقيق مصالحها الحربية والتجارية ، كما فرضت على الدولة العثمانية غرامة حربية ضخمة .

وكانت الظاهرة الملفتة للنظر فى هذه المعاهدة ، تتمثل فى إنشاء دولة بلغاريا السكبرى ، التى تمتد حدودها من نهر الدانوب شمالاً إلى سواحل البحر الأسود شرقاً ، وإلى ألبانيا غرباً ، وإلى بحر إيجه جنوباً . وأصبح على الدولة العثمانية أن تسحب قواتها من بلغاريا ؛ وأصبح من حق القوات الروسية البقاء فى هذه الدولة الجديدة لمدة عامين ، حتى يتم إنشاء قوات مسلحة يصل تعدادها إلى خمسين ألف جندي . حقيقة أن هذه الدولة الجديدة كانت ستدفع للدولة العثمانية مبالغاً معاملاً ، وبدون تحديد ، كجزية ؛ ولسكن ذلك الأمر كان مرتبطاً بالظروف الإقتصادية التى تواجهها بلغاريا فى أول عهدها . ولقد تقدر كذلك هدم القلاع على شواطئ نهر الدانوب ، ومنع السفن الحربية من التواجد فى مياه هذا النهر فى بلغاريا ورومانيا والصرب ، إلا السفن الصغيرة والقوارب المستخدمة فى أعمال الشرطة النهرية . وأصبحت بذلك دولة بلغاريا تضم مساحات إقليمية واسعة ، إقتطعت من الدولة العثمانية ؛ وأصبحت روابطها ضعيفة بهذه الدولة ، وتتمثل فى الجزية

السنوية ، وتعين أمير بلغاريا ، وذلك في الوقت الذي أصبحت فيه لروسيا قوات في هذه الدولة الجديدة ، التي أصبحت سواحلها الجنوبية تطل على مياه بحر إيجه . وهكذا نجد أن روسيا لم تخرج إلى البحر المتوسط عن طريق البوسفور والدردنيل ، ولكن قواتها وصلت إلى سواحلها ، وعن طريق البر ، مع بلغاريا . ولقد قررت هذه المعاهدة أمر إستقلال الجبل الأسود ؛ وزيادة مساحته على حساب ألبانيا ، وإعطائه مينائين على بحر الإديريانيك . كما قررت إستقلال رومانيا إستقلالاً كاملاً ، وحصولها على جزء من إقليم دبروجة ، في الوقت الذي تركت فيه إقليم بيسارابيا لروسيا ، وقررت كذلك إستقلال الصرب . أما ولايتي البوسنة والهرسك فإنيهما وضعتا تحت الإشراف المشترك للنمسا ولروسيا ، وإن كانتا قد ظلتا إقليمين خاضعين للسيادة العثمانية . وكانت كل هذه الانتصارات لأمالى البلقان المسيحيين تعتبر مكاسباً سياسية لروسيا ، وزيادة لنفوذها السياسي في البلقان .

ولقد حصلت روسيا على مكاسب واضحة في معاهدة سان إستيفانو ، علاوة على إستيلائها على إقليم بيسارابيا ، الذي أوصل حدودها إلى نهر الدانوب ، وإنشائها دولة بلغاريا الكبرى ، الذي أوصل تواجد قواتها المسلحة إلى سواحل البحر المتوسط . وكانت هذه المكاسب تتمثل في : إستيلاء روسيا على أقاليم هامة في آسيا هي أردهسان ، وقارص ، وباطوم ، وبايزيد ، وتقريب حرية المرور في البوسفور والدردنيل في أوقات السلم والحرب للسفن التجارية المتجهة إلى روسيا ، والعائدة منها ، على أن تكون هذه السفن تابعة لدول محايدة ، مع تعهد الباب العالي بعدم فرض الحصار على سواحل البحر الأسود وبحر آزوف ؛ وأخيراً الغرامة الحربية الضخمة ، التي فرضت على الدولة العثمانية ، والتي بلغت ٣٠٠ مليون روبل ، بعد إستنزاف قيمته الأراضي والأقاليم التي حصلت عليها روسيا .

ومع هذه المعاهدة ، ضاعت على الدولة العثمانية بلاد البلقان ، التي لم يبق لها

منها سوى سالونيك ، و ترانيا ، و نساليا ، و ابيروس ، و ألبانيا . و لقد أثارت هذه المعاهدة سخط كل من رومانيا و اليونان ، كما أنها واجهت هجوماً عنيفاً من الدول العظمى ، الأمر الذى أظهر فشل دبلوماسية روسيا ، والحاجة إلى تصحيح معاهدة سان إستيفانو بمعاهدة جديدة ، تنتج عن مؤتمر دولى ، هو مؤتمر برلين ١٨٧٨ .

### ٣ - مؤتمر برلين :

و بمجرد معرفة محتويات معاهدة سان إستيفانو ، ساد الاستياء معظم الدول الأوروبية الكبرى ، وخاصة مع أفراد روسيا بالمكاسب الضخمة فى البلقان و آسيا و فى المضائق ، و دون أن تحصل الدول الأخرى على نصيبها . و لقد عارضت كل بريطانيا العظمى و النمسا و المجر على هذه المعاهدة ، و رأوا أن روسيا قد وضعت أوروبا أمام الأمر الواقع ، رغم التحذيرات التى كانت حكومتى لندن و فيينا قدمتاها لروسيا .

و لقد عارضت إمبراطورية النمسا و المجر على معاهدة سان إستيفانو لأنه لم يرد فيها نص على احتلالها لولايتى البوسنة و الهرسك ، الأمر الذى يعتبر نقضاً من جانب قيصر روسيا لوعدهاته التى إتفق عليها مع النمسا و المجر ، بعد إنتصاره على الدولة العثمانية . و كانت النمسا ترغب فى إحتلال هاتين الولايتين ، لأسباب سياسية ، و إستراتيجية واضحة .

أما بريطانيا العظمى فإنها خشيت من أن تصبح روسيا هى الدولة صاحبة النفوذ الأول فى البلقان ؛ و من دولة بلغاريا الكبرى التى أنشأتها المعاهدة ، و التى كانت تعتبر ولاية بحرية تمتد من الدانوب حتى سواحل البحر المتوسط ، و تحت السيطرة الروسية ؛ و كانت هذه الدولة الجديدة تمثل تهديداً لإستانبول ، و قاعدة

عسكرية لما قد تقوم به روسيا من هجوم على منطقة قريبة منها في شرق البحر المتوسط ؛ كما أن المعاهدة كانت قد ضمنت حرية مرور السفن الروسية في المضائق لكي تصل إلى البحر المتوسط ، مع إقفال المضائق في زمن الحرب في وجه السفن التي تحارب روسيا ، الأمر الذي يحمل من البحر الأسود بحيرة روسية . وكان لإحتلال روسيا لأردهان وقارص وباطوم يقربها من منطقة شمال العراق وسوريا ، ويجعلها قريبة من الطريق البري المؤدى إلى الهند . ولذلك فإن بريطانيا فكرت ، مثل النمسا والمجر ، في ضرورة تغيير معاهدة سان إستيفانو ، وفكرت في نفس الوقت في ضرورة الحصول على نقطة إرتكاز قريبة من خطوط التوسع الروسي ، وإتجهت أنظارها إلى قبرص .

وطالبت النمسا والمجر بضرورة عقد مؤتمر دولي ، ولم تنشب روسيا كثيراً ؛ وإقترح المستشار الألماني برلين كمقر لعقد المؤتمر ، ووافقت الدول الأوروبية على ذلك ، وكان المهم هو إبعاد روسيا عن هذا الموقف الذي أفادت منه . ولقد عملت بريطانيا العظمى والنمسا والمجر من أجل ذلك ، بمفاوضات مباشرة ومنفصلة مع حكومة روسيا . وكانت هذه المفاوضات السابقة لإجتماع المؤتمر حاسمة . وكانت حكومة روسيا تعرف أن جيشها الذي تحمل كثيراً في الحرب مع تركيا لم يكن في حالة تسمح له بمواجهة حرب أوروبية ؛ وكانت تلاقى كذلك صعوبات مالية ، وتطلب بالحاح ، وبدون جدوى ، عرض قرض على السوق الفرنسية . وهكذا أجبرت على التراجع ، وتقهقرت بوضوح أمام تهديد بريطاني يتمثل في إستدعاء دزرائيلي في ٢٧ مارس لإنتهاطي الجيش الإنجليزي للخدمة العاملة ؛ ولكنها تراجمت أساساً لأنها كانت تعلم جيداً أن النمسا والمجر لن تتأخرا عن التدخل ، في حالة قيام حرب روسية إنجليزية .

ولقد جهزت المفاوضات ، وكانت مبررة للغاية بين بريطانيا العظمى وروسيا

من جانب ، وبين النمسا والمجر وروسيا ، من جانب آخر. وطبقاً لهذه المفاوضات ، نصت الإتفاقات ، المعقودة مع بريطانيا العظمى في ٣ مايو ، ومع النمسا والمجر في ٦ يونيو ، على «إختماء» بلغاريا الكبرى ؛ وسيؤدي ذلك إلى إنشاء إمارتين في الأراضي البلغارية ، هما بلغاريا ذات الاستقلال الداخلي ، والروميلان التي ستستمر في خضوعها للإمبراطورية العثمانية. ولكن تحت حاكم مسيحي ، وفي جنوب الروميلان ستبقى منطقة ساحل بحر إيجه عثمانية بدون أي شروط. وهكذا تمتعت روسيا من إمكانية بقاء قواتها في دولة تطل سواحلها على بحر إيجه. أي على البحر المتوسط. وإشتمل الإتفاق الإنجليزى الروسى ، علاوة على ذلك ، على فقرة خاصة بعمليات الضم الروسية في تركية آسيا : فتحفظ روسيا بقارص وباطرم ، ولكنها ترك بايزيد ، رأس الطريق المؤدى إلى الفرات ، وتعطى تعهداً رسمياً بالا تحاول التوسع أكثر من ذلك في هذه المنطقة في المستقبل .

ولقد تم بذلك ما هو أساسى . ولم يقيم المؤتمر ، الذى اجتمع فى برلين من ١٥ يونيو إلى ١٣ يوليو برئاسة بسمارك ، إلا بالموافقة على الاتفاقيات التى عقدت من قبل ، وإضافة بعض التفاصيل إليها : تقليل واضح للزايلا الإقليمية التى أعطتها معاهدة سان إستيفانو للصرب والجبل الأسود ؛ ووعده أعطى لليونان بالحصول على توسع إقليمي فى تساليا ؛ وتعهد من رومانيا بأن تنازل لروسيا عن بيسارابيا الجنوبية . وأن تحصل فى نظير ذلك على دبروجة ، التى كانت معاهدة سان إستيفانو قد فصلتها عن الإمبراطورية العثمانية . ولكن المؤتمر أعطى النمسا والمجر التعويضات التى كانت تأمل فيها : مثل حق إدارة البوسنة والهرسك « مؤقتاً » ، ودون أن تقوم بالضم ؛ والحق فى الاحتفاظ بحاميات فى صنجق نوفى بازار ، لى تحمى « طريق سالونيك » . وهكذا سوت الدول العظمى هذه المسائل طبقاً لمصالحها ، ودون أن تحسب حساباً لمصالح الشعوب البلقانية وآمالها .

وهكذا . صلت النمسا والمجر على نجاح واضح ، وضمنت لنفسها مركزاً مسيطراً في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، نتيجة لإحتلالها البوسنة والهرسك ، والحق ، في الإحتفاظ بحامية في الصنجق ، وعن طريق التضيقات التي أدخلتها على المطالب الإقليمية للصرب وللجبل الأسود . وحصل أندراسي على هذه النتائج بمحذق ، ودون أن يلتجئ إلى وسائل التعبيئة : وترك بريطانيا العظمى تأخذ المواجهة ، ومر في ظلها .

أما روسيا فإنها حصلت على نتائج أقل بكثير من آمالها . ولاشك في أنها هزت الإمبراطورية العثمانية ، وأنها أخذت شكل حامية السلافيين ، ولم يكن هذا أمراً هيناً بالنسبة للحاضر ، فإنها أخذت ضربة قوية لنفوذها ، مادامت قد أجبرت على التنازل عن إنشاء بلغاريا الكبرى ، ومنعت من الوصول إلى البحر المتوسط . والحقيقة أن السياسة الروسية لم تجد من يسيرها : وكانت دوافع إجناتيفيف الشخصية هي التي أوقعتها في مأزق . ومع ذلك فإن الأوساط الروسية المسؤولة إتهمت بطبيعة الحال الدول الأخرى ، بدلا من أن تعترف بأخطائها الخاصة ؛ ولم يقتصر حقدهم على بريطانيا العظمى ، والنمسا والمجر - التي كانت منافساً واضحا لها في المسألة الشرقية - بل إمتد أيضاً ضد ألمانيا ، التي إتهموها بمحاولة إقامة «مكتل أوربي» ضدهم .

وأما بريطانيا العظمى ؛ فإنها منعت تفكك الإمبراطورية العثمانية ، وهو الكثير ؛ ولكنها لم تتمكن من أن تجعلها تنقادى ضعفاً واضحاً وخسائر إقليمية . وكانت في واقع الأمر مضطرة إلى أن تقوم بعملية دلائسحاب إستراتيجي ، رغم الموقف المهدد الذي إلتخذه دزرائيلي . ولكنها وجدت الوسيلة لكي تعطى نفسها إحدى الميزات التي دفعت الإمبراطورية العثمانية ثمنها ؛ وذلك بالانفاق الإنجليزى التركي ، في ٤ يونيو ١٨٧٨ ، والخاص بقبرص .

#### ٤ - الاتفاق الانجليزى التركى عام ١٨٢٨ :-

وكانت بريطانيا تنظر دائما بعين الإهتمام إلى الجزء الشرقى من البحر المتوسط ،  
كمطقة هامة فى مواصلاتها مع الشرق . وزاد إهتمامها بهذه المنطقة منذ فتح قناة السويس  
للبلاحة البحرية ، فى عام ١٨٦٩ ، ودون أن تنسى الطريق البرى الموصل للشرق .  
عبر الشام والعراق . وقامت فى عام ١٨٧٥ بشراء نصيب مصر فى أسهم شركة قناة  
السويس ، وأصبحت ، كحكومه ، ذات مصلحة فى هذه الشركة ، علاوة على  
مصلحتها فى العبور منها ، وأكبر دولة تستخدم سفنها هذه القناة .  
وحين اضطرت الأحوال فى البلقان ، مع نشوب الثورات ، وظهرت إمكانية  
تدخل روسيا فى هذه المنطقة ، زاد شعور بريطانيا بحاجتها للتوسع فى منطقة شرق  
البحر المتوسط ، وإحتلاك إحدى القواعد البحرية ، التى يمكنها أن تخدم أسطولها  
فى هذه المنطقة . وكانت أنظار بريطانيا تنقل بين مصر وسواحل الشام ، وكريت ،  
وقبرص .

وقامت بريطانيا العظمى بدراسات عن المنطقة ، ومن بينها الدراسة التى قام  
بها الكولونيل هوم ، فى عام ١٨٧٦ ، حين أرسلته حكومته فى مهمة إلى استانبول ،  
لبحث أفضل الوسائل لتعزيز الدفاع عن عاصمة الدولة العثمانية ، التى نشرت  
فيما بعد . ولقد إستعرض الكولونيل هوم السواحل والموانئ والجزر الموجودة فى  
منطقة شرق البحر المتوسط ، والتى كانت لها أهمية عسكرية ، يمكنها أن تخدم  
المصالح الإستراتيجية لبريطانيا العظمى فى المنطقة ؛ وإختار جزيرة قبرص ، وفضلها  
على غيرها ، لىكون قاعدة يمكن إستخدامها فى عمل حشود عسكرية ، برية  
وبحرية ، لبريطانيا العظمى ، يمكنها أن تعمل فى كل المنطقة المحيطة بها .

وجاء دخول روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية ، وعبور قواتها لرومانيا ونهر  
الدانوب ، ودخولها إلى بلغاريا وأدرنة ، لى يوصل القوات الروسية إلى سواحل



البحر المتوسط ، من هذه الناحية ؛ كما جاء زحف القوات الروسية في أقاليم القوقاز وصوب طريق الفرات الأعلى ، من الناحية الثانية ، لكي يظهر أهمية جزيرة قبرص بالنسبة للبalkan ، وآسيا الصغرى ، وطريق الفرات الأعلى ، في نفس الوقت ، علاوة على إمكانية الاستناد إليها في أية عمليات مقبلة في مصر ، أو سوريا أو كريت ، مع إكمالها لنظام القواعد العسكرية . البرية والبحرية ، الموجودة في البحر المتوسط ، من الغرب إلى الشرق ، ومن جبل طارق إلى مالطة ، وإلى قبرص ؛ إمكانية مد هذا الخط فيما بعد إلى قناة السويس .

وهكذا كان إحتلال الروس لمناطق قارص ، وأردهان ، وبالموم ، قد زاد من مشغولية ضمان الحصول ، وبأى ثمن ، على قاعدة قرب مصر ، يمكن إستخدامها في الدفاع عن الطرق الموصلة إلى الهند . وكان الموقع الجغرافي لجزيرة قبرص يرسخها للقيام بهذا الدور . كما أن التوقيت كان مناسباً ؛ ذلك أن تركيا كانت قد ضعفت من الحرب ، وأذلتها شروط معاهدة سان إستيفانو ، وكانت تبحث من ناحيتها عند المضاء يمكنهم أن يصمموا لها سلامة أراضي إمبراطوريتها . وأفادت بريطانيا العظمى من هذه الفرصة ، وإفترحت على السلطان أمر عقد تحالف دفاعي ، وبشرط أن يضع السلطان تحت تصرف بريطانيا العظمى قاعدة بحرية ، تسمح للأسطول البريطاني بالتدخل بسرعة وفاعلية أكثر ، حين يحىء وقت تنفيذ هذا التحالف . ولقد وافق السلطان ، خاصة وأنه كان في حاجة إلى قرض مال من بريطانيا لدفع مرتبات جنوده . وهذه هي الطريقة التي وضعت بها جزيرة قبرص تحت الإدارة « المؤقتة » لبريطانيا العظمى ، بإتفاق ٤ يونيو عام ١٨٧٨ .

ولقد تم التوقيع على هذا الإتفاق في إستانبول ، وقبل بضعة أيام من إنعقاد مؤتمر برلين ؛ وكان هدفه أن يضم لسلطان الدولة العثمانية ، وفي المستقبل ، أراضي الموجودة في آسيا .

ولقد نصت المادة الأولى من هذا الإتفاق ، والمكتوب باللغتين الإنجليزية والفرنسية ، على أن تتعهد بريطانيا العظمى بأن تنضم إنجلترا إلى صاحب الجلالة سلطان الدولة العثمانية ، فى حالة إحتمفاظ روسيا بباطوم وأردهان وقارص ، أو أحد هذه الأقاليم ، أو فى حالة قيامها فى أى وقت فى المستقبل بمحاولة للإستيلاء على أية أقاليم أخرى للسلطان فى آسيا ، وهى الأقاليم التى ستحدد بمعا هذه الصلح النهائية . وفى مقابل ذلك ، وعد السلطان إنجلترا بإدخال الإصلاحات الضرورية (التي يتم الاتفاق عليها فيما بعد بين الدولتين) والتي تنصل بحسن الإدارة وحماية الرعايا المسيحيين وغيرهم من رعايا الباب العالي ، والذين يوجدون على هذه الأراضى المذكورة . ولكي تحصل إنجلترا على الوسائل اللازمة لتنفيذ تعهداتها ، يوافق السلطان على أن تقوم بريطانيا العظمى باحتلال وإدارة جزيرة قبرص .

ولقد أكمل إتفاق ٤ يونيو ١٨٧٨ ، بملحق فى أول يوليو ١٨٧٨ : نص أولاً على بقاء المحاكم الشرعية الاسلامية فى الجزيرة ، وأنها ستختص بمجرد الشؤون الدينية (الأحوال الشخصية) لمسلمى قبرص ؛ وثانياً ، على وضع إدارة الممتلكات والأراضى والأوقاف المتابعة للمساجد ، وكذلك المقابر والمدارس الإسلامية ، وغيرها من المنشآت الدينية ، تحت إدارة مندوبين : مأمور تعيينه نظارة الأوقاف فى إستانبول . ومندوب تعيينه السلطات البريطانية ؛ وثالثاً ، على أن تدفع بريطانيا العظمى سنوياً للباب العالي ، وكجزية نظير احتلال الجزيرة ، فائض الإيراد الموجود ، بعد إستنزاف مصاريف الإدارة العثمانية . وسوف يحسب هذا الفائض ويقرر على أساس متوسط دخل الخمس سنوات الأخيرة ، والمحدد بقيمة ٣٦٩٣٦ كيس ؛ ورابعاً ، على حق الباب العالي فى أن يبيع ويؤجر الأراضى الزراعية وأراضى المباني وغيرها من أملاك الدولة العثمانية الموجودة فى قبرص ؛ وخامساً ، على إمكانية ممارسة الحكومة البريطانية ، وعن

طريق مملكتها المختصة ، حق نوع الملكية ، وبشمن مناسب ، للأراضي غير المزروعة وأراضي البناء اللازمة للمنافع العامة ؛ وسادساً وأخيراً ، على إخلاء إنجلترا لجزيرة قبرص ، وإلغاء إتفاق ١٨٧٨ في حالة قيام روسيا بإرجاع قارص والأقاليم الأخرى التي قامت بغزوها في أرمينيا خلال الحرب الأخيرة ؛ إلى الدولة العثمانية.

ولقد ظل الإتفاق سراً ، حسب الإتفاق المأقود بين بريطانيا العظمى والدولة العثمانية ، وكذلك ملحق أول يوليو ، حتى لا يثير نشره شكوك الدولة العظمى المشتركة في مؤتمر برلين . ولكن كل من بسمارك ، المستشار الألماني ، والكونت أندراسي ، وزير الخارجية النمساوية علم بأمر الإتفاق والملحق ؛ ولم يعترض عليهما ، نظير تعهد سالفبري لهما بمساعدتهما في تقرير أمر إحتلال امبراطورية النمسا والمجر للولايتين العثمانيتين البوسنة والهرسك . وفي يوم ٧ يوليو ، وفي إحدى الجلسات الخاصة ، في جوانب مؤتمر برلين ، رأى سالفبري ، وزير خارجية بريطانيا ، أن يخبر زميله وادنجتون ، وزير خارجية فرنسا ، بأمر إتفاق قبرص ؛ فثارت فائرة الوزير الفرنسي ، وأبرق به إلى باريس ؛ وثارت فائرة الرأي العام الفرنسي ، وهاجم الإتفاق هجوماً عنيفاً .

وفي يوم ٨ يوليو ١٨٧٨ نشرت جريدة الديلي تلجراف في لندن ملخص الإتفاق ، الأمر الذي أثار الحساس عند البريطانيين . وكتب دنزائيل ، لورد بيكنزفيلد ، والذي كان هو صانع هذا الإتفاق ، إلى الملكة فيكتوريا ، وذكر لها أن كل البلاد دميتة به ، فيما عدا المستر جلدستون ، الذي ثار غضبه . ولقد أثار نشر خبر هذا الإتفاق بعض ممثل الدول في مؤتمر برلين ، وجعلهم يعلقون بتعليقات في غير صالح بريطانيا العظمى . وسرعان ما قامت بعض الصحف بمهاجمة دبلوماسية دنزائيل ، ولم تهتمها بالغش . وذكرت صحيفة ديبا Debats أن تقاليد إنجلترا لم تمس ،

بل إنها لاتزال تعيش في تفكير إحدى السيدات ، وأحد رجال الدولة الهرمين .  
 وحتى معارضة الأحرار في بريطانيا ، اُحتجّت على هذه الإتفاقية ، وذكر رئيسها،  
 جلادستون ، في مجلس العموم ، أن التنازل عن قبرص يعتبر دلفهاكاً صريحاً  
 ولا يغتفر للقانون الدولي . ومع ذلك ، فإن الإتفاق الانجليزى التركى كان قد  
 أصبح وافعاً دولياً . وهكذا بدلت قبرص سادتها ، دون مرافقة الشعب ، صاحب  
 المصلحة ، شعب قبرص .

## الفصل الثامن

### بداية الإحتلال البريطاني

#### ١ - إقامة النظام الجديد :

في يوم ٢٢ يوليو ١٨٧٨ ، نزل الجنرال السير جانت وولسل إلى لارنكا ، واحتل الجزيرة باسم الملكة فيكتوريا ، وأصبح أول مندوب ساهى بريطانى فى الجزيرة . وفى البلاغ الاول الذى أصدره إلى شعب قبرص ، وعد من جانب حكومة لندن وعوداً ثلاث :

- أ - عمل اللازم من أجل تنمية التجارة والزراعة ؛
- ب - منح القبارصة الحرية ، والعدالة ، والأمن ومساواتهم جميعاً وبدون تمييز أمام القوانين ؛
- ج - إحترام العادات والتقاليد القديمة والسائدة فى الجزيرة .

ولقد تحدث الأسقف كيريارانوس ، أسقف سيليون ، باسم اليونانيين ، وأشار إلى اتحاد الجزر الإيونية مع اليونان ، وذكر أن القبارصة يوافقون على تغيير النظام ، وهم يأملون فى أن تقوم بريطانيا العظمى بنفس الشئ بالنسبة لقبرص ، ومساعدتهم على أن يتحدوا مع اليونان ، وبصفتهما الوطن الأم . وكان هذا هو الاتجاه الذى قابل فيه الشعب اليونانى فى قبرص مسألة الإحتلال البريطانى ، وكانوا يقدرون فى أن النظام الجديد لم يكن سوى نظاماً مؤقتاً .

وفى أول شهر أغسطس عام ١٨٧٨ ، تم عقد اتفاق إضافى بين بريطانيا العظمى والباب العالي ، حصلت به بريطانيا العظمى على حق سن القوانين فى جزيرة قبرص باسم الملكة ، وعلى حق تسوية كل المسائل التجارية والقنصلية ،

والفصل فيها ، دون تدخل الباب العان . وعلى أساس هذه الانفائية ، قام مجلس الملكة المخصوص في ١٤ سبتمبر ١٨٧٨ ، باصدار مرسوم بقانون نص على التصريح للمندوب السامي باصدار القوانين ، ويعاونه في ذلك مجلس تشريعي ، يتكون من ثمانية أشخاص ، كان أربعة منهم من الموظفين الانجليز ، والأربعة الآخرين من القبارصة الذين يقوم بتعيينهم .

### ٢ - الوضعية الدولية لقبرص :

ولاستمرت قبرص ، من وجهة نظر القانون الدولي ، بعد الاحتلال البريطاني ، تكون جزءا من الامبراطورية العثمانية . ولقد اعتقد البعض أن التنازل عن الجزيرة لإنجلترا لم يكن يمثل إلا تنازلا مؤقتا عن السيادة ، وذلك طبقا للإدارة العامة التي أشرفت على تسيير أمور قبرص في بريطانيا العظمى . ولقد ألحقت إدارة قبرص وخضعت ، في أول الأمر ، لوزارة الخارجية البريطانية ، ثم نقلت إلى وزارة المستعمرات . ولكن هذا الرأي كان خطأ ، ويتعارض مع الاتفاقات الدولية ، ونصوصها الصريحة فيما يتعلق بمسألة السيادة .

حقيقة أن بريطانيا قامت ، ومن جانب واحد ، في عام ١٨٧٩ ، بإلغاء نظام الإمتيازات الأجنبية ، وذكرت أن هذه العملية كانت طبقا لمبادئ القانون الدولي . وأعلنت الحكومة البريطانية ، بمذكرة وجهتها إلى الدول الماعنية ، أن هذا الإلغاء يتم كأمر واقع ، وطلبت موافقة هذه الدول على ذلك ، إستنادا إلى موقر التغيير الإداري . ولكن بريطانيا العظمى اضطرت ، أمام إحتجاج هذه الدول ، إلى تغيير النظام القضائي الموجود ، وذلك عن طريق إدخال نص خاص ، فذكر أن الرعايا غير العثمانيين لن يتخضعوا لسلطة القبارصة ، بل سيخضعون لحاكم يراسمها قاضى إنجليزى . ولقد استمر هذا النظام حتى عام ١٩٢٨ ، ثم إنتهى العمل به نهائيا في هذا التاريخ ،

أما فيما يتعلق بالوحدانية الوطنية ، فإن القبارصة كانوا رعايا عثمانيين ، ولم يكن من حقهم الحصول على جواز سفر بريطاني ، بل كانوا يحصلون على «تذكرة مرور» كانت تعتبرهم مجرد «سكان قبرص» ، ولم تعطهم حق حماية السلطات القنصلية البريطانية من الخارج .

### ٣ - النظام الإداري :

وصل عدد سكان قبرص ، تبعاً لإحصائية عام ١٨٨١ ، إلى ١٨٦.٠٠٠ نسمة ، كان منهم ١٣٧.٦٣١ من اليونانيين و ٤٨.٤٥٨ من الأتراك . ولقد قسمت الجزيرة إلى ست مقاطعات : نيقوسيا ، وفاجوستا ، ولارنكا ، ولیماسول ، وبافوس ، وكيرينيا . وتم تنظيم القضاء ؛ وتم إنشاء محكمة عليا في نيقوسيا كما تم إنشاء محاكم أخرى ، يرأسها رئيس إنجليزى ، وتتكون من قاضيين ، أحدهما من أصل يوناني ، والثاني من أصل تركى فى كل مدينة من مدن قبرص الستة ؛ كما تم إنشاء محاكم من الدرجة الأولى ، أو محاكم المصالحة ، فى المدن وفى معظم القرى الكبيرة فى الجزيرة .

وفى عام ١٨٨٢ ، تغير المجلس التشريعى للمندوب السامى ، وحل محله مجلس آخر ، يتكون من ١٨ عضواً ، منهم ستة من الموظفين الإنجليز ، يعينهم التاج ، ولأثنى عشر عضواً منتخبين : تسعة من اليونانيين وثلاثة من الأتراك .

أما السلطة التنفيذية فإنها بقيت فى أيدي المندوب السامى ، ويعاونه فى ذلك مجلس تنفيذى يتكون من سبعة أشخاص ، كان أربعة من بينهم من الموظفين الإنجليز ، وأثنان من اليونانيين ، وواحد من الأتراك . وعهد بالإدارة المحلية ، فى المدن الست وفى بعض القرى الكبيرة ، إلى مجلس بلدية ، ينتخبها الأهالى ، ويرأسها أحد العمدة الذى يتم انتخابه بواسطة أعضاء المجلس . وكان لانتخاب الممثلين البلديين يقوم على أساس عدد السكان ، اليونانيين والأتراك ، إذ أن كل

طائفة كان من حقها انتخاب ممثليها ، تبعا لنسبة عدد الناخبين . وهكذا كان هناك من كل المدن والقرى الكبيرة في قبرص عملوا من اليونانيين ، فيما عدا قرية اليفسكا ، التي كان عمدتها تركيا . وفي كل قرى قبرص الأخرى ، كانت هناك سلطات محلية منفصلة ، لليونانيين من جانب ، وللأتراك من جانب آخر .

ولقد عهدوا بشئون التعليم كذلك إلى لجان محلية ، تحت رئاسة الإساقفة ، بالنسبة لليونانيين ، وتحت رئاسة الأعيان ورجال الدين الأتراك بالنسبة لمدارس طائفتهم . وكانت الدولة تشرف على التعليم العام ، ولكن مرتبات المدرسين في المدارس كانت على حساب أعضاء كل طائفة ، والتي كانت تجمع ضرائب خاصة من بين أعضائهم من أجل ذلك . وكانت حكومة الجزيرة قد إفتصرت على أمر إمامة التعليم الإنجليزي . ولقد وقعت محاولات ، من جانب المندوب السامي البريطاني ، لابتدال التعليم اليوناني بالتعليم الإنجليزي في المدارس الابتدائية ، ولكن هذه المحاولة رفضها وزير المستعمرات البريطانية ، اللورد كيمبرلي . وهكذا ظلت اللغة اليونانية إحدى اللغات الرسمية الثلاث في الجزيرة ، مع الإنجليزية والتركية ، حتى نهاية عهد الاحتلال البريطاني . ومع ذلك فعلمنا أن نلاحظ أن المذكرات التي كان يونانيو الجزيرة يقدمونها إلى وزارة المستعمرات في السنوات الأولى ، كانت تكتب باللغة الفرنسية ، والتي كانت هي اللغة الأجنبية الوحيدة التي كان اليونانيون يتحدثون بها في هذا العصر .

أما الشرطة ونظام السجون فإنها أصلحت و عدلت على نفس النمط الذي كان مماثلاً في بقية المستعمرات الإنجليزية .

#### ٤ - الجزية :

ولقد سيطرت إحدى المسائل على التاريخ الاقتصادي لقبرص ، منذ وصول الانجليز إلى الجزيرة حتى عام ١٩٢٧ ، وهي مسألة إجبار سكان الجزيرة على دفع



جزيرة سنوية تبلغ ١٢٠٠ جنيه لانجلترا كجزيرة سنوية للسلطان، نظير احتلال لانجلترا للجزيرة .

ولقد نظر اليونانيون إلى هذا المبلغ أنه كان يدفع لانجلترا، لا للسلطان، وبموا على ذلك أمر إقتهاء السيادة العشائية على الجزيرة . والواقع أن هذا المبلغ كان لا يدفع للسلطات ، وأن الحكومة البريطانية كانت تحتج به بعد ذلك ، ويمكن على أساس أنه جزية للسلطان ، ثم تعيد حجزه ، كجزء من سداد الديون العثمانية ، التي تمت تسويتها منذ عام ١٨٥٥ .

وفي عام ١٩٠٧ ، وبعد طلبات متكررة من مندوبي اليونانيين تم تخفيض الجزية السنوية من ٩٢٠٠٠ جنيه إلى ٤٢٠٠٠ جنيه ، ثم تم إلغاؤها نهائية في عام ١٩٢٧ ، وحل محلها مبلغ سنوي يبلغ ١٠٠٠٠ جنيه ، كمساهمة من قبرص في نفقات الدفاع عن الامبراطورية البريطانية .

وفي أثناء الفترة الأولى من الاحتلال البريطاني للجزيرة كان أمر دفع هذه الجزية يمثل عبئا ثقيلا على الميزانية العامة . وطبقا للدراسة التي تمت في عام ١٨٨١ ، كانت الضرائب تصل إلى نسبة ١٧٥٪ من الدخل السنوي ، وكان الجزء الأكبر منها يرصد لدفع الجزية ، ولقد قدروا أن أكثر من مليونين ونصف مليون جنيه كانت قد دفعت إلى الخزانة البريطانية حتى عام ١٩٠٦ ، وأن هذا المبلغ وصل في مجموعه ، وحتى وقت الإلغاء النهائي للجزية في عام ١٩٢٧ إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه . وكانت هذه الجزية السنوية تثقل على الميزانية العامة لبلاد ضعيفة ومتخلفة مثل قبرص . وإذا ما عرفنا أن الميزانية السنوية للجزيرة كانت لا تزيد على ١٤٨٠٠٠ جنيه في عام ١٨٧٩ ، وعلى ١٩٨٠٠٠ جنيه في عام ١٩٠٢ ، وعلى ٢٨٧٠٠٠ جنيه في عام ١٩١١ لفهمنا سبب أن دفع مبلغ ٩٢٠٠٠ جنيه كان يتسبب في الكثير من الشكوى من جانب سكان الجزيرة وكان هذا المبلغ يتضمن

جزءاً هاماً من إيراد الجزيرة ، ولا يترك شيئاً تقريباً لتنمية الموارد الطبيعية، وكان هو السبب الرئيسى لتأخر التقدم الإقتصادي فيها . ولولا بعض الامونات من الخزائن البريطانية ، وبعض المنح من الجاليات القبرصية المقيمة في الخارج ، لثم تحطيم الجزيرة من الناحية الإقتصادية . ومع ذلك ، فإن الحكومة الانجليزية كانت تصمم أذناها دائماً عن مذكرات وإحتجاجات أهالي قبرص ، وكانت تعتذر بالالتزامات التعاقدية مع السلطان ، أى تعتذر بدعوى إضطرابها إلى دفع الجزية سنوياً للسلطان .

#### ٥ - الأحداث السياسية :

لقد أظهر القبارصة اليونانيون ، ومنذ بداية الحسكم البريطانى للجزيرة ، آمالهم من أجل توحيد جزيرتهم مع اليونان . وكانت الأعلام اليونانية المرفوعة على كل الكنائس والمدارس ، والؤسسات الخاصة ، في المدن والقرى ، تذكر البريطانيين بهذه الآمال القومية . وفي نفس الوقت ، لم تكن الحركة الوطنية في قبرص تظهر أى عدام تجاه إنجلترا ، والتي كان سكان الجزيرة يعتبرونها دائماً على أنها دولة صديقة لوطنهم الأم . وكان القبارصة الأتراك ، مع إظهارهم مطالبهم القومية ، وتقديماً بشكل مشروع ، يطلبون بريطانيا بتطبيق مبادئها الحرة على جزيرة قبرص . وفي كل عام ، وفي مناسبة لإفتتاح جلسات المجلس التشريعى ، كان النواب اليونانيون يتقدمون ، ومع إجابتهم على خطاب التاج ، بالتماس من الإتحاد مع اليونان . ولم يكن الاساقفة ، والأعيان ، وساطات القرى يتركون إحدى الفرص لكي يؤكدوا أملمهم الوطنى الوحيد . وفي عام ١٨٨٩ ، وفي وقت زيارة وفد قبرص للندن ، برئاسة رئيس الاساقفة سوفرونوس ، الذى كان قد ذهب لمناقشة المشكلات الإقتصادية للجزيرة مع وزير المستعمرات ، أظهر ممثلو الشعب ، وقبل أى شئ آخر ، في مذكرتهم ، التي كتبوها بالفرنسية ، آمالهم القومية بهذه الالفاظ :

إن شعب قبرص ، الذى لم ينس أصله وتقاليده ، يتجرأ ويأمل دائما فى الوصول إلى مستقبل وطنى .

وكانت إجابة الإنجليز تستند دائما إلى أساس شروط الاتفاق الانجليزى التركى لعام ١٨٧٨ . «لننا نحترم مشاعركم ، ولكن لنجتزأ لا توجد فى قبرص إلا بصفتها منتدبة من جانب السلطان . والجزيرة تتبع دائما الامبراطورية العثمانية ، ولم يتنازل السلطان أبداً عن سقوق سيادته عليها» .

ومع ذلك ، فإن السلطات البريطانية لم تتخذ أية إجراءات ضد الآلاف من المتطوعين القبارصة فى سنوات ١٨٩٧ و ١٩١٢ و ١٩١٣ ؛ فلم تعارض فى سفرهم ، كما لم تعارض فى عودتهم إلى الجزيرة ، وحيث كانوا يستقبلون كأبطال ، وكانوا قد حاربوا الدولة العثمانية وفى صفوف اليونانيين ، وإجابة على احتجاج أحد النواب من الأتراك القبارصة ، على موقف الحكومة التى سمحت لرعايا عثمانيين بالإشتراك فى حرب ضد الدولة العثمانية ، أجاب ممثل المندوب السامى البريطانى إنه على الأتراك القبارصة أن يظهروا كذلك ولاءهم اوطنى ، بدلا من الإحتجاج على أعمال القبارصة اليونانيين .

وفى عام ١٩٠٧ ، قام المسترونستون تشرشل ، الذى كان حينئذ وكيلا لوزارة المستعمرات بزيارة للجزيرة لدراسة الأوضاع فيها . ولقد قابلوه عند وصوله وهم يحملون الأعلام اليونانية ، ويهتفون بحياة الإتحاد مع اليونان . وذكر له النواب اليونانيون القبارصة ، فى المذكرة التى قدموها له ، السابقة النبيلة التى قامت بها بريطانيا العظمى ، والى تتمثل فى تنازل بريطانيا عن الجزر الايونية لليونان . ولقد كرر ونستون تشرشل ، فى إجابته ، حجج سيادة السلطان ، ولكنه وافق على أنه «من الطبيعى ، بالنسبة لأهال قبرص ، الذين هم من أصل يونانى ، أن يعتبروا انضمامهم إلى مايسمونه الوطن الأم ، كممثل أعلى جدير بالعمل جديا من

أجله ، وبشباط وإصرار . ولقد أضاف أن هذه المشاعر كانت دلالة على الولاء الوطنى الذى يمثل الأمة اليونانية النبيلة .

وفى أثناء هذه الفترة ، كانت علاقات قبرص مع اليونان ودية للغاية . فكان القبارصة يشاركون فى كل الاحتفالات والمناسبات ذات الطابع الهلنى ، وكذلك فى الكثير من الحركات الثقافية والرياضية ، وحتى التجارية . وكان شباب القبارصة اليونانيين يذهبون للدراسة الجامعية فى أثينا ، وكانت صحف قبرص تنشر أنباء اليونان ، وكانوا يحتفلون فى قبرص بالأعياد الوطنية لليونان ، وبكل حماس .

ورغم سوء الأحوال الاقتصادية ، كان القبارصة اليونانيون يحرمون أنفسهم من الضرورى لإرسال التبرعات فى المناسبات الوطنية لوطنهم الأم . وفى عام ١٩١٢ ، قام النواب اليونانيون فى قبرص بتقديم إستقالاتهم ، بعد أن رفض وزير المستعمرات قبول طلبهم لتعديل الدستور ، والبدم فى عملية إصلاحات فى الإدارة . أما الشعب القبرصى اليونانى ، فإنه قام بتأييدهم ، وقام بمظاهرات للتضامن ، وعقد الاجتماعات فى نيقوسيا ، وغيرها من المدن ، وأرسل فى نفس هذه السنة ، وفداً إلى لندن ، لى يقدم للحكومة الإنجليزية مطالبه الوطنية ، وشكواه فى الجزية السنوية ، ومن النظام الإدارى المطبق .

أما العلاقات بين اليونانيين القبارصة ، والقبارصة الأتراك ، وهم أقلية فى الجزيرة ، فإنها كانت خلال هذه الفترة تتسم بالإحترام المتبادل ، فيما عدا بعض المراحل النادرة ، وفى المجلس التشريعى كان النواب اليونانيون والنواب الأتراك يتعاونون ، فى المسائل المحلية ، وكانت علاقاتهم الإجتماعية ، وعلاقاتهم التجارية دائماً جيدة . وكان اليونانيون والأتراك يتبادلون الزيارات فى مناسبات الأعياد الدينية المسيحية والاسلامية ؛ وكانوا يعملون سوياً فى المشروعات التجارية والصناعية ، ووصل الأمر حتى ببعض أطفال الأتراك إلى أن يدرسوا فى المدارس اليونانية . وكانت الغالبية العظمى من القبارصة الأتراك تتحدث اللغة اليونانية .

## الفصل التاسع

### قبرص في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها .

#### ١ - ضم قبرص إلى الامبراطورية البريطانية ( ١٩١٤ ) :-

في يوم ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، تآمت الدولة العثمانية باعلان الحرب على بريطانيا العظمى وفرنسا . وفي نفس اليوم أصدر ملك إنجلترا قراراً بالغناء الإتفاق الإنجليزى التركى لعام ١٨٧٨ ، وأعلن ضم قبرص إلى ممتلكاته . وفي نفس الوقت أعلنت حالة الحرب فى الجزيرة على الدولة العثمانية ، وكذلك أمر إلغاء السيادة العثمانية على قبرص . وأصبح جميع الرعايا العثمانيين الموجودين فى الجزيرة فى يوم الضم رعايا بريطانيون ، كما أصبح على الموظفين أن يقسموا بأولاء للملك لإنجلترا وخلفائه .

ولقد قابل القبارصة اليونانيون هذا التغيير بحماس ، وذلك بأمل أن يساهل النظام الجديد لقبرص أمر تحقيق مطالبهم القومية . أما القبارصة الأتراك فأنهم لم يظهروا إستياجاً ، بل قبلوا بهدوء ، لأن لم يكن بخضوع ، هذا النظام الجديد ، وكانوا لا يرغبون ، بنوع خاص ، بخلاق ظروف غير مناسبة لمركزهم كموظفين للدولة .

ومع ذلك ، فإن ضم الجزيرة للإمبراطورية البريطانية ، لم يكن يتمشى مع مبادئ قانون الغزو ، على أرض مؤجرة ، أو يوجد بشأنها إتفاق ، إلا فى حالة قيام الطرف الثانى باعلان رغبته فى إنهاء إتفاق عام ١٨٧٨ . وللمكن لإنجلترا لم تهتم كثيراً بالصيغ القانونية فى أثناء الحرب العالمية الأولى ؛ ورأت أنه من الممكن تسوية عدم شرعية هذا الضم من جانب واحد فيما بعد ، ومع معاهدات الصلح .

وكان هذا هو ماتم عن طريق معاهدة سيفر في عام ١٩١٩ ، ثم معاهدة لوزان في عام ١٩٢٣ .

وفي عام ١٩١٧ ، وحين قامت روسيا ، بعد ثورة أكتوبر ، بعقد صلح برست — ليتوفسك المنفرد مع ألمانيا واطفائها ، طالبت تركيا بعودة قارص ، وأردهان ، وباطوم . وكان في وسعها أن تحصل على حقها ، بهذه الطريقة في استعادة قبرص ، ولكنها اضطرت ، بعد هزيمتها في عام ١٩١٨ إلى أن تتخلى عن ذلك .

### ٢ - عرض قبرص على اليونان ( ١٩١٥ ) :-

وفي شهر أكتوبر عام ١٩١٥ ، قامت بريطانيا العظمى بعرض قبرص على اليونان ، في نظير دخولها الحرب إلى جانب الحلفاء . ولم تقبل اليونان هذا العرض ، بسبب معارضة روسيا ، التي أعلن وزير خارجيتها أن وجود القوات اليونانية في القسطنطينية أمر لا يمكن الموافقة عليه بأي شكل من الأشكال .

وكانت اليونان في ذلك الوقت منقسمة على نفسها ، نتيجة للصراع الموجود بين الأحزاب ، فلم تتمكن من أن تفيد من الفرصة السانحة . أما في قبرص ، فانهم لم يعلموا بالنبأ إلا حينما كان العرض قد سحب . وهكذا فقد القبارصة اليونانيون فرصة لاتحادهم مع اليونان ؛ ومع ذلك فإن القبارصة لم ينفدوا الأمل ، وظلوا يشيرون إلى هذا العرض في مذكراتهم . كدليل على قبول إنجلترا للصفقة اليونانية لقبرص .

وعند نهاية الحرب ، أرسل القبارصة اليونانيون وفداً إلى لندن ، برئاسة رئيس الأساقفة ، لكي يطلبوا من جسد يد أمر لاتحادهم مع اليونان ، ولكنهم لم يتمكنوا من الحصول إلا على بعض الوعود غير المحددة ، ودون أية نتيجة إيجابية.

ولقد أكد لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، لرئيس الاسانفة أنه كان يعلم  
عواطف الأهلالي اليونانيين في قبرص ، في صالح لإتحاد الجزيرة مع اليونان ،  
وأضاف أن رغباتهم سوف تؤخذ بعين الإعتبار من جانب الحكومة البريطانية ،  
ويكل إهتمام بالغ وتعاطف ، في وقت تحديد مستقبل الجزيرة . وفي نفس  
الوقت ، أعلن مكدونالد ، رئيس حزب العمال ، في المؤتمر الاشتراكي الدولي ،  
الذي إجتمع في برن في عام ١٩١٩ ، أن حزب العمال البريطاني سوف يطبق مبدأ  
حرية الشعوب في تقرير مصيرها على قبرص . وبعد أن حصل الوفد على هذه  
الوعود ، عاد إلى قبرص ، ولكن سرعان ما أعلنت الحكومة البريطانية ، وبعد  
وقت قصير ، أنها تنوى الإحتفاظ بالجزيرة .

### ٣ - قبرص ومعاهدات الصلح :-

وحين تم عقد معاهدة سيفر ، في عام ١٩٢٠ ، تنازلت تركيا ، وبالمواد  
١١٥ - ١١٧ عن كل حقوقها وصفاتها على وفي جزيرة قبرص ، بما في ذلك  
أمر الجزية ، ووافقت على أمر ضم جزيرة قبرص إلى الممتلكات البريطانية ، منذ  
٥ نوفمبر ١٩١٤ . وباتفاق آخر ، تم التوقيع عليه من جانب إيطاليا واليونان  
( والذي لم يتم تصديق إيطاليا عليه ) ، كان على جزر الدوديكانيز ، وفيما عدا  
جزيرة رودس ، أن تعاد إلى اليونان ، وكان من حق أهالي رودس أن يمارسوا  
حقوقهم في تقرير أمر مصير جزيرتهم ، في نفس اليوم الذي تقرر فيه لإنجلترا أمر  
إعطاء قبرص لليونان .

ولكن معاهدة سيفر ظلت بدون تنفيذ ، وحلت محلها معاهدة لوزان ، التي  
عقدت يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٣ ، بعد الهزيمة التي أنزلها الكماليون باليونانيين في  
آسيا الصغرى وأزمير ، في عام ١٩٢٢ . وكانت شروط المعاهدة الجديدة هي نفس

شروط معاهدة سيفر فيما يتعلق بموضوع ضم جزيرة قبرص ، وتخلي تركيا عن حقوقها في هذه الجزيرة : فأصبح الرعايا العثمانيين المقيمين في الجزيرة رعايا بريطانيين ، بحق الضم ، ومع ذلك فقد كان من حقهم ، وفي خلال فترة سنتين ، أن يختاروا الجنسية التركية ، وذلك من تاريخ تنفيذ معاهدة لوزان ؛ وفي هذه الحالة الأخيرة ، عليهم أن يتركوا جزيرة قبرص في خلال فترة الإثنى عشر شهراً التالية لممارسة حق الاختيار . ولقد قامت بالفعل بعض مئات من القبارصة الأتراك بترك جزيرة قبرص فيما بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ ، وذلك من أجل الإقامة في آسيا الصغرى . وكانت الميزات التي تعرضها تركيا عليهم ، من أجل إعادة التوطين في المدن والأحياء التي أنقلاها اليونانيون ، وغيرهم من العناصر المسيحية ، تجذبهم صوب بلادهم الأصلية . أما بقية القبارصة الأتراك فإنهم ظلوا يمارسون حياتهم كما هي ، في جزيرة قبرص ، وتجنباً إلى جنب مع إخوانهم القبارصة اليونانيين .

#### ٤ - قبرص مستعمرة للتاج :-

ولقد تسبب رفض الحكومة البريطانية لمطالب القبارصة اليونانيين في نشأة أزمة سياسية . وقام النواب القبارصة اليونانيون بتقديم إستقلالهم ، تعبيراً عن احتجاجهم ، وقامت الغالبية العظمى لسكان الجزيرة بالامتناع عن المشاركة في الانتخابات الجديدة ، والتي تم فيها انتخاب إثنين من الموازنة وسبعة من القبارصة اليونانيين .

وقامت الإدارة البريطانية باتخاذ إجراءات صارمة ؛ وقام المندوب السامي بإصدار الأمر بطرد إثنين من كبار الرجال السياسيين ، من القبارصة اليونانيين ، من الجزيرة ، وكان من بينهما نائب لارناكا السابق . وتحولت كل الحركة السياسية من المجلس التشريعي إلى قصر رئيس الأساقفة ، وحيث قام مجلس وطني



يوناني ، يتألف من الاسانفة ، والنواب المستقيمين ، وغيرهم من الاعيان ، بتسيير  
شئون الاهالى ، متناسين فى ذلك أمر وجود السلطات البريطانية . وظل الحال  
كذلك حتى وقت تغيير وضعية الجزيرة فى عام ١٩٢٥ .

وفى يوم ١٠ مارس ١٩٢٥ ، منحت بريطانيا العظمى قبرص وضعية مستعمرة  
التاج . وتخير لقب المندوب السامى إلى لقب حاكم . وإرتفع عدد النواب  
القبارة اليونانيين إلى اثنتى عشر ، بينما ظل عدد النواب القبارصة الانراك ثلاثة ،  
كما كان . وفى أثناء ذلك الوقت ، كانت الاغلبية اليونانية محرومة من السلطات  
البرلمانية ؛ ولكى يعادلوا الاثنتى عشر نائباً من اليونانيين ، رفع الانجليز عدد  
الأعضاء المعينين من ستة إلى تسعة .

ولقد ظل هذا النظام الجديد يعمل لمدة ستة سنوات ، قام خلالها القبارصة  
اليونانيون بإرسال وفد جديد إلى لندن ، لى يطالب باتحاد قبرص مع اليونان ؛  
ويطالب كذلك بإجراء إصلاحات دستورية تسمح لشعب الجزيرة بتسيير الشئون  
المحلية . ولكن إجابة حكومة العمال لم تكن تختلف عن إجابة الحكومات السابقة .  
وتحت ضغط الاهالى ، اضطر النواب القبارصة اليونانيون إلى تقديم إستقالاتهم .  
وفى ذلك الوقت قام أسقف سياتيون ، نائب لارناكا ، باصدار إعلان ، فى  
ليماسول ، عن إتحاد جزيرة قبرص مع اليونان ، وعدم إطاعة السلطات البريطانية  
وفى ليلة ٢١ أكتوبر ١٩٣٠ ، قام المتظاهرون من القبارصة اليونانيين فى نيفوسيا  
بالزحف على قصر الحاكم ، وطالبوا بالاتحاد مع اليونان . وحين رفض طلبهم ،  
قاموا بإحراق القصر . وفى نفس الوقت ، قام أهالى الجزيرة بمظاهرات ضخمة  
معادية للبريطانيين ، فى المدن الأخرى والقرى ، ورفضت السلطات المحلية ، من  
القبارصة اليونانيين ، ممارسة وظائفها .

، ويسرعان ما أعلنت حالة الطوارئ : فتم إلغاء حرية الصحافة وحرية

الانتقال والمراسلة ، والغى المجلس التشريعى ، وإلضطر الأهل القبارصة اليونانيون إلى دفع غرامة ، ودفع تكاليف إعادة بناء قصر الحاكم ، وصدرت الأوامر بطرد أسقف سميثيون وأسقف كيرينيا ، وكذلك نائبين وعدد من الأعيان ، من جزيرة قبرص ؛ كما تم إلقاء القبض على ما يزيد على ألف شخص ، أو وضعهم فى إقامة محددة . ومنع تدريس تاريخ اليونان ؛ وظلت الكنيسة اليونانية بدون أساقفة ، وبدون مجلس كنسى ؛ أما حق التشريع فأتى رجع إلى حاكم الجزيرة البريطانى . ولقد ظل هذا النظام سارياً حتى وقت إعلان الحرب العالمية الثانية ، فى عام ١٩٣٩ . وفى أثناء ذلك الوقت ، قام الانجليز بإنشاء لجنة إستشارية ، فى عام ١٩٣٣ ، تتكون من أعضاء معينين بواسطة الحاكم ، حتى تعطيه رأياً فيما يحتاجه من إجراءات داخلية . ومع ذلك ، فإن التضييق الذى فرض على التعليم وعلى الكنيسة اليونانية ظل كما هو . وبعد وفاة رئيس الأساقفة كيرلس ، فى عام ١٩٢٣ ، ظل عرشه شاوياً ، دون خليفة ، إذ أن السلطات البريطانية رفضت أن تتم الانتخابات طبقاً للقانون الكنسى ؛ وكانت قد أمرت بنفى أساقفة سميثيون وكيرينيا . وحين قام أسقف بافوس بالاحتجاج على الإجراءات التى قامت بها لإدارة التعليم بالنسبة لتعليم تاريخ اليونان ، حكمت عليه المحكمة البريطانية ، وعلى أساس ارتكاب جريمة التمرد ، ووضع فى إقامة محددة وإجبارية ، فى قصر الأسقفية ، لايبرحه .

وجاء بعد ذلك العدوان الفاشستى الإيطالى ، يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ على اليونان ، لكى يغير الوضع فى فترة ساعات معدودة . وما أن علموا بالنبا حتى امتلأت جزيرة قبرص بالأعلام اليونانية من جديد ، وبعد أن كان الأهل قد سجنوها لمدة سنوات طويلة ، ولأول مرة ، منذ عام ١٨٧٨ رفعت الأعلام اليونانية إلى جانب الأعلام البريطانية . ورغم منع المظاهرات ، عبر شعب قبرص

وبمحاسن عن مشاعره ، وسايرت المظاهرات في شوارع المدن القبرصية ، وحتى في القرى ، وطالب القبارصة اليونانيون بالتطوع ، وبالسفر إلى اليونان للمشاركة في الحرب والمقاومة . ولكن الانجليز لم يسمحوا لهم بذلك .

وبعد الإحتلال الألماني لجزيرة كريت ، في عام ١٩٤١ ، عاشت جزيرة قبرص أياماً عصيبة . وكانت السلطات تخشى من وقوع هجوم على قبرص ، فأمرت بإخلاء السكان المدنيين من المدن ؛ ولكن نشوب الحرب بين ألمانيا وروسيا ، في صيف عام ١٩٤١ ، أنقذ الجزيرة من بؤس الوقوع تحت الإحتلال الأجنبي .

وفي هذا الوقت العصيب ، وأمام الخطر ، قامت السلطات البريطانية بالتوجه إلى المشاعر الوطنية للقبارصة ، حتى يقبلون الخدمة في القوات المسلحة ، من أجل تحرير اليونان . وهكذا قام أكثر من ٣٠٠٠٠ شخص بقميد أسمائهم ، كمتطوعين ، من أجل الخدمة في الخارج ؛ وحاربوا بكل بسالة ، على جبهات فرنسا ، وإيطاليا ، واليونان ، وشمال إفريقيا . كما قام أكثر من ١٠٠٠٠ شخص بالتطوع من أجل الدفاع عن الجزيرة . وفي عام ١٩٤٣ ، قام المستر ونستون تشرشل ، وهو في طريق عودته إلى إنجلترا ، بزيارة رسمية لقبرص ، وللمرة الثانية . وصرح أمام أسقف بافوس ، وأمام الأعيان المجتمعين بهذه المناسبة في حديقة قصر الحاكم : « حينما تنتهي الحرب ، سيكون اسم قبرص بين تلك الأسماء التي إسحقت الجدران ، ليس فقط من جيلنا ، ولكن كذلك من الأجيال المقبلة » .

وبعد نهاية الحرب ، قام القبارصة ، وطبقاً لنصوص ميثاق الأطلنطي ، والوعد بالتحرر السياس للشعوب الخاضعة للنظم الاستعمارية ، بإرسال مندوبيهم من جديد إلى لندن ، لكي يطالبوا بالإتحاد مع اليونان . ولكنهم صدموا بنفس الرفض التقليدي . ومع ذلك ، فإن الانجليز قاموا هذه المرة بتقديم بعض التنازلات : فوعدوا بعودة الأشخاص المبعدين منذ عام ١٩٣١ ، وبإعادة تشكيل

المجلس الكنسى الخاص بالكنيسة اليونانية ، كما حاولوا وضع ميثاق دستورى  
بوافق عليه الشعب . وهذا الدستور الذى فُكروا فيه كان يتعلق باستقلال ذاتى  
يحدده حق الاعتراض ، ، الفيتو ، ، الذى يحتفظ به الحاكم . وأمام رفض  
الاهالى من القبارصة اليونانيين ، وباستثناء الشيوعيين ، المشاركة فى وضع هذا  
الميثاق الدستورى ، فشل المشروع الانجليزى . وقام الشعب من جديد بالتظاهر  
فى الشوارع ، معلناً مطالبة الوطنية ، وأخذ على البريطانيين أنهم كانوا يرغبون فى  
الاحتفاظ بسيطرتهم على الجزيرة بشكل أبدي ، وعلى عكس ما أعلنوه .  
أنها مرحلة جديدة فى تاريخ قبرص ، لأنها مرحلة الاستقلال .

## البَابُ النَّاسِعُ

إِسْتِقْلَالُ قَبْرِص



# الفصل العاشر

## الحركة الوطنية في قبرص

### ١ - إزدياد الأهمية الاستراتيجية لقبرص :-

مع نهاية الحرب العالمية ، في عام ١٩٤٥ بدأت تغيرات هامة في كل منطقة الشرق الأوسط ، نتيجة لانتصار مبادئ الديمقراطية ، وإنتشار فكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها ، مع نشأة الأمم المتحدة . وكان كل ذلك يدفع شعوب العالم التي خضعت للاستعمار إلى العمل من أجل الحصول على حريتها وإستقلالها ، سواء كانت قد أسهمت في بذل مجهود ، برضاها ، ساعد الديمقراطية على الوصول إلى النصر ، أو أنها وقفت تنتظر ساعة خلاص العالم من شرور النازية والفاشية ، حتى تطالب بتحقيق أمانيتها الوطنية ، وفي الإستقلال .

ولقد ساعد على إزدياد قوة هذه الحركة التحررية ، والتي كانت تعنى بالفعل بداية النهاية بالنسبة للنظام الاستعماري والإمبريالي ، وتصفيته ، ذلك التطور العميق الذي حدث للدول الإستعمارية السابقة ، والتي فقدت الإمكانيات المادية ، وحتى المعنوية ، التي كانت تستخدمها حتى ذلك الوقت لقمع الشعوب . فلقد خرجت كل من إنجلترا وفرنسا ، رغم إنتصارهما ، أو مشاركتهما في النصر على إيطاليا وألمانيا واليابان ، وهما مكبلتين بالديون ، وقد تخربت الكثير من مدهلهما ومصانعهما ، والتجزيات العامة الموجودة في بلادهما ، وكانت الخسائر البشرية فادحة في هذه الحرب ، وشعرت فيها الدول الإستعمارية بحاجتها إلى الدول الخاضعة لها ، إستراتيجياً وإقتصادياً ، وحتى مدياسياً ومعنوياً ، حتى تستمر في هداصلة الحرب . كما شعر فيها أبناء المستعمرات بأنهم قد قاموا بدور إيجابي لولا

لما تمكنت الدول العظمى ، التي تستعمرهم ، من أن تنتصر في الحرب . هذا علاوة على صدور بعض التصريحات من جانب المسؤولين في هذه الدول الاستعمارية ، حتى وإن كان بعضها قد صدر لكسب الوقت ، تعترف بما قامت به هذه الشعوب ، وتعددها بمستقبل أفضل بمجرد نهاية الحرب . وجاءت مبادئ ميثاق الأطلنطي ، وإنشاء هيئة الأمم المتحدة لكي تدعم السير في هذا الاتجاه .

وفي منطقة الشرق الأوسط كانت عملية النمو مستمرة ، وبشكل يهدد سيطرة الإمبراطورية البريطانية ، كما كان الحال فيما مضى . ومع ضعف الإمبراطورية البريطانية ، زادت مبادئ التحرر من قوة الدول الحديثة في المنطقة ، وبدأ وكان النفوذ الأمريكي المتزايد ، يمثل شكلاً جديداً ، في ذلك الوقت ، لتدعيم حركات التخلص من السيطرة الإستعمارية السابقة . وإن كان يحتفظ بما يليق به من قوة سيطرة إقتصادية يمارسها ، ويدعمها ، برؤوس أمواله وبقوة إلتصاره ، على البلاد الجديدة ، وعلى الدول التي كانت تستعمرها في نفس الوقت . وكان كل ذلك يزيد من صعوبة الموقف أمام بريطانيا العظمى في منطقة الشرق الأدنى .

أما من حيث العلاقة بين بريطانيا العظمى ، وبين دول وأقاليم المنطقة ، فكانت قوة التيار تسير في إتجاه مضاد للسياسة البريطانية ، وكان ذلك واضحاً في كل من مصر ، والعراق ، وفلسطين ؛ وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه على فرنسا أن تصفى نفوذها في لبنان ، بعد أن أجبرت على تصفيته في سوريا .

ورغم أن إنشاء جامعة الدول العربية لم يكن يمثل قوة مادية تخشاه بريطانيا ، إلا أن نمو الحركات الوطنية فيما كان يمثل مناطق النفوذ البريطاني ، كان أمراً يحسب له كل حساب ، ورغم أن المفاوضات كانت سراحاً يمكن بريطانيا أن تؤجل به أمر الوصول إلى إتفاق ، إلا أن قوة الدفع الوطني ، كان يعرض ذلك ، وإضطرت بريطانيا العظمى في عام ١٩٤٦ إلى إخلاء قواعدها العسكرية في كل



من القاهرة والاسكندرية، وإلى نقل قواتها إلى القواعد الموجودة في قناة السويس؛ وكان الضغط عليها في الرأي العام وفي الأمم المتحدة يجعلها تشعر بأن بقاءها كان عسكرياً ، وأنها فقدت أى تأييد في أراضي مصر ، من جانب أبناء البلاد .

وكان الأمر بالنسبة لبريطانيا في العراق لا يقل خطورة . وحتى من فلسطين كان نمو القوة اليهودية الوافدة إلى البلاد قد بدأ في أخذ موقف صريح ضد بريطانيا ، كدولة صاحبة إلتداب ، وأخذ في الإستعانة بتأييد الولايات المتحدة ، ضد بريطانيا العظمى ، حتى يصل إلى إنشاء دولة إسرائيل . ولستخدامت المنظمات الصهيونية سلاح الإرهاب وسيلة فعالة ضد القوات البريطانية ، للوصول إلى أهدافها ، وفي الوقت الذي كان فيه العرب والفلسطينيون يضغطون على بريطانيا من جانب آخر ، حتى لا تضيق ذقوقهم عليهم ، وفي بلادهم .

وكانت كل من قناة السويس في مصر ، وحيثما في فلسطين ، وكذلك العراق ، تمثل أهمية كبرى بالنسبة للإمبراطورية البريطانية ، من أجل مواصلاتها مع الهند والشرق الأقصى ، وفي الوقت الذي واجهت فيه بريطانيا ضعف الحركة الوطنية في شبه القارة الهندية ، وعدم إستقرار الأوضاع ، مع إستمرار بعض حروب التحرير ، في بورما ، وأخذت فيه إندونيسيا تضغط على سنغافورة . لقد أصبحت طرق المواصلات الإمبراطورية ، بحرياً ، عبر قناة السويس ، وجوياً عبر منطقة الشرق الأوسط ، مهددة ؛ كما أصبحت حيثما ، كتمخرج لبتترول الشرق الأوسط ، هير آمنة ،

لقد أصبح على بريطانيا أن تعيد حساباتها من جديد ، بالنسبة لشكل المنطقة ، وتحتار لنفسها خطأ ثانياً ، في حالة فقدتها للخط الأول ، وإذا كانت خطوط البترول التي تصل إلى حيثما هي ، خطوط بترول شركة أرامكو ، أى الشركة العربية

الأمريكية للنفط ، وكان الضغط الذى تمارسه الولايات المتحدة على بريطانيا من أجل الحركة الصهيونية قد تزايد فى هذه الفترة ، وأصبح الوجود البريطانى فى فلسطين غير محتملا ، وأصبحت قواتها تشعر بأنها موجودة فى أرض معادية ، فيمكن لبريطانيا أن تتراجع عن فلسطين ، وتعلن عجزها عن حل المشكلة العربية اليهودية ، أمام الأمم المتحدة ، وأمام الجميع . ويمكنها بذلك أن تترك اليهود يتعاملون مع العرب ، وتسائر النفوذ الأمريكى ، الذى كان له ثقله فى أوروبا الغربية ، وفى بقية العالم فى ذلك الوقت .

وهذا الموقف ، الذى لم تضح منذ عام ١٩٤٧ ، كان يجبر بريطانيا على أن تتخذ لإحتياطاتها بالنسبة لخط ثان ، يمكنها منه أن تستمر فى مراقبة تطور الأحداث فى مصر ، وفى العراق ، وفى كل منطقة الشرق الأدنى ؛ وكان هذا الخط الثانى يتمثل فى قبرص ، التى كان موقعها الجغرافى يجعل منها قاعدة إستراتيجية لها قيمة كبيرة ، وقت الحاجة . ولذلك فإن بريطانيا سوف تتمسك بوجودها فيها .

ومنذ نهاية الحرب العالمية كانت المنظمات الصهيونية قد أخذت فى إعداد قوات لها ، وقامت بتدريبها فى معسكرات أنشئت فى فرنسا والنمسا ، لتزويدها برجال أصبحوا مدربين ، يمكنهم المشاركة فى إنشاء دولة لإسرائيل . وكما كانت بريطانيا هى « الحاضنة » التى إحتضنت الحركة الصهيونية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، ورعت نموها فى فلسطين ، إستمرت هذه المنظمات فى الإفادة من النفوذ البريطانى ، من أجل توصيل الكثير من المتطوعين اليهود ، بطريق الهجرة غير المشروعة ، إلى فلسطين ، وعن طريق أكثر المراكز البريطانية أمناً لهم ، وقرباً لهم ؛ وكان ذلك عن طريق قبرص ، التى إعتبرت محطة لتزويد اليهود فى فلسطين بها يلزمهم من رجال العصابات .

أما قوات الفيلق اليهودى ، التى كانت بريطانيا قد أنشأته فى أثناء الحرب

العالمية الثانية ، كوحدة من وحدات الجيوش الإمبراطورية ، فإن بريطانيا قد احتجزتها في جزيرة قبرص كذلك. وحين استعدت القوات البريطانية للإنسحاب من فلسطين قبل يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، كان هذا الفيلق يمثل إحتياطياً هاماً بالنسبة للمنظمات الصهيونية ، التي كانت تستعد من أجل الإستيلاء على ما يمكن أن تستولى عليه من أراضي فلسطين ، وتعلن قيام دولة إسرائيل . وإذا كانت بريطانيا قد أعلنت أن قوات هذا الفيلق لن تصل إلى فلسطين ، إلا أنها اضطرت بعد ذلك ، وأمام الأمر الواقع ، إلى أن تعلن أنه لم يكن في مقدورها منع رجال هذا الفيلق من الذهاب إلى فلسطين .

وهكذا نرى أهمية قبرص بالنسبة لبريطانيا العظمى بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وعملها على الإحتفاظ بهذه الجزيرة تحت سيطرتها ، وتزايد هذه الأهمية الإستراتيجية بالنسبة لكل منطقة الشرق الأدنى ، في نفس هذه الفترة ، وكخط ثامن للإمبراطورية البريطانية، ترقب منها تطورات الأحداث في مصر والعراق وسوريا . وزاد من أهميتها وأهمية التواجد البريطاني فيها ، بداية التوتر بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، مع حادث برلين ، في عام ١٩٤٨ ، وتقلل الأوضاع ثم قيام الحرب الأهلية في اليونان ، بين أصحاب الإتجاهات اليسارية ، وأصحاب الإتجاهات اليمينية ، من بين ملوكيين ، ومن جمهوريين .

فما هو موقف شعب قبرص ، وأهلها ، وما هي حركاتهم في هذه الفترة ؟

## ٢ - الاستفتاء الوطنى عام ١٩٥٠ :

منذ بداية عام ١٩٥٠ زاد ظهور مشاعر القبارصة اليونانيين لمحقق أملمهم في الإتحاد مع اليونان . ولقد وجدوا أنه من الصعب عليهم الإعتماد على مجرد تقديم « المذكرات » للحكومة البريطانية ، إذا ما كانوا يرغبون في الوصول إلى أهدافهم؛

ولذلك فانهم قرروا ضرورة رفع الامر إلى الأمم المتحدة . وعمل على تشجيعهم ، ذلك القرار الذى كان مجلس النواب اليونانى قد وافق عليه بأغلبية شبه جماعية ، فى ٢٧ فبراير ١٩٤٧ ، وفى صالح مطالبهم الوطنية ، فبدأوا فى تنظيم عملية إستفتاء وطنى ، يوم ١٥ يناير ١٩٥٠ ، شاركت فيه الغالبية العظمى للقبازصة اليونانيين . وكان حاكم الجزيرة قد حرم على الموظفين الإدلاء بأصواتهم ؛ ومن بين ٢٢٤٠٧٤٧ صوتاً ، كان ٢١٥٨١٠٨ صوتاً فى صالح الإتحاد مع اليونان .

وبعد الإستفتاء ، سافر وفد من قبرص ، لاعطاء نسخ من بطاقات التصويت ، ونتائج الإستفتاء إلى أثينا ، ولندن ، ونيويورك ، ولتسليم هذه المجلدات إلى مجلس النواب اليونانى ، وللحكومة البريطانية ، وللسكرتير العام للأمم المتحدة . وبعد عام من ذلك ، طلب مكاريوس الثالث ، رئيس أساقفة قبرص ، إلى الحكومة اليونانية ، أن تثير مسألة قبرص أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة . ولكن الحكومة اليونانية رفضت القيام بذلك ، وإكتفت ، فى أول الامر ، بأن تتصل بالحكومة البريطانية ؛ ولم تعط هذه الإتصالات نتائج أكثر من رفض الحكومة البريطانية مناقشة الموضوع القبرصى . ولكن القبارصة لم يفقدوا الأمل . وفى يوم ١٠ أغسطس ١٩٥٣ ، كتب رئيس الأساقفة مكاريوس ، باسم شعب قبرص ، إل الأمين العام للأمم المتحدة ، وطلب إليه قيد موضوع قبرص فى جدول أعمال الدورة الثامنة للجمعية العمومية .

وكان رئيس الأساقفة مكاريوس يهدف الوصول إلى أن يحصل القبارصة على حق تقرير المصير . ولقد إستند فى ذلك إلى قرار الأمم المتحدة ، فى ١٦ ديسمبر ١٩٥٢ ، بالعمل على الإعتراف بحق تقرير المصير لجميع الشعوب غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، حسب روح ومبادئ الهيئة ، فى حرية تعبير هذه الشعوب عن رغبتها بالاستفتاء أو بأية وسيلة ديمقراطية أخرى ، تجرى تحت إشراف الهيئة ؛

وكذلك على المادة الثالثة من ميثاق الأمم المتحدة ، التي تنص على احترام رغبات الشعوب وحقها في إختيار الحكومة التي تريدها ، وتمنع الشعوب المحرومة بسيادة حقيقية وحكم ذاتي ؛ وأخيراً إلى تصريح المستر آتلي ، في مجلس العموم البريطاني ، عام ١٩٤٦ عندما كان رئيساً للوزراء ، بشأن المباحثات التي أجريت مع بورما لإنهاء وضعها كمستعمرة ، وتمتعها بالحكم الذاتي .

ولكن أحداً لم يستمع إليه . وقرر حينئذ أن يبدأ في محادثات ودية بين الأطراف ذات المصلحة ؛ وإن كان هذا الأمل قد ظل بلا جدوى . وفشلت محاولات القبارصة في تسوية المسألة ودياً ؛ ولم يستمع أحد إلى نداءاتهم . أما الطلبات الدبلوماسية ، التي كانت حكومة اليونان قد تقدمت بها ، فإنها إصطدمت برفض الحكومة البريطانية ، والتي لم توافق حتى على مناقشة المطالب الوطنية للقبارصة .

ولقد أعلن المستر هوبكنسون ، وزير الدولة لشئون المستعمرات ، يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٤ ، وبشكل قاطع ، أمام مجلس العموم البريطاني بشأن قبرص : « إن بعض الأقاليم من الكومنولث لا يمكنها أبداً أن تدعى الوصول إلى إستقلال كامل » . وأمام مثل هذا الموقف الرافض تماماً ، قررت الحكومة اليونانية أن تلجأ إلى الأمم المتحدة . وفي يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٤ ، كتبت إلى الأمين العام ، وطلبت فيه المسألة القبرصية في جدول أعمال الدورة التاسعة للجمعية العامة . ولقد أشار الماريشال باباجوس ، رئيس وزراء اليوناني ، في خطابه ، إلى أن اليونان قد إستنفدت كل الوسائل للوصول إلى إتفاق ، عن طريق مباشر ؛ وبعد أن مرت كل الفترات التي تسمح بها الملائمة الداخلية للجمعية العامة ، ترى نفسها مضطرة إلى الالتجاء إلى الأمم المتحدة ، لكي تطلب إليها إيجاد حل لهذه المشكلة ؛ والموافقة على الإعتراف بالحل الذي تفرضه العدالة ، والكرامة .

والمبادئ المقدسة التي أعلنها الميثاق . وأنها تلتجئ إلى الجمعية العامة ، وهي واثقة من أنها ستقوم بعمل بناء ، من أجل السلم والحرية .

### ٣ - عرض القضية على الأمم المتحدة :

ولقد كتب الأسقف مكاريوس ، في ٢٢ أغسطس ١٩٥٤ إلى سكرتير الأمم المتحدة ، خطاباً مؤيداً فيه موقف الحكومة اليونانية بعرض موضوع قبرص على الدورة التاسعة للجمعية العمومية ؛ وذكر فيه أنه سيكون لقرارات الأمم المتحدة أثرها الحيوى على حياة ومستقبل شعب قبرص اليونانى .

ثم شرح مكاريوس في خطابه أنه يتحدث بالنيابة عن شعب قبرص ، ولكونه منتجباً كرئيس وطنى لهذا الشعب ؛ وذكر التالى :

**أولاً :** أن جزيرة قبرص لا تتمتع بالحكم الذاتى ، وتقع تحت حكم بريطانيا العظمى فى الأمم المتحدة .

**ثانياً :** أن القبارصة اليونانيين يكونون ٨٠ ٪ من تعداد سكان الجزيرة ؛ وأشار إلى الاستفتاء الحر الذى تم فى عام ١٩٥٠ ، وكان من نتيجته أن ٨٠ ٪ من مجموع سكان الجزيرة قد طالبوا بالانضمام لليونان ، البلد الام ؛ وأن نتائج هذا الاستفتاء قد سلّما وفد قبرص للحكومة البريطانية ، ولسكرتير الأمم المتحدة .

**ثالثاً :** أن الحكومة البريطانية ترفض الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب القبرصى ؛ رغم أن ميثاق الأمم المتحدة ( المادة ١ فقرة ٢ والمادة ٥٥ ) ينص على حق تقرير المصير للشعوب ، كمبدأ أساسى معترف به ؛ ورغم أن قرارات الجمعية العمومية ، فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٢ ، توصى بضرورة احترام حقوق الغير ، متمتعين بالحكم الذاتى ومبدأ تقرير المصير .

رابعاً : أنهم طالبراً الحاكم العام الانجليزى بتنفيذ قرارات إستفتاء عام ١٩٥٠، وتنظيم إستفتاء آخر ، ولكنه رفض ذلك ، وأفاد أن الحكومة البريطانية لا تفكر فى إجراء أى تغيير فى السيادة على قبرص .

خامساً : أن بريطانيا أهملت تطبيق ميثاق الأمم المتحدة ؛ كما أن الأوضاع الموجودة فى قبرص غير ديمقراطية ، تمنع حرية الصحافة والقول . ولذلك فإنه يؤيد طالب الحكومة اليونانية إدراج الموضوع فى جدول أعمال الجمعية العمومية . وكان هذا موقف جانب القبارصة اليونانيين ؛ فإذا كان موقف الجانب الآخر ، أى القبارصة الأتراك ؟

لقد كتب مفتى قبرص ، فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٤ ، إلى سكرتير الأمم المتحدة ، بنفس المناسبة ، والخاصة بعرض قضية قبرص على الأمم المتحدة .

ولقد أراد ، من جانبه ، أن يشرح موقف مائة ألف مسلم قبرصى فى المشكلة ، وكانت أهم نقطه عمل على توضيحها هى أن مطالب القبارصة اليونانيين للانضمام تحت عنوان تقرير المصير ، إلى اليونان ، أمر مرفوض ، ولأسباب كثيرة :

أولاً : من حيث اللغة ؛ حقيقة أن الغالبية العظمى لسكان الجزيرة تتحدث اللغة اليونانية ، ولكن هذه الأغلبية تمثل شعباً غير متجانس .

ثانياً : من حيث المبدأ الديمقراطى ، والذي يعترف بحقوق أغلبية السكان على الإقليم الذى يسكنوه ؛ فهذا المبدأ نفسه قد اعترف أيضاً للأقلية بحق الحياة فى إقليمها فى سلام وأمان . ومن الواجب فى هذا النطاق أن تقيد حقوق الأقلية من حقوق الأغلبية ، خاصة وأن ما ينادى به المتحدون باليونانية من الانضمام إلى اليونان يؤثر على سلامة الأقليات فى الجزيرة ؛ الأمر الذى يخالف مبادئ العدالة والحقوق البشريه .

**ثالثاً :** أن الشعب اليوناني يميل إلى العمل حسب شعوره ، وليس وفقاً للتعقل ، الأمر الذي يجعل إدارتهم للحكم خطيرة ، وخاعة بالنسبة للجماليات غير اليونانية . كما أن عدم إستقرار الحكومة اليونانية ، والصراع الدموي الموجود بين الأحزاب اليونانية فيها ، وإختلاف المذاهب الفكرية ، يظهر ضعف الإدارة اليونانية .

**رابعاً :** ومن حيث المعطيات الجغرافية والتاريخية ، فإن قبرص لم تكن أبداً في يوم من الأيام جزءاً من اليونان ، والمسافة بينها تصل إلى ١١٠٠ كيلومتر ، وليس هناك ارتباط إستراتيجي فيما بينهما .

**خامساً :** وحتى من حيث السكان ، فإن الأغلبية الخاصة بالقبارصة اليونانيين لم تزد إلا في خلال الستين عاماً الماضية . فقد كان في الجزيرة ٢٠ ألف يوناني فقط في عام ١٧٩٠ ، في الوقت الذي كان بها ٦٠ ألف تركي ( أرقام مأخوذة من تقرير فيزن ، قنصل إنجلترا في قبرص حينئذ ) . وفي عام ١٨٩٦ كان تعداد سكان الجزيرة ٣٠٩٣٩١ نسمة ، ثلثهم من الأتراك ، والثلثان من غير الأتراك ؛ وكان من ضمنهم كل الأقليات غير التركية ( أخذت هذه الأرقام من كتاب تاريخ قبرص لفيليب نيومان ) . أما الغالبية اليونانية الحالية بقبرص ، فهي ليست من القبارصة أصلاً ، إنما هم من مواليد المهاجرين الذين حطوا على الجزيرة ، مفيدون من ضيافة الأتراك والحكومة الانجليزية . كما أن ستون عاماً ليست بالمدة الطويلة في التاريخ ، والتي يمكنها أن تعطى الأغلبية اليونانية القوة في تغيير سيادة الجزيرة ، لصالح الدولة التي لم تكن جزءاً منها ، أي اليونان .

**سادساً :** من حيث سلامة البلاد المحيطة بها ، فإن المسافة الطويلة التي تفصل بين قبرص واليونان ، وهي ١١٠٠ كيلومتر تجعل الادارة اليونانية ، غير القوية



في البلد الاصلى، أى اليونان ، أكثر ضعفاً في الجزيرة ؛ وسوف يستغل الشيوعيون هذا الموقف لغير صالح الجزيرة والبلاد المحيطة بها ، الأمر الذى قد يحول الجزيرة إلى حالة تهدد بها السلام والأمن في البلاد المحيطة بها .

وهكذا يكون حق الحياة في سلام وأمن ، أهم من حق التمتع ببهجة الحياة . وباختصار ، فإن المسلمون طالبوا بعدم انضمام جزيرة قبرص إلى اليونان .

ولقد وافق مجلس الأمن على إدراج القضية في جدول أعمال الدورة التاسعة للجمعية العمومية للأمم المتحدة ، بتسعة أصوات ، مقابل ثلاثة أصوات ، هى أصوات تركيا وبريطانيا وفرنسا ؛ وإمتناع ثلاثة آخرين . وكان هذا القرار بناء على أن هذا الإدراج لا يمثل تدخلا في الشؤون الداخلية لبريطانيا العظمى .

ولقد ظهرت الحجج ، والمواقف التالية ، عند عرض الموضوع ، بعد أن شرح الوفد اليونانى حق القبارصة في تقرير مصيرهم :

**أولا :** موقف تركيا : رفض حق تقرير المصير للقبارصة ، وعلى أساس أن ميثاق الأمم المتحدة ينص على احترام الحق المشروع في الدفاع المفرد والجماعى أو المنظمات الإقليمية ، ، وأن هذا الحق في الدفاع يستهدف الخطر الذى سوف ينشأ إذا ما انفصلت قبرص عن الإمبراطورية البريطانية .

وحاول المندوب التركي أن يستند إلى العامل الجغرافى ، وبغض النظر عن رأى أغلبية السكان ، وبناء عليه فمن الواجب ضم قبرص إلى تركيا ، على إعتبار أنها إمتداد لهضبة الأناضول ، وأنها أقرب بكثير إلى مياهها الإقليمية ؛ منها لليونان . كما إستند إلى العامل السكانى ، وظروف تطوره ، فذكر أنه بالرغم من وجود ٣٠.٠٠٠ قبرصى يونانى في الجزيرة ، فإنه كان هناك كذلك ٣٠.٠٠٠ قبرصى تركى ، غادر الكثيرون منهم الجزيرة ، مهاجراً إلى الولايات المتحدة وأمريكا

الجنوبية وتركيا ، ودول أخرى ، لأسباب عديدة ، منها السعي وراء العيش ، ولذلك يجب أخذ أصواتهم إذا تم إجراء إستفتاء لأهالى الجزيرة ، طبقاً لمبدأ تقرير المصير . ولقد إستشهد بما تم بهذا الشأن فى سيليزيا العليا ، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وعند بحث موضوع ضمها إلى بولندا ، ومعارضة ألمانيا لذلك الاقتراح ، إستناداً إلى أنه يجب إجراء إستفتاء عام يشترك فيه سكانها لتقرير مصيرهم ، وتم ما أرادت ألمانيا . وكانت النتيجة أن أخذت أصواتاً تقرب من ٣٥٠.٠٠٠ ألماني ، ممن ولدوا فى سيليزيا العليا ، وهاجروا منها ، فرجحت كفة ألمانيا بحصولها على أغلبية ٧١٦.٠٠٠ صوت ، مقابل ٤١٧.٠٠٠ ؛ وبذلك ضمت سيليزيا العليا إليها .

كما أن المندوب التركى حاول أن ينفى إدعاء أن القبارصة اليونانيين الحاليين ينحدرون من أصل يوناني ، وإستند إلى أنهم ينتمون إلى أصل سكان البحر المتوسط ، أو أصل سكان الحوض الشرقى للبحر المتوسط (أصل ليفانتى) .

ثانياً : موقف اليونان ؛ ولقد قسم المندوب اليونانى مناقشته إلى ثلاثة أقسام هى الموضوع العام بالنسبة لجزيرة قبرص ، وعرض فيه حق تقرير المصير ، الذى ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة ؛ وأشار إلى إستفتاء عام ١٩٥٠ ، الذى وصفه بأنه يعبر عن شعور سكان الجزيرة ؛ وطالب بعمل إستفتاء آخر ، يتم تحت إشراف الأمم المتحدة . وتحدث عن الوحدة بين شعبى اليونان وقبرص ، وعن وحدة اللغة ، والدين ، والجنس ، والأمانى ، والتقاليد بينهما . وأكد أن ضم الجزيرة لن يغير الوضع بالنسبة لإلتزامات اليونان أمام حلفى البلقان وشمال الأطلنطى .

وقام المندوب اليونانى بعد ذلك بمحاولة لتنفيذ حجج مندوب تركيا ، الخاصة بالقرب الجغرافى . وتحدث عن السكان ، وذكر أنه لم يكن هناك أتراك

في جزيرة قبرص في عام ١٥٧١، حين قام العثمانيون باحتلالها. وذكر أن الرحالة ليفل تشلي، الذي زار الجزيرة فيما بين عامي ١٦٧٠ و١٦٧٥ وجد أنه كان بالجزيرة ١٥٠٠ يوناني و ٣٠٠ تركي. وأن طلعت أفندي، حاكم قبرص التركي، قدر في عام ١٨٤١، عدد القبارصة اليونانيين بـ ٧٥٠٠ يوناني؛ والأتراك بـ ٣٥٠٠٠ تركي.

وأخيراً، فإن المندوب اليوناني ـ أول أن يفند رأى بريطانيا العظمى الخاص باعتراف اليونان بسيادة بريطانيا على الجزيرة، وذكر أن توقيع اليونان وغيرها من الدول على المعاهدة التي تنازلت فيها تركيا، وطبقاً للمادة ٣٠ منها، عن جزيرة قبرص، لا يعنى أن تقوم بريطانيا بضم الجزيرة إليها، ولكنها شهادة شاهد بأن تركيا قد تنازلت عن الجزيرة فقط.

ثالثاً : موقف بريطانيا العظمى وقد استند إلى النقاط التالية : —

- ١ — أن موضوع قبرص يعتبر موضوعاً داخلياً، وليس للأمم المتحدة، استناداً إلى ميثاقها، أى حق في بحثه.
- ٢ — إن إعطاء قبرص لليونان يخالف معاهدة لوزان، التي تنازلت فيها تركيا عن الجزيرة لبريطانيا، وقد وقعت اليونان على هذه الوثيقة مما يشهد موافقتها.
- ٣ — أن مناقشة قبرص سرف يؤدي إلى إنيار حلف البلقان.
- ٤ — أن حركة «أوكا» التي تطالب بضم الجزيرة إلى اليونان ما هي إلا حركة مفتعلة نظمتها حكومة اليونان.
- ٥ — أن السلطنة البريطانية في الجزيرة تقوم بمجموعات إصلاحية في الجزيرة، لا تستطيع الحكومة اليونانية القيام بها.

٦ - أن الحكومة البريطانية تعد مشروعاً لمنح الجزيرة حكماً ذاتياً ، مع حفظ حقوق الأقلية التركية .

ولقد إستند المندوب البريطاني إلى أسانيد قانونية ، ومنطقية ، مما أعطى قوة لموقفه ، وكان له أثر على موقف الدول الأعضاء ؛ بينما كان دفاع مندوب اليونان متركزاً على نواحي عاطفية ، وعلى بعض الأرقام ، ومع تحاشي النظر إلى النتائج . ونجد أن الولايات المتحدة وقفت إلى جانب بريطانيا العظمى ، ورفضت حق تقرير المصير ، عن طريق الاستفتاء ، في هذه المشكلة .

وهكذا ظهر واضحاً أن عملية الاستفتاء تهدف ، في الدرجة الأولى ، أمر ضم قبرص إلى اليونان ، ودون أن يؤدي ذلك إلى تحسين في شئون أهلها ، بل يهدد بالتالي في قيام صراع بين طائفتي سكان الجزيرة . كما أن هذا الاتجاه يؤدي إلى سوء العلاقة بين تركيا واليونان ، ودون مقابل . وأخيراً فإن الدول ذات الكلمة في الاتفاقيات الدولية التي تمس المنطقة ، وهي حلف شمال الأطلسي وحلف البلقان ، وهما الولايات المتحدة ، وإنجلترا ، كانتا لا توافقان على مثل هذا الاتجاه . وتدخل مندوب نيوزيلندا ، وطلب إرجاء المناقشة ، إستناداً إلى أن إستمرار مناقشة القضية سوف يؤدي إلى شقاق ، ويضر بالعلاقات بين عدد من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، كما أن إرجاء بحث المشكلة سوف يعطي فرصة للطرفين لتصفية الموقف بينهما ، بما يتفق مع الصالح العام .

وحين وصلت هذه الأنباء إلى قبرص ، خرج الطلاب في مظاهرات في الشوارع ، تطالب بضرورة الوحدة مع اليونان .

# الفصل الحادي عشر

## الكفاح من أجل الإستقلال

### ١ - الكفاح :

في ليلة أول أبريل ١٩٥٥ ، اهتزت نيقوسيا والمدن الأخرى في الجزيرة ، نتيجة للإنفجارات العنيفة للتنازل . وتخربت محطة الإذاعة في الجزيرة تخريباً شبيه كاملا ، كما حدثت إصابات بالغة للمباني الحكومية . ومات أحد القبارصة اليونانيين ، بعد أن صعدت قوة ضغط التيار الكهربائي ، حين حاول قطع أسلاك الكهرباء التي تصل لارناكا بفماجوستا . وفي نفس الوقت ملأت المنشورات كل المدن والقرى القبرصية ، وكانت تحمل توقيع ديجينيس ، رئيس منظمة أيوكا E.O.K.A. السرية (المنظمة الوطنية للمحاربين القبارصة ؛ والتي كانت تعلن بدء الكفاح المسلح من أجل الحرية .

ومنذ هذا اليوم ، استمرت الانفجارات ؛ وكان الوطنيون من القبارصة اليونانيين يقومون كل ليلة بمهاجمة المباني والإدارات الحكومية . ولقد اعتقدت السلطات المحلية ، في أول الأمر ، أن المسألة كانت عابرة ومؤقتة ، ولم تأخذها مأخذ الجد .

وفي شهر يونيو ، قام ألان لينوكس بويد ، وزير المستعمرات ، بزيارة الجزيرة ؛ وتباحث مع البطريك مكاريوس ، وأبلغه أن الحكومة البريطانية كانت تنوي أن تعقد في لندن ، مؤتمراً بشأن قبرص ، قرب نهاية الصيف . والواقع أن وزراء خارجية بريطانيا العظمى ، واليونان ، وتركيا ، قد اجتمعوا في

— ١٩٨ —

لندن ، يوم ٢٩ أغسطس ، في مؤتمر دلاشي ، كان هدفه بحث مشكلات الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، بما في ذلك مشكلة قبرص .

ولم يكن شعب قبرص ممثلاً في هذا المؤتمر . وبعد عرض وجهة النظر اليونانية ، والتي كانت في صالح فكرة اتحاد الجزيرة مع اليونان ، أعلن ممثل تركيا معارضته لتحقيق هذه الفكرة ، لأسباب تتعلق بالأمن ، وبسبب قرب جزيرة قبرص من سواحل آسيا الصغرى . ولعبت الحكومة البريطانية بطاقة تركيا ضد اليونان ، وأعلنت نيتها على أن تبقى حكمها للجزيرة ، وذلك في نفس الوقت الذي وعدت فيه بمنح شعب قبرص إستقلالاً داخلياً محدوداً . وأمام هذا الطريق المسدود ، أوقف المؤتمر أعماله ، يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، وأصبح من حق اليونان بعد ذلك أن تستمر في إلتهائها إلى الأمم المتحدة .

وفي أثناء ذلك الوقت ، إستمر الوطنيون من القبارصة اليونانيين في الجزيرة ، في عمليات المقاومة ، وبكل شدة ؛ ولزادت عمليات التخريب ، والهجمات على الإدارات العامة يوماً بعد يوم في خطورتها بالنسبة للسلطات البريطانية . وبدأوا في تنفيذ قانون سجن الأشخاص المشتبه فيهم بالقيام بأعمال تخريب ، ودون محاكمة . وكذلك حظر التجول ؛ ولكن بدون نتيجة فعالة . وكان الوطنيون يعلنون أن كفاحهم من أجل الحرية سيكون طويلاً ، وصعباً ؛ وأن عليهم أن يواجهوا معارضة تركيا ، علاوة على معارضة بريطانيا .

ولم تنته فترة حكم الحاكم أرميتاج ، وجاءت فترة حكم الماريشال هاردينج ، الذي أخذ لإجراءات صارمة ضد السكان الملتزمين من اليونانيين ، وبمجرد وصول الحاكم الجديد إلى الجزيرة ، أعلن تصميمه على سحق المقاومة المسلحة التي يقوم بها اليونانيين ، وبأى ثمن .

ولقد جمع في يديه كل السلطات ، وأعلن حالة الطوارئ وأدخل نظام الغرامات الجماعية ، بالنسبة لكل حادث تخريب ؛ وأغلق المدارس . ولم يعد في وسع أى شخص أن يدخل إلى المحاكم دون تفتيشه . وكان لا يثق في رجال الشرطة من اليونانيين ، فأُنشأ فرقة من رجال البوليس المساعدين ، تتكون في غالبيةها العظمى من الأتراك ولما كانت أعداد الأشخاص المقبوض عليهم تتزايد في كل يوم ، لم يعد في وسع السجون أن تأويهم جميعاً ؛ فقرر إنشاء معسكرات اعتقال للوطنيين من القبارصة اليونانيين ، وفصلهم بهذا الشكل ، عن مجرمي القانون العام . وكانت الداوريات تسير في المدن والقرى ليلاً ونهاراً ، من أجل المحافظة على النظام ، وللبحث عن السلاح . وتم التخلي عن كل مشروعات التنمية الاقتصادية في الجزيرة . أما الإدارة فانها عملت وكأنها في حرب ، مع إعطاء أولوية لأعمال الدفاع والحماية ضد الوطنيين من القبارصة اليونانيين .

ولم يتردد المارشال هاردينج في الدخول في محادثات مع رئيس الأساقفة مكاريوس في بداية شهر أكتوبر ١٩٥٥ ، من أجل إيجاد حل للمشكلة القبرصية . وكانت المفاوضات طويلة ، وصعبة . وفي خلال أشهر طويلة ، وحتى بداية شهر فبراير ١٩٥٦ ، كان الحاكم ورئيس الأساقفة يتبادلان وجهات النظر والمقترحات ، ويتصلان بحكومة لندن ، وحكومة أثينا .

وأخيراً ، فإن الحكومة البريطانية وافقت على أن تمنح شعب قبرص إستقلالاً ذاتياً محلياً ، وبشكل فعلى ، وإحتفظت لنفسها بالاختصاصات المتعلقة بشؤون الدفاع والعلاقات الخارجية . أما فيما يتعلق بالأمن الداخلى ، فلقد تم الإتفاق على أن تستمر الحكومة البريطانية في أن تقوم به ، وادة عام بعد بدء تطبيق الدستور . وكانت على الوضعية الدولية المقبلة للجزيرة ، أن تسوى ، في فترة مقبلة ، غير محددة ، حينما يسمح الموقف الدولى بذلك ، وقرر رئيس الأساقفة مكاريوس ، وبعد

موافقة ممثلي القبارصة اليونانيين ، أن يقبل المشروع البريطاني ؛ ووصل وزير المستعمرات البريطانية إلى قبرص قرب نهاية شهر فبراير ١٩٥٦ .

### ٣ - نفى البطريك إلى سيشل :

وكان العالم كله يعتقد في أن الإنفاق كان قريبا . ومع ذلك فإنه قد إصطدم ، وفي اللحظة الأخيرة ، بمعارضة إنجلترا ، لموضوع إطلاق السراح الفوري للوطنيين ، من القبارصة اليونانيين ، وإنهاء معتقلاتهم . وأدى إلى ذلك الأمر إلى قطع المحادثات . وعاد وزير المستعمرات إلى لندن ؛ وفي الوقت الذي كان فيه رئيس الاساقفة مكاريوس يستعد لاختذ الطائرة إلى أثينا ، قبعوا عليه ، مع أسقف كيرينيا ، وعلى اثنين من الوطنيين ، من اليونانيين ، ونفوهم إلى جزر سيشل ، في المحيط الهندي . وتم إغلاق قصر الاسقفية ، بأمر من السلطات ، بعد أن طردوا منه كل رجال الدين . ولقد أعلن الأهالي اليونانيون في الجزيرة الحداد لمدة ثلاثة أيام ، كوسيلة للتعبير عن سخطهم لنفى البطريك .

وحين وصلت أنباء إبعاد البطريك إلى أثينا ، تسببت في نشأة احتجاجات عنيفة من جانب الأهالي ، وفي الصحافة اليونانية ؛ واستدعت حكومة اليونان سفيرها في لندن وفي بريطانيا العظمى ، لاحتج حزب العمال المعارض ، وبقوة ، على عمل وزير المستعمرات . وقامت السلطات في قبرص بأخذ إجراءات متشددة للغاية ضد الأهالي من القبارصة اليونانيين ؛ وأخذت في تقديم المضربين إلى المحاكم ، وصدرت الأحكام ضدهم .

أما الماريشال هاردينج ، فإنه شرح السياسة البريطانية تجاه قبرص ، في خطابه الذي ألقاه يوم ٢٣ مارس ١٩٥٦ . وكانت هذه السياسة تقوم على أسس ثلاث :-

**أولا :** المصالح السياسية والاستراتيجية البريطانية ؛

**ثانيا :** المحافظة على حسن العلاقات بين بريطانيا العظمى وتركيا ؛



**ثالثاً:-** أعطاء بعض التنازلات لآمانى القبارصة .

وأعلن الحاكم ، فيما يتعلق بالنقطة الثالثة ، أن رجل القانون الإنجليزى ، اللورد رادكليف قد كلف بكتابة الدستور المقبل للجزيرة ، ودعا الأهالى إلى التقدم بآمالهم . ولكن القبارصة رفضوا كل تعاون وأعلنوا أن رئيس الاساقفة مكاريوس كان هو الشخص الوحيد الذى يمثلهم ؛ وطالبوا بضرورة إطلاق سراحه ، دون أن يتخلوا عن هذا الموقف ؛ وفى الوقت الذى استمرت فيه الأحداث الدامية فى الجزيرة . ولقد كان على الأهالى المدنيين فى قبرص أن يعيشوا تحت نظام منع التجول لفترة طويلة ، ولم يكن يسمح لأى فرد بالخروج عن نطاق المدن . وقامت الحكومة بإصدار الأوامر بغلق المقاهى ، وبقيّة المحلات العامة . وكانت كل حركة ممنوعة بعد غروب الشمس ، وكان على اليونانيين أن يبقوا فى منازلهم ، ومع الإبقاء على نوافذها مغلقة .

وفى شهر مايو ١٩٥٦ ، ورغم النداءات الصادرة من المنظمات الدينية والثقافية فى قبرص وفى اليونان ، تم شنق إثنين من الوطنيين من القبارصة اليونانيين ، هما كراوليس وديميتريو ، فى سجن نيقوسيا المركزى . ولقد اعتقد الماريشال هاردينج أنه يمكنه القضاء على منظمة «إيوكا» ، ورفض لإقتراح الهدنة ، الذى كان قد تقدم به رئيسها ، الجنرال جريفاس — ديجينيس ، وإستمر فى إستخدام القمع ؛ وحاول أن يصل بذلك إلى الروح المعنوية للشعب ، الذى ظل ، رغم كل ذلك ، سليماً ، وقوى العزيمة .

### ٣ - مشروع دستور لورد رادكليف .-

كان اللورد رادكليف قد زار جزيرة قبرص فى شهر يوليو ١٩٥٦ ؛ ثم عاد وزارها ثانية فى ٢٦ سبتمبر ، ومكث فيها حتى ١٥ أكتوبر من العام نفسه ، وذلك لدراسة الأوضاع هناك ، وإمكانية وضع دستور ، يمكن على أساسه تسوية مشكلة قبرص .

ولقد أعلن لينوكس بويد ، وزير المستعمرات البريطانية ، في مجلس العموم ، يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٦ ، أنه قد وضعت الأسس التي سوف يقدم على صوتها اللورد رادكليف مقترحاته ؛ وكانت هذه الأسس تشتمل على وضع التوصيات بشأن شكل الدستور الجديد المزمع وضعه لقبرص ، والذي سوف يتمشي مع :-

**أولاً .** أن تظل قبرص تحت السيادة البريطانية خلال فترة سريان الدستور ؛  
**ثانياً .** اعتبار استخدام قبرص كقاعدة ، ضرورة ملحة ، حتى تتمكن الحكومة البريطانية من الوفاء بالتزاماتها ، والدفاع عن المصالح البريطانية في الشرق الأوسط ، ومصالح الدول المتحالفة الأخرى أو التي ترتبط ببريطانيا ؛

**ثالثاً :** أن يكون الدستور قائماً على مبادئ الديمقراطية الحرة ، وأن توضع على عاتق ممثلي الشعب المنتخبين مسؤولية الحكم الذاتي في قبرص ، على أن يتضمن التحفظات والضمانات التي تتخذ لحماية الجماعات الخاصة في الجزيرة من ناحية الدين والجنس .

وقرب نهاية شهر ديسمبر ١٩٥٦ ، أعلن وزير المستعمرات البريطاني أمام مجلس العموم مشروع الدستور الذي وضعه رادكليف . وكان هذا الدستور يضع ، في ديباجته ، مبدئين هامين هما . أنه سيكون هناك حكم ذاتي في الجزيرة تلغى فيه جميع قوانين الطوارئ ، وتكون هناك إنتخابات برلمانية تعبر عن الرأي الشعبي ؛ كما أن قبرص سوف تكون خاضعة للسيادة البريطانية ، ولن يتغير هذا الوضع إلا إذا مارغت بريطانيا في ذلك .

وكان هذا الدستور ينص على إنشاء مجلس تشريعي ، أو برلمان ، يشتمل على ٣٦ عضواً ، منهم ٢٤ من القبارضة اليونانيين ، وستة من القبارضة الاتراك ، وستة أعضاء يقوم حاكم الجزيرة باختيارهم .

كما كان ينص على إنشاء مجلس وزراء يتشكل من سبعة وزراء هم . رئيس

المجلس، ووزير الشؤون التركية، ووزير المالية، ووزير الداخلية، ووزير المواصلات، والأشغال العمومية، ووزير الخدمات الاجتماعية ووزير الموارد الطبيعية .  
أما حاكم قبرص فيتم تعيينه بواسطة التاج، وله حق الاعتراض، في مسائل الدفاع، والأمن الخارجى، والعلاقات الدولية. كما سيتم إنشاء «محكمة ضمانات»، تتشكل من أحد اليونانيين، وأحد الأتراك، وأحد المحايدين، وستكون اختصاصاتها مشابهة لإختصاص «مجلس الدولة» فى فرنسا .

وعند تقديم هذا المشروع لمجلس العموم، أضاف الوزير أن الحكومة البريطانية فى حالة رفض شعب قبرص له، لن تتمكن من أن تجد حلاً آخر سوى إقتراح تقسيم الجزيرة بين القبارصة اليونانيين، والقبارصة الأتراك .

ورغم رفض المارشال مارينج للتفاوض مع رئيس الاساقفة مكاريوس، لم تردد الحكومة البريطانية فى أن توصل إليه خطتها، مع بعثة أرسلتها خصيصاً لذلك إلى سيشل . ولكن رفض المشروع، مثله فى ذلك مثل حكومة اليونان، وكذلك سكان قبرص، أما الأتراك، فإنهم رفضوا المشروع كذلك، وطالبوا بتقسيم الجزيرة بينهم وبين اليونانيين .

وأمام مطالب أبناء قبرص بأن تسبق عملية إطلاق سراح البطريرك أية مفاوضات، قررت الحكومة البريطانية، فى شهر مارس ١٩٥٧، وتحت ضغط من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ضرورة إطلاق سراح البطريرك. والثلاثة الآخرين المنفيين معه إلى سيشل، وعلى شرط ألا يعودوا إلى جزيرة قبرص .

وفى أثناء ذلك الوقت، كانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة، قد صوتت، فى ٢٦ فبراير ١٩٥٧ على قرار بشأن الطلب اليونانى : «بعد فحص مسألة قبرص، ونظراً لأن حلها يتطلب منا من السلام وحرية التعبير، تبدى الجمعية العمومية رغبتها الصادقة فى إيجاد حل ديمقراطى، وسلمى، وعادل، طبقاً لمبادئ وأهداف

ميثاق الأمم المتحدة؛ وتأمل في عودة المفاوضات واستمرارها ، من أجل الوصول إلى هذا الهدف .

وجاءت أنباء إطلاق سراح البطريرك ، لكي تملأ قلوب القبارصة فرحاً ، وإمتلأت الجزيرة بالزهور وبالأعلام اليونانية . ولكن الماريشال هارينج عاد إلى الجزيرة في اليوم التالي، وأصدر أوامره من نيقوسيا بمنع كل المظاهرات، وذكر أهالي قبرص بأن حالة الطوارئ لا تزال معلنة . وبعد بضعة أيام من ذلك ، دخل الاساقفة ، مكاريوس إلى أثينا ، وسط هتاف وحماس الشعب اليوناني .

## الفصل الثاني عشر

### الاستقلال

#### ١ - المرحلة الأخيرة للنظام الاستعماري (١٩٥٧ - ١٩٥٩) :

في شهر أكتوبر ١٩٥٧ ، ترك الماريشال هاردينج جزيرة قبرص ، الأمر الذي جعل أهل قبرص يتنفسون الصعداء . ولقد حاول خليفته ، السير هاج فوت ، وقت إستلامه السلطة ، أن يعيد التفاهم ، الذي كان قد انقطع منذ شهور طويلة . بين السلطات البريطانية وبين أهالي قبرص . ومنذ وصوله ، وعد بأن يبحث حالة المعتقلين في معسكرات الاعتقال ، وإن يطلق سراحهم تدريجياً . وكان أكثر دبلوماسية من سابقه ، وسرعان ما فهم أنه لا يمكنه أن ينجح دون أن يعمل أولاً على إبعاد مناخ عدم الثقة ، الثقيل ، والذي كان يخيّم على الأهالي اليونانيين ، ويضع حداً للإتهامات بالتعذيب ، تجاه المعتقلين . ومع ذلك فإن مهمته لم تكن سهلة ، وذلك نتيجة لتصلب الأتراك ، ووقوف بعض الوزراء البريطانيين ضد رئيس الأساقفة مكاريوس . وكان القبارصة الأتراك ، وبخاصة بعد أن أيدهم نظام هاردينج ، غير مستعدين للتنازل عن مصالحهم . وكانت مقابلة حاكم قبرص ، مع وزير خارجية تركيا ، في أنقرة ، في شهر فبراير ١٩٥٨ ، تمثل فشلاً واضحاً . أما القبارصة اليونانيون ، والمدين شجعتهم وعوده ، فإنهم إستمروا في المطالبة بإلغاء حالة الطوارئ ، وإطلاق سراح المعتقلين ، وعودة البطريك .

وفي أثناء صيف عام ١٩٥٨ وقعت أحداثاً خطيرة بين القبارصة الأتراك ، والقبارصة اليونانيين . ذلك أن بعض القبارصة اليونانيون من سكان القرى تعرضوا ، في أثناء عودتهم لقراهم ، لهجوم قام به بعض القبارصة الأتراك وذلك

قرب نيقوسيا ؛ كما تم إحراق بعض المساكن وبعض الكنائس اليونانية . وأدى ذلك إلى إصدار الأوامر بمنع التجول في نيقوسيا ، وفي القرى الأخرى . وقامت السلطات بالقاء القبض على ما يزيد على ٢٠٠٠ قبرصى يوناني ، ووضعهم في معسكرات الاعتقال ، تفادياً لقيامهم بأعمال إنتقامية .

وفي ذلك الوقت ، أعلن ماكميلان ، رئيس وزراء بريطانيا ، خطته من أجل إيجاد حل مؤقت لمشكلة قبرص . وكانت النقطة الرئيسية فيه تنص على فترة سبع سنوات ، تظل خلالها جزيرة قبرص تحت السيطرة البريطانية ، مع نوع من الإستقلال الذاتي المحلي . أما المجلس التنفيذي ، الذى يرأسه الحاكم الإنجليزى ، فيضم أربعة وزراء من القبارصة اليونانيين ، ووزيرين من القبارصة الأتراك . ويكون هناك مجلسان منفصلان ؛ الأول للأغلبية من القبارصة اليونانيين ، والثانى للأقلية من القبارصة الأتراك ، ويختص كل منهما بشئون طائفته . أما الوضع المقبل للجزيرة فلا يمكن دراسته إلا بعد إنقضاء فترة السبع سنوات .

ولقد رفض القبارصة اليونانيون هذا المشروع ؛ كما أن رئيس الأساقفة ، بعد إستشارته لعمد الجزيرة ، ولأعضاء المجلس ، رفضه كذلك .

وتدخل المستر سباك ، السكرتير العام لحلف شمال الأطلسى ؛ ولكن هذا التدخل لم يؤد إلى أية نتيجة . أما اليونان ، فإنها رفضت ، وبناء على إصرار رئيس الأساقفة مكاريوس ، أن تشترك في المؤتمر الذى إقترحوه من أجل مناقشة المشروع الإنجليزى والتعديلات التى إقتراح المستر سباك إدخالها عليه . وفضلت أن تطلب ، من جديد ، عرض المشكلة على الأمم المتحدة .

#### ٢ - إتفاقيات زيوريخ ولندن ( فبراير ١٩٥٩ ) :

أدى إلتجاء اليونان إلى الأمم المتحدة إلى صدور قرار ، من الجمعية

العمومية ، بالرغبة في رؤية « الأطراف المعنية تستمر في بذل جهودها ، من أجل الوصول إلى حل سلمي ، وديمقراطي ، وعادل ، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة ، .  
ومع ذلك ، فإن الحالة ظلت في قبرص في منتهى الخطورة ، وبشكل جعل كل البناء الدفاعي لحلف شمال الأطلسي مهدداً بالخطر ، بسبب سوء العلاقات بين اليونان ، وبين تركيا . وفي ذلك الوقت ، قررت الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة العمل على التقارب بين اليونان وتركيا . وتحت ضغط منها ، وبنية البحث عن حل لمشكلة قبرص ، قام المندوبون اليونانيون ، والمندوبون الأتراك ، في شهر ديسمبر ١٩٥٨ ، بأول إتصالات دبلوماسية . وبعد تبادل وجهات النظر الأولية ، على أساس إستقلال جزيرة قبرص ، وإستبعاد أمر إتحادها مع اليونان ، وكذلك أمر تقسيمها بين اليونانيين والأتراك ، إتفق وزيراً خارجية اليونان وتركيا على إستمرار محادثاتها في أثينا ، وفي أنقرة .

وفي يوم ٥ فبراير ١٩٥٩ ، وبعد إتصالات دبلوماسية عديدة ، تقابل رئيسا الوزراء ، التركي واليوناني ، ومعهم وزيراً الخارجية ، في زيوريخ ، من أجل تسوية تفاصيل حل المشكلة . وبعد جلسات طويلة وصعبة ، إستمرت مدة ستة أيام ، إتفقوا أخيراً ، يوم ١١ فبراير ، ووقعوا على الوثائق التي تنشئ البليسان الاساسي لجمهورية قبرص ، وتقسم وظائف الادارية والحكومية بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين في الجزيرة .

ولقد إتفقوا في نفس الوقت على أن تحتفظ بريطانيا العظمى ، بالقواعد العسكرية في قبرص ، ووقعوا على مشروعات المعاهدات للضمانات ، وعلى معاهدة تحالف بين بلادهم وجمهورية قبرص المقبلة . وفي نفس اليوم ذنب أفيروف وزورلو ، وزيراً خارجية اليونان وتركيا ، بالطائرة إلى لندن ، لعرض الاتفاق على الحكومة البريطانية .

ولقد أعلن أفبروف ، عند وصوله إلى العاصمة البريطانية ، أن الاتفاق الذي عقدت يسوى الخلافات بين حكومتى أثينا وأنقرة بشكل نهائى . ولقد كان إتفاهاً يقوم على أساس التوافق ، والحل الوسط ، وصلوا إليه رغم الصعوبات الضخمة . وجدت الحكومة البريطانية نفسها أمام الأمر الواقع ، بهذا الاتفاق اليونانى التركى ، فلم تكتف ، لكن من التراجع ، واضطرت إلى الموافقة عليه ، بعد إبداء بعض التحفظات بشأن القواعد البريطانية ، والتسهيلات فى أمور المواصلات مع داخل الجزيرة ، وإستخدام مطار نيقوسيا ومطار فاجوستا .

وفى ١٥ فبراير ١٩٥٩ ، قدم رئيس وزراء المملكة المتحدة دعوة ، إلى زميليه ، اليونانى والقبرصى ، للحضور إلى لندن ، للمشاركة فى المؤتمر الذى سيقدر التسوية النهائية لمشكلة قبرص . ومن جانبها ، قامت اليونان وتركيا ، بدعوة رئيس الأساقفة ، مكاريوس ، وكذلك كوجوك ، ومستشاريهما ، لى يوقعوا على الاتفاق باسم طوائفهما . وفى يوم ١٩ فبراير ١٩٥٩ تم التوقيع على الوثائق الخاصة ب الميلاد الدولة الجديدة فى لانكستر هاوس ، من جانب رؤساء وزراء بريطانيا وتركيا واليونان ، وقبلها رئيس الأساقفة مكاريوس ، إبطريك قبرص ، نيابة عن القبارصة اليونانيين ، وكوجك كممثل للقبارصة الاتراك .

وكانت الاتفاقيات التى تم التوقيع عليها تشتمل على :

**أولاً :** وثيقة أساسية بشأن جمهورية قبرص ؛

**ثانياً :** معاهدة ضمانات ، بين قبرص من ناحية واليونان ، والمملكة المتحدة ، وتركيا من ناحية أخرى ؛

**ثالثاً :** معاهدة تحالف بين قبرص ، واليونان ، وتركيا ؛

**رابعاً :** إعلان من جانب الحكومة البريطانية ، بشأن القواعد العسكرية



وضمنان سلامتها ، من جانب اليونان ، وتركيا ، وجمهورية قبرص ؛

**خامسا :** تشكيل ثلاث لجان تكلف باعداد :

أ — دستور الجمهورية .

ب — شروط نقل السلطات .

ج — الاحتفاظ بالسيادة البريطانية على القاعدتين العسكريتين البريطانيتين

في قبرص .

ولقد نصت هذه التسوية على أنه لا يجوز ، بأى حال من الأحوال ، أن تؤيد  
الفترة الانتقالية ، الخاصة بنقل السلطات ، بما في ذلك وضع الدستور وتطبيقه ،  
على إثنتى عشر شهراً ، ابتداء من يوم ١٩ فبراير ١٩٥٩ .

**٣ - الجمهورية :**

حين وصلت أنباء التوقيع على الاتفاقيات إلى قبرص ، ساد الفرح ، وزينت  
المدن والقرى بالزهور وبالأعلام . وإحتفل الشعب ، في فرحته ، بالأفراج عن  
٢٠٠٠ معتقل ، كانوا محتجزين في معسكرات الاعتقال ، وخروجهم ؛ ولقد  
ساروا في موكب شعبي حتى كاتدرائية نيقوسيا . وفي يوم أول مارس ١٩٥٩ ،  
قام أكثر من مائتى ألف شخص ، بجموعهم في نيقوسيا ، باستقبال مكاريوس ،  
رئيس الأساقفة ، بكل حماس ، حين عودته إلى جزيرة قبرص ، بعد نفى إستمر  
لمدة ثلاث سنوات .

ومع ذلك ، فإن الفترة الانتقالية لم تكن أقل صعوبة من عملية ميلاد جمهورية  
قبرص . فلقد تبع لإتفاقات لندن مفاوضات طويلة بشأن إمتداد إتساع القواعد  
العسكرية البريطانية ، على الساحل الجنوبي للجزيرة . وحتى يوم ١٩ فبراير ١٩٦٠ ،

وهو اليوم المحدد لإعلان الجمهورية ، لم يكن هناك أى شىء تمت تسويته سوى  
إنتخاب رئيس الأساقفة مكاريوس رئيساً للجمهورية ، وكوچك نائباً للرئيس .  
ولقد إستمرت المفاوضات بين الرئيس المنتخب وبين الإنجليز حتى شهر مايو ،  
وهو الوقت الذى تمت فيه أخيراً الموافقة على الدستور ، وتمت فيه تسوية مسألة  
إمتداد إتساع القواعد العسكرية البريطانية .

#### ٤ - دستور جمهورية قبرص :

تشتمل النصوص الأساسية لدستور جمهورية قبرص فيما يلى : -  
**أولاً :** دولة قبرص جمهورية ، ذات نظام رئاسى ، يكون رئيسها يونانياً ،  
ونائب الرئيس تركيا ؛ يتم إنتخاب كل منهما على التوالى بواسطة الطائفتين  
اليونانية والتركية فى الجزيرة ؛ بنظام الإنتخاب العام ، ولفترة خمس سنوات .  
**ثانياً :** يشرف على السلطة التنفيذية الرئيس ، ونائب الرئيس ، وهما وهما مجلس  
وزراء ، يتكون من سبع وزراء يونانيين ، وثلاث وزراء أتراك .  
**ثالثاً :** اللغات الرسمية هى اللغة اليونانية واللغة التركية .

**رابعاً :** يمارس السلطة التشريعية مجلس النواب ، يتكون من خمسين نائباً منهم  
خمسة وثلاثون من اليونانيين ؛ وخمسة عشر من الأتراك .

**خامساً :** يكون للرئيس ولنائب الرئيس ، بشكل منفصل ، وسوياً ، حق الاعتراض  
النهائى على كل قانون أو قرار يتعلق بالشئون الخارجية ، إلا ، وفيما يتعلق بمشاركة  
جمهورية قبرص فى المنظمات الدولية ، ومواثيق التحالف ، التى تكون اليونان  
وتركيا كلاهما أعضاء فيها ، وبشئون الدفاع والأمن .

**سادساً :** يكون لكل طائفة مجلسها الطائفى ، يتكون عدد من الممثلين تقوم  
هى نفسها بتحديدده . ويكون من حق المجالس الطائفية فرض الضرائب والرسوم

الشخصية على أعضاء طائفتها ، وتكون مختصة في كل المسائل الدينية ، وسائل التربية ، والثقافة والتعليم ، وكذلك في الأحوال الشخصية .

سابعاً : تتكون الإدارة من ٧٠٪ من اليونانيين ، و ٣٠٪ من الأتراك .

ثامناً : سيكون للجيش ٢٠٠ رجل ، يكون ٦٠٪ منهم يتحدثون اليونانية ، و ٤٠٪ يتحدثون التركية .

ثاسعاً : يتم إنشاء بلديات منفصلة في الخمس مدن الكبرى ، بواسطة السكان اليونانيين ، وبواسطة السكان الأتراك في هذه المدن .

عاشر : يتم عقد معاهدة ، تضمن الاستقلال ، وسلامة الأراضي ، والدستور ، بين جمهورية قبرص ، واليونان ، والمملكة المتحدة ، وتركيا . ويتم كذلك عقد معاهدة دفاع عسكري بين جمهورية قبرص . واليونان . وتركيا .

حادي عشر : أمور الاتحاد الكامل ، أو الجزئي ، لقبرص مع أية دولة ، أو الاستقلال الإنصالي ، ممنوعة .

ثاني عشر : تمنح جمهورية قبرص معاملة الدولة الأكثر وداء للمملكة المتحدة ، وليونان وتركيا ، ولكل الاتفاقات ، مهما كان نوعها .

ثالثاً عشر : تتكون المحكمة العليا من إثنين من اليونانيين ، وأحد الأتراك ، وأحد المحايدين .

رابع عشر : القوانين والقرارات التي يعتبرها الرئيس أو نائب الرئيس على أنها تميز إحدى الطائفتين على الطائفة الأخرى ، تعرض على محكمة عليا دستورية ، يمكنها أن تنقض ، أو تصدق أو تعيد مثل هذا القانون أو هذه القرارات إلى مجلس النواب .

خامس عشر : في حالة عمل إصلاح زراعي ، لا يترك توزيع الأراضي إلا على أشخاص من نفس الطائفة التي يكون منها الشخص الذي نزع ملكيته .

- ١٨٣ -

وبعد إنتخاب أعضاء مجلس النواب ، فى شهر يوليو ، تحدد موعد إعلان  
الجمهورية بيوم ١٦ أغسطس ١٩٦٠ . وإنتهى الحكم البريطانى على جزيرة قبرص  
عند منتصف ليل ١٥ أغسطس . وبعد بضع دقائق استلم رئيس الاساقفة ،  
مكارىوس ، رسمياً ؛ وأمام ممثلى الشعب ، سلطاته كأول رئيس للجمهورية . ودخلت  
قبرص فى شهر سبتمبر عضواً فى الأمم المتحدة ، ثم إنضمت فى شهر مارس ١٩٦١  
إلى مجموعة الكومنولث البريطانى .

## بعض المصادر لزيادة الاطلاع

---

ALASTNS; D.; Cyprus in History.

London, 1955.

BEUGNOT, Comte; Les Assises de la Cour des Bourgeois.

Paris. 1843.

CASSON, Stanley; Ancient Cyprus.

London, 1937.

COBHAM, Cl. D.; Excerpta Cypria.

Cambridge, 1908.

DESCHAMPS, E.; Au pays d'Aphrodite.

Paris, 1898

DENDIAS, M; La Question Chypriote.

Paris 1934.

DURRELL, L.; Citrons Acides.

Paris, 1961.

ENLART, C.; l'Art Gothique et la Renaissance en Chypre.

Paris, 1899.

GIERSTAD, E.; Studies in Prehistoric Cyprus.

Uppala; 1926.

GAVIERE, Jurien de La; La Guerre de Chypre.

Paris. 1888.

GROUSSET, R.; L'Empire du Levant,

Paris, 1949.

188 -

HACKETT, J.; A history of the Orthodox Church of Cyprus.  
London, 1901.

HILL, Sir Georges; A History of Cypsus. ( 4 Vols ).  
London. 1940-1948.

IORGA, N.; France et Chypre.  
Paris. 1931.

LEE, D. E.; Great Britain and the Cyprus Convention of 1878.  
Cambridge, 1934.

LUKE, H. C.; Cyprus under the Turks.  
Oxford, 1920.

MAS — LATRIE, L. de; Histoire de l'île de Chypre.  
( Vol. 1-III ).  
Paris, 1855.

NICOLSON, H.; Peace Making 1919.  
London, 1923.

ORR, C. W.; Cyprus under British Rule.  
London, 1918.

POLITIS, J.; Chypre.  
Paris 1959.

PERROT et CHIPIEZ; Phenicie et Chypre.  
( Histoire de l'Art dans l'Antiquité. ).

RICHTER, O.; Kypros, the Bible and Homer.  
London, 1893.

SCHAEFFER, C.; Mission en Chypre.  
Paris, 1936.

— 186 —

TOYNBEE, A.; The Western Question in Greece and Turkey.  
1923.

VELLAY, Ch.; L'irrégentisme Hellénique.  
Paris, 1913.

La Documentation Française; La République de Chypre.  
(Notes et études documentaires, 28 Juillet 1961;  
No. 2860, Secrétariat général du Gouvernement,  
Paris.





# القسم الثاني

## مشكلة قبرص المعاصرة

دكتور  
محمد نصر مهنا



# الباب الخامس

## المشكلة

وتأثير الانقلابات العسكرية



## الفصل الثالث عشر

### معاهدة الضمان وتأثيرها على الأوضاع في قبرص

رأينا كيف اضطرت بريطانيا ، بعد تطور الأوضاع في الجزيرة إلى منحها (١) الاستقلال وذلك في عام ١٩٥٩ بالاشتراك مع اليونان وتركيا ، طبقا لمعاهدة زيوريخ عام ١٩٥٩ (٢) ولندن عام ١٩٦٠ .

وفي ١٧ فبراير ١٩٥٩ كان قد عقد مؤتمر آخر بين رؤساء وزارات بريطانيا واليونان وتركيا والرئيس مكاريوس ممثل قبرص وقتئذ وتمت الموافقة على النقاط التالية :

- ١ - اعتبار مؤتمر زيوريخ قاعدة أساسية لتسوية المشكلة القبرصية .
  - ٢ - عقد معاهدة تضامن بين بريطانيا وتركيا واليونان وجمهورية قبرص .
  - ٣ - عقد تحالف بين اليونان وتركيا وقبرص .
  - ٤ - السماح لبريطانيا بامتلاك قواعد عسكرية في منطقتين من الجزيرة .
- ١ - معاهدة ائضمان سنة ١٩٦٠ : -

في ١٦ أغسطس ١٩٦٠ تم التوقيع على معاهدة الضمان في نيقوسيا بين جمهورية

---

(١) حمدي حافظ ، المشكلات الدائمة المعاصرة ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة

والنشر ، ١٩٦٦ ص ٤٣٨ - ٤٥٥ .

(2) Crawshaw, Nancy, "The Republic of Cyprus from the Zurich Agreement to Independent", in : the World Today, Vol. 16, No. 12 December 1960, p. 531. -

قبرص من جهة وبريطانيا واليونان وتركيا من جهة أخرى ، ووفقا لهذه المعاهدة ضمنت هذه الدول إستقلال قبرص وسلامتها ، وأهم ما جاء فيها :

**أولا :** تتولى جمهورية قبرص صيانة إستقلالها ووجودتها الإقليمية وأمنها وكذلك احترامها لدستورها . وتعهد بعدم اشتراكها كليا أو جزئيا في أى اتحاد سياسى أو اقتصادى مع أى دولة كانت ، ووفقا لذلك فإنها تعلن منع أى نشاط من شأنه أن يشجع بصورة أو بأخرى الاتحاد مع أى دولة أخرى أو تقسيم الجزيرة .

**ثانيا .** تعهد اليونان وتركيا وبريطانيا بضمان إستقلال الجمهورية القبرصية الذى قرره المصادرة الأولى من المعاهدة الحالية وتضمنت الاستقلال والسلامة الإقليمية وأمن الجمهورية القبرصية والذى قرره المواد الأساسية فى الدستور . وتعهد هذه بمنع أى نشاط مباشر أو غير مباشر يهدف إلى إتحاد قبرص مع أى دولة أخرى أو تقسيم الجزيرة .

**ثالثا .** تعهد الجمهورية القبرصية واليونان وتركيا على إحترام المناطق الواقعة تحت السيادة البريطانية منذ تأسيس الجمهورية القبرصية وضمان إستخدام وتمتع بريطانيا بجميع حقوقها فى الجزيرة .

**رابعا :** فى حالة خرق نصوص هذه المعاهدة تعهد اليونان وتركيا والمملكة المتحدة بالتشاور معها لضمان مراعاة هذه النصوص .

**خامسا :** تصبح المعاهدة سارية المفعول من تاريخ التوقيع عليها .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد وقعت فى نفس الفترة معاهدة التحالف (١) بين

---

(1) The Turkish Year Book of International Relations  
1963, pp. 298-302.

اليونان وتركيا وجمهورية قبرص في نيقوسيا في ١٦ أغسطس ١٩٦٠ وكانت أهم نقاطها ما يلي :

١ — تتعهد الاطراف المتعاقدة بالتعاون للدفاع المشترك والتشاور معا للمشاكل التي يتطلبها هذا الدفاع .

٢ — تتعهد الاطراف المتعاقدة بمقاومة أى هجوم أو عدوان مباشر أو غير مباشر لاستقلال أو الوحدة الإقليمية للجمهورية القبرصية .

٣ — تنشأ قيادة عليا ثلاثية في الجمهورية القبرصية لتحقيق الاهداف من هذا التحالف .

٤ — يتولى القيادة العليا الثلاثية بالتناوب لمدة عام واحد : ضابط يوناني وتركي وقبرصي .

٥ — تصبح هذه المعاهدة سارية المفعول من تاريخ التوقيع عليها .

وقد اعتبرت تركيا أن هذه المعاهدات هي الأساس الملأئم والسليم لتنظيم العلاقة بين الطائفتين التركيه واليونانية ، كما إعتبرت تركيا أن معاهدة الحماية الموقعه وفقا لها تين الاتفاقتين تمثل ضمانا لها من جانبها في مواجهة أى عدوان من جانب القبارصة اليونانيين أو اليونان نفسها . غير إن تركيا في الفترة التالية للمراجع أخذت تنادى بتقسيم الجزيرة ، أما اليونان فكانت تهدف إلى ضم الجزيرة لها في حين إن الجمهورية القبرصية أرادت أن تبقى مستقلة .

٢ - تأثير معاهدة الضمان على أوضاع قبرص :

ولقد رحبت الحكومة اليونانية بالاتفاقية لما لها من أثر في تخفيف حدة النزاع الذي إستمر سنوات طويلة خاصة وأن الأسقف س مكاريو وافق عليها ؛

ونصت هذه المعاهدة والتي صدنت عليها كل من بريطانيا واليونان وتركيا -  
على ضمان إستقلال الجزيرة بشرط ضمان وجود قاعدتين إمبراطوريتين لبريطانيا في  
قبرص؛ ويرى أندرياس بابا نديرو في كتابه (١) Democracy at the Gunpoint  
- بأنه على الرغم من أن بريطانيا كانت واثقة من أنها ستجلب يوماً ما من جزيرة  
قبرص إلا أنها كانت تحرص على الإبقاء على قاعدة عسكرية في الجزيرة لمواصلة  
التواجد العسكري السوفيتي (٢) ولحماية مصالحها في الشرق الأوسط ؛ وفي نفس  
الوقت كانت بريطانيا تحرص على عدم قيام وحدة بين اليونان وقبرص لأن هذه  
او وحدة ستقلب ميزان القوى في منطقة البحر المتوسط .

ونصت المعاهدة على الاعتراف بوجود جماعتين هما الجماعة اليونانية التي تضم  
القبارصة من أصل يوناني ولهم لغتهم اليونانية ولهم حق ممارسة شعائر الديانة  
الأرثوذكسية ؛ والجماعة التركية التي تضم القبارصة من أصل تركي ولهم لغتهم  
التركية وتقاليدهم المنبثقة من الإسلام ؛ وأن يختار رئيس الجمهورية من بين الجالية  
اليونانية ؛ أما نائب رئيس الجمهورية فيكون من بين الجالية التركية ؛ وتكون العلاقة  
بين الرئيس ونائبة ، لسيت مثل النظام الرئاسي المتبع في ولايات المتحدة  
الأمريكية حيث يتولى نائب الرئيس السلطة في حالة وفاة الرئيس أو عدم قدرته ؛  
ولنما نص الدستور القبرصي على أنه في حالة وفاة الرئيس أو عجزه فإن مهامه  
يتولاها الرئيس ونائب الرئيس في المجلس النيابي المنتخب المادة ٣٦ من الدستور

---

(1) Papandreou, Andreas : Democracy at Gunpoint "The  
Greal Front" Penguin Books with Andre Deutsch, 1973  
pp. 130—140.

(٢) راجع : دكتور اسحاق صبري مقلد ، الوجود السوفيتي في البحر المتوسط ؛

في : السياسة الدولية ، القاهرة العدد ٤٨ ، أبريل ١٩٧٧ س س ٦ - ٢٥



القبرصي) ؛ وهو ما يوضح طبيعة نظام الحكم في قبرص من أن اختيار رئيس الجمهورية يتم مستقلاً عن نائب الرئيس، فأرئيس ينتخب بواسطة القبارصة اليونانيين ونائب الرئيس ينتخب بواسطة القبارصة الاتراك وسلطات كل منهما تتم بالتعاون والتنسيق حيث يقوم الرئيس بانتخاب سبعة من الوزراء ؛ ويقوم نائب الرئيس بانتخاب ثلاثة من الوزراء (المادتين ٤٨، ٤٩ من الدستور القبرصي) ؛ ويكون لكل من الرئيس ونائبيه سلطة الاعتراض على القرارات التي يتخذها مجلس الوزراء فيما يخص الشؤون الخارجية والدفاع والأمن (المادة ٥٠ من الدستور القبرصي) .

أما المجلس النيابي فيتكون من ٥٠ عضواً ينتخب القبارصة اليونانيون ٧٠٪ منه وينتخب القبارصة الاتراك ٣٠٪ منه ؛ ويتولى رئاسة هذا المجلس أحد القبارصة اليونانيين ؛ ويكون نائبه من القبارصة الاتراك ؛ وقد تعهد الاطراف الثلاثة (اليونان وتركيا وبريطانيا) بتنفيذ دستور سنة ١٩٦٠ وأن أى تعديل فيه يجب أن يتم بناء على موافقة جميع الأطراف المعنية ؛ وقد نصت معاهدة الضمان التي وقعتها كل من بريطانيا واليونان وتركيا عام ١٩٦٠ على أن هذه الدول الثلاثة تضمن سلامة وإستقلال الجزيرة وسلامة أراضيها وبالتالي يكون من حقها أن تتخذ لإجراء يتم تنسيقه بينها أو تقوم به إحدى هذه الدول عقب مشاورات مسبقة بين الدول الضامنة لاستعادة الوضع الراهن في دستور الجمهورية القبرصية ؛ ورغم هذا الإستقلال فإن التوتر والصراع بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الاتراك قد استمر .

وعموماً فإن هنان ملامح رئيسية للراحل التي مرت بها المشكلة القبرصية منذ ظهورها على مسرح السياسة الدولية ؛ سواء قبل إستقلال الجزيرة أو في الفترة اللاحقة للإستقلال مباشرة .

ويمكن إبراز هذه الملامح -- وخاصة اتجاه وجهتي النظر المختلفتين بين اليونانيين القبارصة والاتراك القبارصة ؛ وعلى صعيد الصراع الطائفي ؛ وفي ردود

الفعل المختلفة عن الدستور والاطالبة بتعديله - يمكن إبراز ذلك في التفسيرات الآتية :

أن هذه الفترة قد اتسمت بأن السبب الأساس في الصراع الطائفي إنما هو العرض الذي كان قد تقدم به منذ أكثر من عشر سنوات (١)، مضت - الملك بول -- ملك اليونان إلى الحاكم البريطاني من أجل إقامة اتحاد مع قبرص . وعلى الرغم من رفض بريطانيا لهذا الاقتراح ؛ إلا أن مكاريوس أعلن وقتئذ -- أى في عام ١٩٥٠ -- أن ٩٥٦ في المائة من القبارصة يفضلون الاتحاد مع اليونان ، ثم تكونت المنظمات السرية ؛ وعلى رأسها منظمة « إيوكا » للكفاح من أجل الانضمام إلى اليونان -- union with Greece مما دفع الأتراك القبارصة إلى إعلان معارضتهم لهذا الاتحاد أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فضلا عن مطالبتهم بتقسيم الجزيرة التي يشككون ١٨ في المائة من سكانها ؛ بينهم وبين اليونانيين القبارصة ؛ أى أن رفع شعار الاتحاد مع اليونان ؛ كانت له آثار تراكمية على المشكلة الطائفية . وتشدد الأتراك القبارصة في ضرورة وجود نوع من الاستقلال الذاتي لهم ؛ وجاءت إتفاقية زيورخ ولندن الموقعة من فبراير ١٩٥٩ لتنظما العلاقة بين الجانبين داخل قبرص ؛ بالإضافة إلى تنظيم علاقة قبرص بكل من بريطانيا وتركيا واليونان إذ بمقتضاها تم إعلان إستقلال قبرص في أغسطس ١٩٦٠ .

وعلى الرغم من أن إتفاقية زيورخ ولندن كانتا الأساس في إعلان إستقلال قبرص وتنظيم العلاقة بين الجانبين اليوناني والتركي داخل قبرص ، وكذلك علاقتها في مواجهة الدول الثلاث المعنية بها ؛ إلا أنها كانت السبب الأساس في تفجير الحوادث الدامية بين الطائفتين ، وتوتر العلاقات بين كل من تركيا من

---

(١) كان ذلك على وجه التحديد في ٢٧ يوليو ١٩٤٧ .

جانب ؛ واليونان وقبرص من جانب آخر ؛ منذ عام (١) ١٩٦٣ .

### ٣ - وجهة نظر اليونانيين القبارصة -

١ - ترى وجهة نظر اليونانيين القبارصة أن هاتين الاتفاقيتين قد أجحفتا بحقوقهم لصالح الاتراك القبارصة فبينما تبلغ نسبة هؤلاء ١٨ في المائة من السكان ؛ إلا أنهم حصلوا على نسبة تختلف كثيرا عن حجمهم ؛ إلا وهي ٣٠ في المائة في الخدمات المدنية ، وعلى نفس النسبة في المقاعد البرلمانية ، بلا دافعة إلى ٤٠ من المائة في الجيش والشرطة ؛ وتعيين نائب رئيس للجمهورية من الاتراك مع تمتعه بحق الادتراس مثل رئيس الجمهورية ؛ على أى قانون أو إقرار يتعلق بالشئون الخارجية أو الدفاع أو الأمن .

ب : يرى القبارصة اليونانيون أيضا أن هذه الاتفاقيات قد فرضت عليهم وأنهم لم يشتركوا في وضعها ، وبالتالي يمتد انتقادهم إلى الدستور الذى وضع طبقا لهما وخاصة فيما يتعلق بمعاهدة الحماية الموقعة بين قبرص وكل من بريطانيا واليونان وتركيا .

وقد تبر الرئيس مكاريوس عن هذا المبنى في التصريحات التى أدلى بها في يوليو ١٩٦٣ فأوضح أن جمهورية قبرص نشأت من اتفاقيتي زيورخ ولندن ، ولم تكن مستقبليها يجب أن يحدد طينا لإرادة شعبها ؛ وبالإلى يجب أن يعدل الدستور بحيث تلقى المواد التى لا يمكن تنفيذها ؛ وبالفعل تقدم في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٣ - ثلاثة عشر إقتراحا إلى نائب رئيس الجمهورية القبرصى لتعديل بعض مواد الدستور .

(٢) راجع في تفصيل ذلك "The Cyprus Problem" Nicos Karanidiotis

C.M. Michalas S.A. Press 1975, Athens.

#### ٤ - وجهة نظر الاثراك القبارصة :

١ - اتصرفت وجهة نظر الاثراك القبارصة إلى أن هاتين الاتفاقيتين تمثلان الأساس الملائم والسليم لتنظيم العلاقة بين الطرفين ، كما أن هذا تقدمان أسس أية تسوية مستقبلة لمشكلة قبرص .

ب - أن اتفاقية زيورخ قد نصت صراحة على إستبعاد الاتحاد السكلى والجزئى لقبرص مع أية دولة أخرى ، أو انقسامها إلى دولتين . وبالتالي يرى القبارصة الاثراك ، أن من حقهم المطالبة بالانفصال والاستقلال الذاتى ، فى مواجهة رفع القبارصة اليونانيين لشعار الاتحاد مع اليونان .

ج : أن معاهدة الحماية الموقعة طبقا لهاتين الاتفاقيتين تمثل ضمانا لهم من جانب تركيا فى مواجهة أى عدوان من جانب القبارصة اليونانيين أو اليونان نفسها . ولتلافى هذا الاختلاف فى وجهات النظر ؛ وحسماً للاشتباكات التى نشبت بين الطائفتين ؛ فإن مجلس الأمن قد رأى أن تتضمن مقدمة قراره الصادر فى ٤ مارس ١٩٦٤ الإشارة إلى معاهدة الضمان الموقعة عام ١٩٦٠ ؛ بالإضافة إلى المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التى تقضى بامتناع الدول الأعضاء عن التهديد أو إستخدام القوة فى مواجهة دولة أخرى .

وقد نص هذا القرار على إرسال قوات دولية لحفظ السلام لفترة ثلاثة شهور ، بالإضافة إلى تعيين مبعوث دولى . وقد وقع الإختيار على السفير الفنلندى لدى السويد أولاً ، ثم دكتور ديمالو بلازا من أكوادور بعد ذلك ؛ والملاحظ أن هذه الفترة قد تميزت بالنشاط الدولى الواضح من أجل إيجاد حل لمشكلة قبرص عن طريق قوات المنظمة الدولية وليس عن طريق قوات تابعة لحلف شمال الأطلسى كما اقترحت الحكومة الأمريكية .

## الفصل الرابع عشر

### حلف شمال الاطلسطى ومشكلة قبرص

#### ١ - الولايات المتحدة وتركيا والمشكلة :-

لارتبطت قضية قبرص بأثنين من أعضاء حلف شمال الاطلسطى وهما تركيا واليونان ؛ غير أن هذا الحلف لم يتمكن من البت فى فض هذا النزح ، كما أن جهودات الأمم المتحدة قد فشلت هى الآخرى ، فى إيجاد حل لهذه المشكلة ؛ ولم يكن هناك أى تغيير فى وجهة نظر تركيا تجاه حلف الاطلسطى قبل انفجار الحوادث فى قبرص فى عام ١٩٦٣ ، كذلك فإن العلاقات التركية الأمريكية كانت قد تأثرت إلى حد ما بالتغير النسبى فى تركيا عام ١٩٦١ ، بعد صدور قانون الحريات من قبل المجلس الرئاسى التركى . الذى سمح للأفكار اليسارية بأبداء رأيها على الصعيدين الداخلى والخارجى .

أما من حيث العلاقة بين تركيا واليونان ، فقد كانت طبيعية (١) قبل انفجار الحوادث فى جزيرة قبرص . إلا أن هذه العلاقات لم تتم طويلا نتيجة لقرار الرئيس مكارىوس بتعديل دستور عام ١٩٦٠ . وعقب ذلك صرح عصمت إنيونر رئيس الوزارة التركية وقتئذ قائلاً : « إن هذا القرار يخالف مبادئ

---

(١) ويمكن قياس هذه العلاقات الودية بين تركيا واليونان من تصاريح المسؤولين وقتئذ ؛ وعلى سبيل المثال فقد أعلن الجنرال جودت صوناي رئيس الأركان العام فى مؤتمر حلف شمال الاطلسطى وقتئذ فى أينا فى مارس ١٩٦٣ بأن تركيا واليونان قرونا السعى معا على طريق الحرية . راجع فى تدمير ذلك The Turkish Yearbook of International Relations 1963, p. 312.

ويورينغ ولندن ، وإن تركيا سوف تأخذ على عاتقها حماية الإتراك في الجزيرة .  
وأضاف قائلاً : « إن تركيا لا تلجأ الى التدخل العسكري قبل المشاورة والمناقشة  
مع الدول الضامنة للاتفاقيات الدولية » .

كذلك فقد إقترح إنيونو إنشاء نظام فيدرالى لإدارة الجزيرة ، وأشار إلى  
إخفاق معاهدة لندن قائلاً : « إن هذه المعاهدة غير ملائمة في الوقت الحاضر لأنها  
وجدت قبل إشاعة السلام والأمن في الجزيرة ، وأن الحكومة التركية تؤيد شرعية  
المعاهدات الدولية التى أوجدت جمهورية قبرص وأن المعاهدات الدولية لا يمكن  
إبطالها من جانب واحد » .

أما رد فعل بريطانيا على ذلك فقد جاء فى صورة إرسالها فرقة عسكرية  
تعزيزاً لقواتها فى قبرص ، وصرح رئيس وزراء بريطانيا قائلاً : « إن تدخل  
بريطانيا فى المشكلة القبرصية هو لمنع انفجار الحرب بين تركيا واليونان ؛ وإن  
بريطانيا غير مستعدة لتحمل هذا العبء مدة طويلة » . وفى نفس الوقت أرسلت  
بريطانيا مذكرة إلى مجلس الأمن للاجتماع فوراً لبحث هذا الموقف ، وقد مخاطب  
يوانات كلا من اليونانى وتركيا وقبرص لمنع أى عمل من شأنه أن يؤدى الى  
نشوب الحرب ، وقال رئيس الوفد التركى فى لندن أن الرئيس مكاريوس تبنى  
وجهة نظر الجانب اليونانى فى قبرص ، وأنه فى حالة انسحاب القوات الضامنة  
لاستقلال الجزيرة ، فإن الشيوعيين هم الذين سيسيطرون على الموقف فيها ، مناصبة  
وأن ٣٧ ٪ من اليونانيين فما ينضون تحت لواء الحزب الشيوعى ، فأن قبرص  
مهده بان تكون كوبا ثانية (١) .

وبناء على طلب تركيا ، عقد مجلس حلف شمال الاطلسى إجتماعاً فى لاهاي

## - ٢٠١ -

في شهر مارس ١٩٦٤ ؛ وأعطى مجلس الحلف تعليماته الى سكرتير عام الحلف بأن يبذل مساعيه الحميدة للتخفيف من حدة الحرب بين اليونان وتركيا بشأن جزيرة قبرص ؛ وعقب زيارته لكل من اليونان وتركيا ، صرح سكرتير عام حلف شمال الاطلسنطى قائلا : « إن جميع الدول الاعضاء في حلف شمال الاطلسى ترى أنه يتعين على حكومتى اليونان وتركيا أن تويد وساطة الأمم المتحدة في قبرص ، وأن على الحكومتين أن تدركا بأن الخلاف القائم بينهما يضع الحلف في موقف خطير في منطقة حيوية له » .

وفي بيان مجلس الحلف ، أحالت الدول الاعضاء قضية قبرص إلى هيئة الأمم المتحدة ؛ وجاء في بيان الحلف مايلي : « إن دول حلف شمال الاطلسنطى ستكمل جهودها لحسم الخلاف بين الاطراف المتنازعة في الحلف ، وفقا للمادة الأولى من معاهدة الحلف ، وقرار مجلس وزراء الحلف في عام ١٩٥٦ في فض المنازعات بين الدول الاعضاء » (١) . وبما يجدر ذكره بهذا الخصوص أن نفس المادة الأولى من حلف شمال الاطلسنطى قد نصت على أن : « تتعهد أطراف المعاهدة بما ورد في ميثاق الأمم المتحدة بأن يعملوا على تسوية جميع المنازعات الدولية التي يكونون مشتركين فيها بطرق سلمية ، وبكيفية لا تؤدي الى تعزيز صفو السلم أو الأمن الدوليين ، ولا تنافض مبادئ العدالة ؛ وأن يمتنعوا في علاقاتهم الدولية عن التهديد أو إستعمال القوة بأية كيفية لا تتفق مع أغراض الأمم المتحدة » . وهكذا عمل حلف شمال الاطلسنطى في هذه الفترة على أن تكون جهوده في تسوية مشكلة قبرص متوافقة مع الجهود الرامية الى إحالة هذه المشكلة إلى الأمم المتحدة .

---

(١) احمد نوري النجمي ، السياسة الخارجية التركيبية بعد الحرب العالمية الثانية

دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٧٤ ، The Turkish Yearbook of International Relations 1964 p. 213.

وفي إطار التطورات السياسية لمشكلة قبرص أيضا وفتنئد على صعيد حلف شمال  
الاطلنطى - فقد ارسل الرئيس الأمريكى جونسون مبعوثه الشخصى إلى أنقرة  
فى فبراير ١٩٦٤ ؛ واتفق المبعوث الشخصى للرئيس الأمريكى مع الرئيس عصمت  
اينونو على أن تتم المشاورة وتبادل الآراء فيما بين الدولتين ( تركيا والولايات  
المتحدة ) ؛ وكرر المبعوث الأمريكى قرار حكومته بشأن حل القضية القبرصية .  
و صرح ويليام فولبرايت ، عضو الكونجرس الأمريكى ، والذي كلف من قبل  
الرئيس الأمريكى لتقصى الحقائق بين تركيا واليونان ، صرح قائلا : « أنه من  
المهم الذى لاشك فيه أن تنتهى أعمال العنف فى قبرص ، غير أن ذلك ليس جزءاً  
من برنامج مهمتى ؛ بل إن برنامجى ينصب على علاقة دول حلف شمال الاطلنطى  
بهذا الموضوع » . وبعد مقابلة بين فولبرايت ورئيس الوزراء البريطانى أذيع  
بأن وزارة الخارجية الأمريكية أخذت تؤيد وجهة نظر اليونان فى قضية قبرص  
ثم زار فولبرايت تركيا وقابل رئيس وزرائها ، وأكد له بأن الكونجرس  
الامريكى ينظر قلق إلى حلفاء وأصدقاء أمريكا ، الذين يهتمون بشؤونهم الخاصة  
ولا يراعون السلم فى العالم الغربى ؛ وأشار فولبرايت إلى أن الولايات المتحدة  
إقترحت ترحيل السكان الأتراك الموجودين فى جزيرة قبرص بهدف الحفاظ على  
السلم والأمن فى حوض البحر المتوسط . وقد أحدث هذا الطلب قلقاً بالغاً فى  
الأوساط التركية التى أجابت فولبرايت بأن الحل الذى تراه هو الفصل بين  
الجزء التركى والجزء اليونانى .

أما رد الفعل السوفيتى حول ذلك فقد جاء فى تصريح خروشوف ، رئيس  
وزراء الاتحاد السوفيتى وقتئذ ، بأن الدول الغربية هى التى وضعت قبرص فى  
حالة متأزمه ، لأن من مصلحة هذه الدول تحويل الجزيرة الى قاعدة ذرية .

وفى مارس ١٩٦٤ زار عصمت اينونو ، رئيس وزراء تركيا ، زار



— ٢٠٣ —

واشنطن ، واجتمع مع الرئيس جونسون ؛ وعقب الانتهاء من المحادثات صدر بلاغ مشترك جاء فيه : « يؤيد الطرفان تقوية الجهود المبذولة من قبل الأمم المتحدة لإعادة السلم والأمن في الجزيرة ، ويؤكدان إحترامهما لجميع الإنفاقيات القائمة ، ولنفس الغرض ، أرسل الرئيس جونسون مبعوثه الشخصي إلى اليونان ، وقدم دين أتشيسون (المبعوث الشخصي) عدة اقتراحات لحل المشكلة القبرصية ؛ وقد جاء في هذه الاقتراحات :

- ١ — إتحاد قبرص مع اليونان .
  - ٢ — أن تتمخلى اليونان عن جزر الدوديكانيز لتركيا التى تعتبر قريبة لسواحل الأناضول التركية .
  - ٣ — تعيين قاعدة عسكرية تركية في قبرص .
  - ٤ — تعويض القبارصة الأتراك الذين يغادرون الجزيرة أو يريدون البقاء فيها .
- غير أن الاشتباكات تجددت بين الطائفتين التركية واليونانية في الجزيرة ، في منتصف مارس ١٩٦٤ ؛ وعلى أثر ذلك اجتمع وزراء خارجية الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي في لاهاي ، وصرح دين راسك عقب الاجتماع قائلاً : « إن نشوب حرب بين اليونان وتركيا أمر مستبعد ، وإن حلف شمال الأطلسي لن يتدخل في موضوع قبرص ، وأن هذا الأمر متروك لهيئة الأمم المتحدة » وقد وافق وزير خارجية تركيا واليونان على أن يخض السكريتير العام لحلف شمال الأطلسي بالمسكلة القبرصية ، فيما يتعلق بالمسائل المتعلقة بدول الحلف المتصلة بالمسكلة . وفي أواخر مارس أصدر مجلس النواب القبرصي قراراً بدعوة الرجال للخدمة العسكرية في الحرس الوطني ، لإنشاء قوة مسلحة ؛ غير أن نائب الرئيس مكاريوس إعترض على هذا القرار بما دفعه مكاريوس إلى أن يعلن بأن الدستور لم

يعد قائماً وأن نائبه أيضاً لم يعد نائبا ، وعقب ذلك صرح رئيس وزراء تركيا قائلا : « إن دولتي ستجسّم الأتراك القبارصة إذ لم يتيسر الاحتفاظ بحقوقهم بالوسائل السلبية والاجراءات الدولية الجارية إتخاذها ، وإن قرار التجنيد المذكور يخالف لاتفاقات زيورينخ ولندن » . وعقب ذلك أصبحت القوات القبرصية في حالة استعداد قصوى لمواجهة الأسطول التركي ، الذي كان مرابطا في الاسكندرونة على بعد ١٣٠ ميلا من قبرص . ونتيجة لذلك فقد دعا الرئيس جونسون رئيس وزراء تركيا إلى واشنطن للتحديث معه ، كما دعا أيضاً رئيس وزراء اليونان للعرض نفسه . غير أن الرأي العام التركي لم يكن راضياً عن هذه الدعوة ، لأنهم اعتبروها مؤامرة من الولايات المتحدة لمنعهم من التدخل لحماية معاهدتي زيورينخ ولندن ، .

وفي نفس الوقت أبلغت الولايات المتحدة الأمريكية كلا من الحكومتين التركية واليونانية بأن الحكومة الأمريكية سوف تتخذ إجراءات معينة للحد من وقوع حرب بين دولتين من دول أعضاء حلف شمال الأطلسي ، وأعلنت بأنها سوف تضع الأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط لمحاصرة الجزيرة . وإزاء قرار تركيا بالتدخل في الجزيرة ، فإن الرئيس جونسون بعث برسالة الى عصمت اينونو رئيس وزراء تركيا في ٥ يونيو ١٩٦٤ ، وقد اعتبرت هذه الرسالة بمثابة وثيقة رسمية في العلاقات التركية الأمريكية ، ونقطة تحول بين الدولتين منذ الحرب العالمية الثانية . وجاء في رسالة جونسون — التي كشف النقاب عن جزء منها عام ١٩٦٦ (١) — جاء مايلي : « ومن جهة أخرى أيها الرئيس ، فنحن

---

(١) وبقيت هذه الرسالة سرية حتى عام ١٩٦٦ عندما انسحب قسم منها إلى الرأي العام عن طريق الصحافة التركية . واجمع في تفصيل ذلك :

مجبرون على أن تلفت أنظاركم إلى التزاماتكم في حلف شمال الاطلسي ، ويجب أن تدركوا جيداً بأن التدخل في قبرص سيؤدي الى وقوع حرب بين تركيا واليونان ... وإن وزير خارجيتنا ديت راسك قد أوضح في لإجتماع مجلس حلف شمال الاطلسي الأخير في لاهاي : بأنه يجب فهم عدم وقوع حرب بين تركيا واليونان بكل معنى الكلمة .. إن الإلتزام الى الحلف معناه عدم قبول فكرة الحرب بين الدول الأعضاء فيه ؛ وكما أن كلا من المانيا وفرنسا قد دفنتا بعضهما البعض دام قرنا من الزمن ، لالتزامهما بحلف شمال الاطلسي ؛ فيجب أن ينتظر نفس الشيء من تركيا واليونان ، وأعضاء جونسون قائلوا في رسالته إلى عصمت اينونو : « إن تدخلكم العسكري في جزيرة قبرص بدون موافقة الدول الأعضاء في حلف شمال الاطلسي قد ينتج عنه تدخل سوفيتي في المشكلة ؛ وبهذا الخصوص فإن الدول الأعضاء في الحلف سوف لاتدافع عن تركيا » .

وقد أجاب الرئيس اينونو على رسالة جونسون قائلًا : « جاء في قسم من رسالتكم بأنه نتيجة لتدخل السوفيت في قبرص فإن دول حلف شمال الاطلسي لاتدافع عن تركيا ؛ ولكن المبادئ الأساسية للحلف تتخالف مآذيتهم اليه ، لأنه في حالة وقوع عدوان على أية دولة من الدول الأعضاء من الحلف ؛ فإن الحلف سيكون مسؤولاً عن رد هذا العدوان » . وجاء في الرسالة أيضاً قول اينونو لجونسون : « .. ولنبداً من نهاية عام ١٩٦٣ ، فإن وجوب التدخل العسكري في

---

— Ulman, A.H., & Dekejian, 'Changing Patterns in Turkish Foreign Policy 1959 - 1967', in : ORBIS. XI No. 3, 1967, University of Pennsylvania, pp. 70-78.

راجع في تفصيل ذلك أحمد نوري النيمى ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ١٢٩ ، ١٨٢ .

قبرص مع هذه المناسبة يكون للمرة الرابعة ، ومن البداية فقد تشاورنا معكم في هذا الموضوع ، وعندما تجددت الاشتيكاكات في الجزيرة في ٢٥ يناير ١٩٦٣ أعلنناكم باقصالنا مع الدول الموقعة على المعاهدة المذكورة ، وكان جوابكم بأن الولايات المتحدة لم تكن طرفاً في هذه المشكلة ... وفي شهر فبراير عام ١٩٦٤ إحتجنا أياً ما قاسية ، وقد أخبرناكم بواسطة مبعوثكم الشخصى الذى كان يزور أنقرة ...

وفي مناسبة أخرى وصفت لينونو موقف الولايات المتحدة بأنها د غير رغبة في إتخاذ رأى إجراء يساعد على حل مشكلة قبرص ، وأن الموقف بين تركيا واليونان قد أصبح مظلماً . ويلاحظ أحد الباحثين أن الولايات المتحدة قد حرصت على إقامة حالة قريبة من التوازن في القوة العسكرية بين تركيا واليونان ، على الرغم من اختلاف حجم البلدين من حيث المساحة الجغرافية وعدد السكان ، ومن حيث مدى إتساع القطاع المواجه للاتحاد السوفيتى ودول شرق أوروبا ؛ فاليونان التى يبلغ عدد سكانها ٨.٩٠٠.٠٠٠ نسمة لديها قوة جوية ( كلها طائرات أمريكية ) تقدر بنحو ٣٣٥ طائرة حربية ، فى حين أن تركيا بكل مساحتها الشاسعة وعدد سكانها البالغ ٩.٠٠.٠٠٠ ر ٣٧ لديها قوة جوية تقدر بنحو ٢٨٨ طائرة ؛ وقررت الولايات المتحدة بيع كل من البلدين ٤٠ طائرة ، « فانتوم » عام ١٩٧٢ ؛ واليونان مثلاً لديها ١٣ مدمرة ، وتركيا لديها بالمقابل ١٤ مدمرة ، واليونان لديها ٧ سفن حراسة ساحلية وتركيا لديها بالمقابل ٨ سفن من هذا الطراز .

وبطبيعة الحال لم يكن من الممكن للولايات المتحدة أن تتحكم فى توازن قوى الاحتياط البشرى لدى الدولتين الذى بلغ نحو ٨٠٠ ألف فى تركيا مقابل ١٨٠ ألفا لدى اليونان ؛ إلا أنها أستطاعت أن تضمن إل حد كبير التوازن فى

كفية ونوعية التسليم ، وهو الأمر الأهم في عروب العصر المحدودة ، التي تسارع الدول الكبرى إلى إخمادها بسرعة حين تنشب بين الدول الصغرى ، خشية إهتزاز خريطة التوازن المرسومة لكل منطقة ؛ ومن ثم لإتاحة فرصته لاستثمار الاحتياجات البشرية على الوجه الأكمل وفقا لقوانين الحرب الكلاسيكية .

وفي تقييم رسالة جونسون إلى اينوزو يمكن القول أن الرأى العام التركي قد وضعه اينوزو في موقف حرج إزاء سياسته الداخلية ، وذلك عندما إهتمته الاحزاب السياسية بالجبن في الدفاع عن مصالح تركيا في قبرص ؛ كذلك فقد ظهر في الفترة اللاحقة خطأ تقدير تركيا لموقف الولايات المتحدة من قضية قبرص ، وذلك من خلال المناخ السياسى الذى ساد في عام ١٩٦٤ . فتركيا لم تأخذ بالاهتمام الكافى أمر تغيير الظروف عام ١٩٦٤ ، إذ ان الولايات المتحدة تمكنت بنجاح عام ١٩٥٩ من أن تمارس الضغط الاقتصادي على اليونان — نتيجة لضغطها إقتصاديا — لقبول معاهدات زيورخ ولندن ، وبموجبها إستقلت جزيرة قبرص ؛ وقد تمكنت اليونان في عام ١٩٦٤ من تطوير إقتصادها وتقليل اعتمادها على الولايات المتحدة بعد تقوية علاقاتها بدول السوق الأوروبية المشتركة ؛ كذلك فإن ظروف معاهدة عام ١٩٥٩ قد تغيرت كثيراً بسبب متطلبات الأمن الأمريكى ؛ ولأن قبرص أصبحت دولة مستقلة فقد أصبحت حكومتها لاتتبع دائها أوامر اليونان ؛ كذلك فإنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة تقسيم الجزيرة ، لأن ذلك يؤدي إلى نفس المصاعب ، مثلما هي الحالة في كوريا وفيتنام ، فضلا عن أن الولايات المتحدة ستعارض التدخل التركى المسلح في قبرص ، طالما أن ذلك يؤدي إلى إنبهار الجانب الجنوبى لحلف شمال الأطلسى .

وفي تقييم رسالة جونسون إلى اينوزو في عام ١٩٦٤ يمكن القول - بالإضافة إلى الاعتبارات السابقة — إن العلاقات التركية الأمريكية قد مرت بمبنى هابط ،

ووصلت إلى أدنى حد لها ؛ فقد كشفت الرسالة من أشياء كثيرة كانت خافية على  
الرأى العام التركى ، منها الإتفاقيات الثنائية ، التى وقعتها تركيا مع الولايات  
المتحدة والتى يبلغ عددها ٥٥ إتفاقية عقدت خلال حكم الرئيس مندريس ؛ وهذه  
الاتفاقيات الثنائية كان معظمها سرياً ، ولم يعلن للرأى العام التركى ؛ ووقع بعضها  
وفقاً للمادة الثالثة من حلف شمال الأطلسى ، أما البعض الآخر فقد وقع خارج  
الحلف ؛ وقد بدأ الرأى العام التركى مناقشة هذه الاتفاقيات فى الصحف ، وهو  
ما أدى إلى إنتشار العداء للوجود الأمريكى فى تركيا ، والمطالبة بإزالة القواعد  
العسكرية من الأراضى التركية ، وقيام المظاهرات الضخمة المعادية للولايات المتحدة ،  
حيث هاجم المتظاهرون قنصلية الولايات المتحدة ، ومكتب الإستعلامات  
الأمريكى فى ١٢ يناير ١٩٦٦ ، وقد أدى ذلك إلى أن تعدل الحكومة الأمريكية  
من هذه الاتفاقيات بما يرضى الرأى العام التركى ؛ ومن التعديلات الجوهرية لهذه  
الاتفاقيات عدم قيام الولايات المتحدة بأى عمل دون علم الحكومة التركية وأن  
تؤدى هذا الاتفاقيات إلى التعاون المشترك بين الطرفين على أساس المساواة فى  
الحقوق واحترام السيادة للدولتين .

وكان من نتائج ذلك أيضاً أن خفضت الولايات المتحدة عدد أشخاصها فى  
الأراضى التركية من ٢٧٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ ، وأحيلت المطارات العسكرية وأجهزة  
الرادار الأمريكية إلى القوات العسكرية التركية ، أما القواعد العسكرية الأخرى  
فوصفت لها مبادئ جديدة . وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن وسائل لإطلاق الأسلحة  
النووية فى الوحدات الأمريكية المربطة فى تركيا أصبحت تحت تصرف القوات  
المسلحة التركية ، باستثناء القاعدة الجوية فى أدنة ، حيث زودت هذه الأخيرة  
بطائرات أمريكية ذات مدى قصير ، ومجهزة برؤوس نووية ؛ وبموجب مخططات  
حلف شمال الأطلسى الدفاعية ، فإن هذه الطائرات لم توضع تحت قيادة الجيش

التركي ، وإنما وضعت تحت القيادة العليا للقوات المتحالفة في أوروبا مباشرة ٢١.

### ٢ - الولايات المتحدة واليونان والمشكلة :

حين جاءت حكومة بابا ندرينو عام ١٩٦٤ ؛ سارت تجاه مشكلة قبرص على النحو التالي :

أولاً . إخراج المشكلة من أيدي بريطانيا والولايات المتحدة لعدم إختصاصها ، ورفض تدخل حلف الاطلنطي في هذا النزاع ، ومن الجدير بالذكر أن من أهم العقبات التي واجهت مكاريوس وهند هي الضغوط التي تعرض لها من جانب حلف الاطلنطي والولايات المتحدة بصفة خاصة . فقد كانت قبرص — منذ إنشاء الحلف — بمثابة الشرارة التي هددت باندلاع الحرب بين أطرافه وتفويض أركانه ؛ فخلال الخمسينات كانت مشكلة قبرص سبباً في الخلاف الحاد الذي نشب بين اليونان وبريطانيا ؛ وكانت الأخيرة تلقى تأييد واشنطن التام . ومنذ الستينات ، كان النزاع حول الجزيرة هو السبب الرئيسي في توتر العلاقات بين اليونان وتركيا اللتين تشكلان الجناح الجنوبي الشرقي لحلف الاطلنطي .

وفي ظل مخطط الاستراتيجية الأمريكية في منطقة البحر المتوسط ، الذي يستلزم بالطبع تدعيم الحلف ، وليس إضعافه — كانت وجهة النظر الأمريكية تنصرف إلى ضرورة حل مشكلة قبرص بأية وسيلة ومنها :

(أ) تأييد حل بريطانيا وتركيا واليونان في العمل طبقاً لمعاهدته الحماية الموقعة في

(١) راجع في تفصيل ذلك :

دكتور محمود اسماعيل محمد ، استخدام الأسلحة النووية في العصر النووي ، في :

السياسة الدولية ، العدد ٢٤ ، أبريل ١٩٧١ ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام ص ص

لندن ، وهو ما رفضته قبرص بشدة وأعلن مندوبها أثناء مناقشة الازمة أمام مجلس الأمن في فبراير ١٩٦٤ ؛ فقد أوضح أن أية دولة لا تملك الحق في العمل العسكري داخل بلاده وأن حكومة ترفض أى قيد على وحدة وسيادة دولة قبرص ، كما هو مفروض طبقا للمعاهدة الحماية . وهكذا لم يكن قرار مجلس الأمن الذى صدر في ٤ مارس ١٩٦٤ متضمنا إرسال قوات دولية لحفظ السلام وتعيين مبعوث دولي — لم يكفل هذا القرار تحقيق السلام في قبرص ، بالرغم من الجهود الدولية التي لبنت بهذا الصدد ؛ نتيجة تضافر عدة عوامل في الجزيرة ؛ فقد أرسل الاستف مكاريريوس في الخامس من مارس ١٩٦٤ — أى بعد صدور قرار مجلس الأمن بيوم واحد — أرسل بياننا إلى الحكومة البريطانية ، أعلن فيه عدم إعتراؤه بخبط الهدنة الذى يفصل الأحياء التركية عن الأحياء القبرصية ، وقام أيضا في أبريل من نفس العام ؛ بإرسال خطابات إلى رؤساء حكومات كل من تركيا وبريطانيا ، يعلن بها نبذه لمعاهدة التحالف الموقعة بين الأطراف الثلاثة ؛ غير أن الحكومة البريطانية أوضحت للرئيس القبرصى أن هذه المعاهدة لا يمكن أن تلغى ، لأن المادة رقم ١٨١ من الدستور القبرصى تتضمن هذه المعاهدة ، وأن الدستور لا يزال سارى المفعول . وقد أثارت هذه التحركات

---

أن مشكلة قبرص في صميماتها لم تكن تتعلق فقط بتوازن القوى السياسية الداخلى بين جاليتين متنافستين ، بل أنها نبعت أساسا من سيات النظام السياسى المشترك القائم في الجزيرة منذ إستقلالها في منتصف أغسطس سنة ١٩٦٠ والذى فرضته هاتين بريطانيا وتركيا واليونان ؛ الدول الثلاث التى ضمننت إستقلال الجزيرة وتمهدت بحماية نظماها الدستوري بموجب إتفاقيتي لندن وزيورخ كما سيأتى تفصيل ذلك في موضع لاحق . من الدراسة ؛ غير أنه يمكن القول أن المشكلة القبرصية في تطوراتها ترجع أيضا الى محاولات الدول الأخرى ذات المصلحة في إستغلال ثغرات المجتمع القبرصى والفاذ من خلال تلك الثغرات من أجل السيطرة على الموقع الاستراتيجى للجزيرة — راجع :



من جانب الرئيس القبرصى ، بالإضافة إلى تصريحاته عن سير قبرص تجاه «إينوسيس» حفيظة الأتراك القبارصة ، وكذلك تركيا .

(ب) ضرورة إستجابة القبارصة اليونانيين لطالب القبارصة الأتراك — طبقة لوجهة النظر الأمريكية ، والتي عبر عنها حلف شمال الأطلسي — وذلك بالحصول على الحكم الذاتي في ظل دولة فيدرالية ؛ ولقد لقي هذا الاقتراح — هو الآخر — معارضة شديدة من جانب الأسقف مكاريوس ، الذي كان يرى أن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى خلق دولة داخل دولة ؛ بالإضافة إلى أن نسبة ١٨ في المائة التي يشكلها الأتراك لا تعد مسوغاً لإقامة حكومة فيدرالية ؛ وقد انعكس الاهتمام الأمريكي في إرسال المبعوثين الشخصيين إلى العواصم الثلاث المعنية، وفي الاقتراح الأمريكي المقدم - لال أزمة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ الخاص بإرسال قوات أمريكية وأخرى تابعة لحفظ السلام في الجزيرة وقد أعلنت قبرص رفضها لهذا المشروع ، على الرغم من موافقة كل من تركيا واليونان عليه ، وتأييده من جانب بريطانيا ؛ ويضاف إلى ماسبق ، تلويح الحكومة الأمريكية باتخاذ إجراءات معينة لمنع نشوب الحرب بين الدولتين الأم ، ويعنى بذلك قطع المونة العسكرية وإستخدام الأسطول السادس كأداة للضغط .

ثالثاً : سارت - حكومة بابا نديرو بعد عا ١٩٦٤ على أن يكون الهدف النهائي هو وحدة قبرص مع اليونان مع عدم إنتهاك حقوق الأقلية التركية في الجزيرة ؛ غير أن الحكومة الأمريكية قد مارست ضغطها على حكومة بابانديرو في أثينا ، وكذا على الحكومة التركية بهدف التوصل إلى تسوية مشتركة تتم في ظل حلف شمال الأطلسي ، وأن حل المشكلة - في رأى خبراء الحلف - يكمن في تقسيم الجزيرة بين اليونان وتركيا . غير أن الرئيس القبرصى مكاريوس قد أصر على مخالفة هذه الآراء برمتها ، بالإضافة إلى عدم منح القبارصة الأتراك

حكماً ذاتانياً ؛ كما عارض بشدة معاهدة الحماية (١).

ثم : رأيت حكومة بابانديرو تقديم المعونة والمساعدة العسكرية لقبرص في حالة أى هجوم عليها من الأتراك .

غير أن مدة الاقتراحات لم تلق قبولا لدى الملك والعسكريين اليونانيين ، مما أدى إلى حدوث الصدام بين جورج بابانديرو والملك ، وخاصة بسبب فضيحة Aspida وهى التفتيش السرى اليسارى الذى كونه ابن رئيس الوزراء ، والذي كان يهدف إلى قلب نظام الحكم لصالح اليسار ، مع مساندة الرئيس التبرصى مكاريوس فى صراعه الدائر مع الحرس الوطنى ، الذى كان يطالب بالوحدة العاجلة .

ولقد امتدت ظاهرة الخلافات السياسية بين الملك والعسكريين اليونانيين ، وشهدت هذه الفترة أيضا قيام إنقلاب عسكري فى اليونان ، والذي كان لقاداته من مشكلة قبرص ؛ هذا المرقف جاء مغايراً تماماً لما يتوقع الجميع .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

- Dimitri, S. Bitsios "Cyprus - The Vulnerable Republic Institute for Balkan Studies - Thessalonik, 1975. pp. 30 — 40.
- Nicos Karanidiotis "The Cyprus Problem", op. cit. pp. 9 - 12.

(٢) راجع :

- Panandreu, Andreas : Democracy At Gunpoint "The Greal Front" Penguin Books with Andre Deutsch, 1973 pp. 28-42.

— دكتور حمدان العطية ، « حول الأزمة القبرصية » فى : قضا عربية ، العددان

١١ ، ١٢ ، بيروت ١٩٧٦ .

## الفصل الخامس عشر

### الانقلاب العسكرى اليونانى سنة ١٩٦٧

#### وموقفه من مشكلة قبرص

#### ١ - الانقلاب العسكرى اليونانى سنة ١٩٦٧ :

عندما وقع إنقلاب أبريل سنة ١٩٦٧ ؛ إنزعج العسكريون سياسة غير متوقعة تجاه مشكلة قبرص ، فرغم شعارات الحكومة العسكرية اليونانية ، التى أعلنتها فى البداية بإقامة دولة تقوم على أساس القومية اليونانية ، التى تعنى إتساح النظرة وشمولها على كل من ينطق اللغة اللانينية<sup>(١)</sup> — فإن مراقبة الحكومة العسكرية اليونانية تجاه قبرص كان غير ذلك تماما؛ فرغم الشعار المعلن للعسكريين بالقومية اليونانية ، فقد إقتصرت نظرة العسكريين تجاه مشكلة قبرص عن حصر المشكلة فى أضيق نطاق ، والإبتعاد عن الإنزلاق فيها . فقبل إنقلاب عام ١٩٦٧ ، كانت صرخة أو صيحة الوحدة تسمع فى أثينا بقوة أكثر مما كانت تسمع فى نيقوسيا ؛ وكان التوتر خلال الفترة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ بين تركيا واليونان ظاهراً بسبب قبرص ، فلقد أرغم الأتراك بواسطة الولايات المتحدة عن الإحتفاظ بالسيادة ، ولكنهم قاموا خلال هذه الفترة بتوسيع رقعة القبارصة الأتراك فى منطقتى Tendas و Imbros التى يسكنها غالبية من القبارصة اليونانيين .

(١) وقد أطلعت الحكومة العسكرية اليونانية على مفهوم القومية الإثنية لفظ « الإثينية » — وأجج فى تفصيل ذلك : عادل محمد زكى صادق ، النظام السياسى فى اليونان خلال فترة الحكم العسكرى ، (٢١ أبريل ١٩٦٧ - ٢٤ مايو ١٩٧٤) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٧٧ من ص ٢٩٠ - ٢٩٤ .

وحين تم الإنقلاب العسكرى ، حاول العسكريون فى البداية علاج مشكلة قبرص بطريقة مختلفة ؛ وكانت الرؤى السائدة هى عدم التسرع فى حل المشكلة ، إذ كان هدفهم الأساسى فى البداية هو تقوية حكمهم داخل البلاد، وترتب على ذلك أن خففت صرخة الوحدة بين اليونان وقبرص . وصرح بابا دوبلوس ، فى أول زيارة له لجزيرة قبرص فى أغسطس ١٩٦٧ ، عندما كان وزيراً للدولة لشئون مجلس وزراء ؛ صرح بأن اليونان وتركيا تسعيان إلى مواجهة عدوهم المشترك ، وهو الشيوعية ، وأن كل الخلافات بعد ذلك هى خلافات ثانوية .

وقد عقد إجتماع قمة بين الدولتين ، دون التمهيد لذلك دبلوماسياً ؛ وتقابل رئيسا وزراء الدولتين على الحدود التركية اليونانية ، فى ٩ سبتمبر ١٩٦٧ ؛ ورأس الوفد اليونانى فى هذا الإجتماع الكولونيل جورج بابا دوبلوس قائد الإنقلاب ، ورئيس الوزراء كوليس Kolias ، ووزير الخارجية إيكونومو Ekonoumou ؛ ووافق الجانب اليونانى فى الإجتماع على كل الاقتراحات التى قدمها الجانب التركى ، التى أغلقت تماماً حقوق الجماعة اليونانية فى إستنبول ، وتجميد مصير منطقتى Imbros-Tendos ؛ وبذلك أغلق الباب أمام نداء اليونانيين بالوحدة مع قبرص . وصرح رئيس الوزراء التركى ، ديميريل ، عقب عودته إلى تركيا ، بأنه تمكن خلال مباحثات هذا الاجتماع من « تمهيع » لإقتراح اليونان بالوحدة مع قبرص ؛ وأنه أصر على تنفيذ إتفاقية زيورخ ، التى لا يمكن تغييرها إلا بالرجوع إلى تركيا واليونان وإنجلترا<sup>(١)</sup> .

(١) راجع :

- Nicos, Karanidiotis : 'The Cyprus Problem' op, cit pp. 80-85.
- Dimitri, S. Bitsios 'Cyprus - The Vulnerable Republic Institute for Balkan Studies' op, cit. pp. 35 42.

وفي نوفمبر ١٩٦٧ ، وبعد أن حدثت إشتباكات في قبرص ، نتج عنها التهديد بغزو الأتراك للجزيرة ، قام سيروس فانس ، من قبل الحكومة (١) الأمريكية ، بزيارة كل من أثينا ونيويورك وأثقة ، ونجح - مساعيه في إتفاقيه سحب القوات اليونانية بأكملها ، وكذا القوات التركية ، من قبرص ، فيما عدا ما قرره إتفاقيتي زيورخ ولندن .

٢ - ردود فعل الانقلاب العسكري اليوناني على مكاريوس :

أولا . الضغط والاذار الموجه لمكاريوس :

جاءت ردود فعل مختلف حكومات الانقلاب العسكري اليوناني على الرئيس مكاريوس لتزيد من المشكلات التي تواجهه الأسقف مكاريوس بعد المشككة الطائفية ، وتفسير ذلك أن الحكم العسكري في اليونان إذ أن يقيم علاقات وثيقة مع الحكم العسكري في تركيا ، بمؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تغيرت الأسباب التي إستندت إليها حكومة الانقلاب العسكري اليوناني في معارضتها الأسقف مكاريوس على مدى السنوات الخمس السابقة على وقوع الانقلاب العسكري في اليونان . فقد أصدرت الحكومة اليونانية بيانا رسميا ، في أول يوليو ١٩٦٧ ، نشر في كل الصحف اليونانية ، وطالب البيان بسرعة لإبعاد كل انزعاج

(١) راجع :

- دكتور غسان الداية ، « حول الأزمة القبرصية » ، مرجع سابق .
- « » ، « السياسة الأمريكية ، الأزمة القبرصية » في مجلة العلوم السياسية والقانونية ، العدد الأول ، إصدار ١٩٧٨ .
- أحمد نوري النعماني : « الموقف التركي من أزمة قبرص » ، في : مجلة العلوم السياسية والقانونية ، العدد الثاني ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .

القبارصة الذين يخلقون الظروف غير الملائمة ، ويضعون الشروط الهدامة التي تجعل من صحيحه الوحدة غير ممكنة ؛ ودعا البيان هؤلاء الأشخاص الذين يضمون من يتولون أعلى المناصب في الدولة، إلى إفساح مكان لمن يثق في الحكومة اليونانية الوطنية ، ويتمتع بالروح الواقعية ، المطوبة لإقرار حل نهائي للآزمة اليونانية .

غير أن السنوات التالية أثبتت أن حكومة الانقلاب العسكري اليوناني قد اتخذت موقفاً مغايراً تجاه المشكلة القبرصية . ف منذ السبعينات ، مارست الحكومة اليونانية أسلوباً مخالفاً في ضغطها على الأسقف مكاريوس ، فقد أرسلت مبعوثاً شخصياً إلى قبرص لإقناع الجانب القبرصي اليوناني بتقديم مزيد من التنازلات للمطالب التي ينادى بها القبارصة الأتراك من أجل الاستقلال الأفليمي؛ بالإضافة إلى التخلي عن العناصر اليسارية المشتركة في الحكومة القبرصية ؛ ولهذا أرسلت الانذارات المتتالية إلى الأسقف مكاريوس ؛ ومنها الانذار الموجه في فبراير ١٩٧٢ ، والذي تضمن النقاط الثلاث الآتية :

#### ١ — ضرورة إعادة الوحدة الوطنية الممزقة إلى الجزيرة .

٢ — منع وقوع أى مواجهة محتملة، الأمر الذي يزيد من احتمالات شحنات الأسلحة التشيكية ؛ وكانت هذه الشحنات إلى قبرص قد عزت لاستقرار الجزيرة عام ١٩٦٦ ، عندما تناقلت الأنباء نبأ إستيراد الرئيس القبرصي لهذه الشحنات من أجل تسليم قوات البوليس القبرصية التي تتعلق أوامرها من الحكومة القبرصية ؛ ذلك بعكس الحرس الوطني ، الذي كان يخضع في هذه الآونة للجنرال جريفراس ، أو يدين بالولاء لليونان ، كما حدث في سنة ١٩٧٢ ، مما أدى إلى توقف المحادثات بين مثل الطائفتين ، ومطالبته كل من تركيا واليونان بتسليم هذه الشحنات إلى قوات الأمم المتحدة . وقد انتهى الأمر بتوقيع إتفاق في ١١ مارس ١٩٧٢

يقضى بتخزين الأسلحة في القيادة العامة للبوليس في أثينا ، مع الحرية التامة لقوات الأمم المتحدة في التفتيش عليها في أى وقت ، وبدون إخطار سابق ؛ وطبقاً للقائمة التي سلمتها الحكومة القبرصية إلى ممثل الأمم المتحدة في الجزيرة .

٣ - كذلك فقد تضمن الإنذار الذي كانت حكومة الانقلاب العسكرى في اليونان قد وجهته إلى مكاريوس في فبراير ١٩٧٢ - تضمن الإنذار مسؤولية اليونان في المحافظة على الأمن في الجزيرة ؛ وطالب بضرورة تعديل الوزارة القبرصية ، بحيث تحتفى منها العناصر اليسارية . وبالفعل قام الأسقف مكاريوس بإحداث هذا التعديل ، وإن كان لم يرضخ للمطالب اليونانية فيما يتعلق بمطالب القبارصة الأتراك .

ولم تكتف الحكومة اليونانية بالضغط والاندازات الموجهة إلى الأسقف مكاريوس ، بل لجأت إلى تحريك العناصر الدينية ، كأداة مساعدة للضغط .

#### ثانياً : مطالبة الكنيسة القبرصية باستقالة مكاريوس :

تعرض الرئيس القبرصى مكاريوس ، خلال عام ١٩٧٢ ، لحملة شعواء من جانب الكنيسة القبرصية ، لكي يستقيل من منصبه ؛ وقد وجهت الكنيسة إنذارين إلى مكاريوس : أحدهما في فبراير والآخر في يوليو من نفس العام . ويلاحظ أن إنذارات الأساقفة القبارصة كانت تسير في نبط متوازن مع الانذارات اليونانية . وقد أرسل الأسقف مكاريوس في ٢٠ مارس ١٩٧٢ رده على مطالبة الكنيسة القبرصية له بالاستقالة من منصبه ؛ وإشتمل هذا الرد على عدم موافقة مكاريوس على طلبهم الخاص باستقالته من منصبه كرئيس للدولة ؛ وأنه قد يضطر إلى قبول هذا الطلب إذا وجد من الكنيسة القبرصية إصراراً على ذلك ؛ وهذا الموقف من جانب مكاريوس يعد انعكاساً من جانبه على تجنب حدوث إنقسام داخل الكنيسة

لأنه لم يكن ولن يكون أبداً مرتداً عن الكنيسة ، ولم يحاول انتهاك قوانينها التي نصب حارساً عليها . كذلك فقد أوضح مكاريوس في رده على الكنيسة القبرصية بأنه لا يوجد تعارض بين مهام رئيس الجمهورية والكتاب المقدس ؛ أو قوانين الكنيسة وتقاليدها ؛ ولذا ينبغي عدم اعتبار مهام رئيس الدولة مهاماً دينية .

وقد اتهم مكاريوس أساقفة الكنيسة القبرصية بأنهم يتصرفون بناء على تحريض عناصر من خارج الكنيسة ؛ غير أن الأساقفة أصرروا على موقفهم ، حيث قرروا في يوليو من نفس العام عزل مكاريوس عن منصبه كرئيس للجمهورية ، بل لأنهم اتهموه أيضاً بأن سياسته قد أسفرت عن إضطرابات وطنية ودينية وتقسيم الجزيرة . غير أن جلانكوس كلاديوس ، رئيس البرلمان القبرصي ، تقدم بإقتراح ينص على استمرار الأسقف مكاريوس في منصبه كرئيس للدولة ، ريثما تنتهى فترته في فبراير ١٩٧٣ ؛ مقابل تعهد الرئيس القبرصي بالاستقالة من سلطاته المدنية بعد إنتهاء هذه المدة ، ثم جاءت إعادة تنصيب الأسقف مكاريوس والتأييد الواضح من جانب الشعب القبرصي — بجاء ذلك بمثابة رد حاسم على الحكومة اليونانية ، وأنصارها في داخل قبرص .

### ثالثاً : إنتخابات عام ١٩٧٣ ونتائجها :

غير أن الأزمة الداخلية الطاحنة ، التي مرت بها قبرص ، قد تجددت مرة أخرى ولمنعكس ذلك ليس على الصراع الذى لحق بين الأسقف مكاريوس والكنيسة كحسب ، بل على موجة الانفجارات التي سادت في الجزيرة أيضاً ؛ وذلك قبل مرور أقل من شهر على إعادة تولي الأسقف مكاريوس منصب الرئاسة لمدة خمس سنوات أخرى؛ وكذلك إنتخاب رموف دنكتاش مثل الأتراك القبارصة نائباً لرئيس الجمهورية ، وفي كلتا الحالتين ، لم تجر الإنتخابات العامة التي



كان مقررأ لها الثاني عشر من فبراير ١٩٧٣ ، نظراً لعدم وجود مرشحين منافسين لها طبقاً للدستور القبرصى .

وعلى الرغم من أن فوز كل من الأسقف و مكاريوس ، وه ذنكتاش ، كان متوقعأ ، إلا أن الهدوء الذى تمت فيه إعادة التنصيب ، كان غير متوقع . فقد كانت الأنظار فى الفترة السابقة على فوز مكاريوس مركزة نحو جزيرة قبرص ، التى تتلاقى وتتصادم فيها تيارات وإتجاهات شتى ؛ فمن سياسة عدم الانحياز ، إلى اولام لحلف الأطلنطى ؛ ومن الشيوعيين الذين صلوا على ٤٠ فى المائة ، ٣ فى المائة فى إنتخابات عامى ١٩٤٩ و ١٩٦٠ على التوالى ؛ إلى أقصى اليمين ، مثلاً فى أنصار منظمة « أيوكا » ؛ ومن ذروة الرخاء الإقتصادى ، إلى قمة التوتر السياسى الذى تمثل من موجة العنف والانفجارات التى إجتاحت الجزيرة من جانب أنصار الجنرال جريفاس ، والتى تدعو إلى الاتحاد مع اليونان Enosis ، فى الأيام السابقة لإعادة تنصيب الأسقف مكاريوس رئيساً للجمهورية .

كذلك فإن هذه الإنتخابات جاءت بعد التحديات والضغوط التى تعرض لها « مكاريوس » من جانب عدة أطراف فى الداخل والخارج ، وقد زاد من أهمية هذه الإنتخابات أن إستمرار الأسقف مكاريوس على مسرح السياسة فى قبرص لم يقتصر أثره على نطاق الجزيرة ، وإنما تعدى ذلك إلى دوائر متعددة ، تشمل البعير المتوسط ثم منطقة الشرق الأوسط ، لى تمتد هذه الدوائر أيضاً إلى الصراع الغربى والشرقى ، ثم إلى نطاق الإستراتيجية الدولية .

فعلى صعيد جزيرة قبرص ، كان للرئيس القبرصى دوره البارز فى المحافظة على وحدة وإستقلال أراضى قبرص ، فى مواجهة المنادين بالاتحاد مع اليونان ، الذين كان يتزعمهم الجنرال جريفاس أو المنادين بتقسيم الجزيرة من بين الأتراك القبارصة .

وعلى الصعيد الدولي كان للرئيس مكارثيوس مواقفه المحددة في المحافظة على الخط السياسي الذي إلتزمت به قبرص وهو عدم الانحياز، وعدم السماح بتحويل جزيرة قبرص إلى قاعدة لحلف شمال الأطلسي ، وبالتالي فقد كان إستمرار الأسقف مكارثيوس في الحكم بمثابة عامل تهدئة في منطقة البحر المتوسط الحافلة بالتوترات ، وتزايد حدة التنافس بين البحرية السوفيتية والأسطول السادس الأمريكي ، ولقد إنعكس إهتمام واشنطن بالمنطقة ، في رصونها للمطالب المالية للحكومة مالطة ، والاتفاق الذي عقد وقته لتحصل بمقتضاه البحرية الأمريكية على تسهيلات في الموانئ اليونانية، وقد عد ذلك بمثابة إمتداد للاتفاق الذي وقع في عام ١٩٥٣ ، في إطار حلف الأطلسي (١) .

وقد حدد رئيس جمهورية قبرص، في أعقاب إعادة تنصيبه ، الخطوط العامة لسياسته ، وتتلخص فيما يأتي :

١ — تنديده بالعنف والإرهاب، اللذين تستخدمهما قوات الجنرال جريفاس بهدف الاتحاد مع اليونان ، لأنهم يعملون دون تقدير للمسؤولية ، ويعمدون العدة لحرب أهلية .

٢ — يجب على الحكومة اليونانية والحكومة القبرصية أن تدركا حقيقة

---

(١) راجع في تفصيل ذلك :

— احمد زوي محمد النعيمي ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٤٤ - ٢٢٥ .

— نزيهة الأقدمي ، الطائفية وهدم الانحياز في قبرص : في : السياسة الدولية ، المجلد التاسع ١٩٧٣ ص ٤٣٧ - ٤٤٣ .

عدم إمكانية تسوية مشكلة قبرص سلميا ، إلا على أساس أنها دولة مستقلة ذات سيادة ، وأنها تمثل أمة واحدة، وعن طريق المفاوضات مع الأتراك القبارصة.

٣ — ضرورة موافقة الشعب القبرصي على أى حل لمشكلته ، حيث أن بلاده تهدف إلى حل مشكلتها القومية ، وبالتالي لن تقبل أى حل وسط مع الأتراك يمكن أن يهدد مستقبل القبارصة اليونانيين .

٤ — إلزام الجمهورية القبرصية بسياساتها القائمة على عدم الانحياز، وسعيها الدائم إلى إقامة علاقة الصداقة والتعاون مع جميع الدول، على أساس من المساواة وعدم التدخل .

## الفصل السادس عشر

### إنقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ في قبرص

إنقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ في قبرص (أسبابه ونتائجه) :

#### ١ - الأسباب :

في صباح يوم ١٥ يوليو ١٩٧٤ ؛ أنفجر الموقف القبرصي العام حين وقع إنقلاب عسكري ضد الرئيس الأسقف مكاريوس ؛ قام به قادة الحرس الوطني اليوناني القبرصي الذي يضم ١٢ ألف رجل تحت سيطرة ٦٥٠ من الضباط اليونانيين واستطاع مكاريوس أن ينجو بحياته ، وغادر بلاده بعد أن لجأ إلى القوات البريطانية التي تعسكر في قاعدة أكروتييري وديكيليا ، في جنوبي وجنوب شرق الجزيرة . وأعلنت سلطات الإنقلاب بياناً بسياستها الجديدة يقوم على مبادئ معينة ؛ أهمها التوحيد الكامل للسكان اليونانيين في السلام وفي ظل الكنيسة ، ومواصلة البحث عن حل لمشكلة قبرص (١) عن طريق مفاوضات بين الجاليتين ، وتسوية المشكلات الحيوية للشعب ، وتنظيم إنتخابات عامة خلال عام لإقامة حكومة تعبر عن الرضا الشعبي ، والابقاء على العلاقات اودية بين قبرص والعالم الخارجي والحفاظ على سياسة عدم الانحياز .

وقد حرس قادة الانقلاب على عدم إعلان نواياهم الحقيقية المستترة وراء محركتهم العسكرية العنيفة ، إلا وهي تحقيق حلم وحدة جزيرة قبرص بأكملها

(١) راجع : نازلي معوض احمد ، الصراع التركي اليوناني في الجزيرة القبرصية ،

في : السياسة الدولية ، العدد ٣٨ ، أكتوبر ١٩٧٤ ، القاهرة ص ١٥٠ .

مع دولة اليونان . وكان من أغرب وقائع هذا الانقلاب ، تعيين نيكولاس سامبسون رئيساً للجمهورية قبرص خلفاً لمكاريوس . وسامبسون صحفي قبرصي يوناني ، انضم في فترة تالية إلى منظمة ايوكا «المنظمة القبرصية للمقاومة الوطنية» ؛ ولم يكن هو العقل المدبر للعلمية ، كما أنه لم يكن في يوم ما من زعماء الحركة السياسية لليونانيين القبارصة في الجزيرة . كذلك فقد أحاط الغموض والتعقيد والتشاكك الشديد — أحاط ذلك بالانقلاب العسكري القبرصي وبمؤامراته الخفية والمعنسة .

وتحليل الغرابة في هذا الانقلاب يتضح من أنه قد تم في فترة من تاريخ قبرص كانت تحفل بدلائل ومؤشرات جعلت المرء يظن ان الدوليين يستطيعون حدوث تغييرات جذرية في حياة الجزيرة . فحتى بداية شهر يوليو — أى قبل الانقلاب بأيام معدودة لم تهتز مكانة رئيس الدولة الاستق مكاريوس ، الذى تتمتع بخصيصة فريدة متميزة ، فكان رئيس الدولة الوحيد فى العالم الذى حمل عبء الدين والدنيا معاً ، ونجح إلى حد كبير فى الموازنة بين واجباته كرجل يتراأس الكنيسة الأرثوذكسية القبرصية ؛ وكسياسى على قمة السلطة فى بلاده ؛ كذلك فقد عمل مكاريوس بسياسته الخارجية على النحو السابق — على إيجاد رادع دولى قوى بالنسبة لحكومتى كل من اليونان وتركيا ، بمنعها من فرض تسوية معينة لصالحها من أجل إنهاء المشكلة الطائفية فى الجزيرة بين الأتراك واليونانيين (١) .

وتجدر الإشارة بهذا الخصوص إلى أنه قد ساد هدوء اجتماعى نسبي فى العلاقات بين الطائفتين فى السنوات السابقة على الانقلاب العسكرى ضد الرئيس مكاريوس ؛ صحيح أن الطائفتين التركىة واليونانية لم تنفصا الأحداث التى حفل

---

(١) نفس المرجع السابق .

بها تاريخ العداء بينها ، غير أن القبارصة الأتراك والغالبية اليونانية في الجزيرة ؛ كانوا قد وصلوا إلى التسليم بأن مصلحتهم تكمن في البقاء داخل إطار نظام الحكم القبرصي المستقل ، الذي أقامه مكاريوس ؛ ولذلك تضاعفت رغبة كل من الطائفتين في الارتباط بالدولة الأم ، سواء كانت تركيا أو اليونان . فالأولى تعاني من أزمات إقتصادية طاحنة ، وتسودها ظروف معيشية صعبة ، والثانية يفتقد مجتمعاها الداخلي إلى أية مقومات للحريات السياسية منذ إستيلاء المؤسسة العسكرية على الحكم في أثنينا سنة ١٩٦٧ ؛ ولكن الاقتصاد القبرصي — بعكس الاقتصاد التركي والاقتصاد اليوناني — كان قد شهد في هذه الفترة — ونتيجة للهدوء الإجتماعي النسبي في العلاقات بين الطائفتين التركيتين واليونانية — شهد تطوراً إنمائياً كبيراً في قطاعات الإنتاج الزراعي ، مما جعل المتوسط السنوي للدخل الفردي يبلغ حوالي ٣٥٠ جنهماً استرلينياً ؛ وبذلك تمتعت قبرص في هذه الفترة بأعلى مستوى معيشة في منطقة البحر المتوسط (١) .

ومنذ شهر يناير ١٩٧٤ ، كان قد مات الجنرال جريفاس ، القائد العنيد المنظمة أيوكا ، والعدو الأول للرئيس مكاريوس بسبب رفض الأخير تنفيذ مشروعات تلك المنظمة الإرهابية لضم الجزيرة إلى اليونان ، وبذلك تخاض مكاريوس بطريقة طبيعية من عقبة كانت تقف حجرة عثرة في طريقه السياسي . ويعني ذلك كله أن المجتمع القبرصي ، حتى بداية يوليو ١٩٧٤ ، لم يكن يعاني من مشاكل خطيرة تستوجب قلب أوضاعه السياسية الرسمية ، رأساً على عقب ، على النحو الذي حدث في منتصف الشهر في جزيرة قبرص . ومع ذلك فإنه يمكن إجمال الأسباب

---

(١) راجع في تفصيل أوضاع جزيرة قبرص الاقتصادية .

Meger, A. J., The Economy of Cyprus, Cambridge, Harvard University Press, 1962.

الكامنة وراء الانقلاب العسكرى لقوات الحرس الوطنى اليونانى القبرصى ضد الرئيس مكاريوس فيما يأتى :

### أولا : مذكرة مكاريوس للحكومة اليونانية :

كان السبب المباشر الذى جاء الانقلاب رداً فورياً عليه هو مذكرة رسمية شديدة اللهجة من ستة صفحات ، كتبها الأسقف مكاريوس بيده وأرسلها إلى الحكومة العسكرية اليونانية فى ٥ يوليو ١٩٧٤ ؛ وكانت أهم فقراتها : « د . د . لأنى عجبت كثيراً لأن منظمة أيوكا الإرهابية غير الشرعية والتى تمارس أعمال الأذى فى كل مكان ، ويشير نشاطها حالة من الانقسام فى قبرص ، تحظى بتأييد حكومة أثينا بل ومساعدتها . . . . ولقد حاولت كثيراً أن أحصل على جواب شاف للأسباب التى تدعو حكومة أثينا إلى تأييد هذه المنظمة ، فلم أوفق فى ذلك ... . وأنها حقيقة لا تقبل الجدل وهى أن صحافة اليونان تهاجمنا وتؤيد خصومنا برغم أننى أعتبر أنه من واجبى القومى أن أمد يد التعاون لكل حكومة يونانية ؛ هذا على الرغم من أننى لا أستطيع القول بأننى أشعر بأى نوع من التطعاطف مع النظم الحاكمة العسكرية ؛ وخاصة فى اليونان ؛ البلد الذى ولدت فيه الديمقراطية وترعرعت . . . . وفى أكثر من مرة أشعر بأن يداً خفية تمتد نحوى من أثينا تريد تحطيم وجودى الإنسانى ، ومع ذلك فإننى من أجل الصالح العام كنت ألزم الصمت ولا أتكلم . . . . وأضاف مكاريوس فى مذكرته للحكومة اليونانية فى ٥ يوليو ١٩٧٤ قائلاً : « . . . ومع ذلك ، فإن الصمت لا يفيد عندما يؤيد الضباط اليونانيون فى الحرس الوطنى ، وبايعاز من حكومة أثينا ؛ - يؤيدون منظمة أيوكا الإرهابية ، فى نشاطها الإجرامى ، ومن بينه الاعتقال السياسى والذى يهدف إلى تصفية الدولة القبرصية . . . . »

وأضاف مكاريوس قائلاً : « أنه تم ضبط وثائق توضح أنه يتم تمويل أيوكا

نفسها من أثينا ، وطالب مكاريوس بأسلوب حاد بانسحاب الضباط اليونانيين الذين يعملون في الحرس الوطني بقبرص ، وبأن تصدر الأوامر من أثينا إلى منظمة أيوكا وتضج حداً للنشاط ، (١) .

### ثانياً : تصاعد أعمال العنف من جانب منظمة أيوكا :

يمكن أيضاً إرجاع الأسباب التي أدت إلى الإطاحة العسكرية لقوات الحرس الوطني اليوناني القبرصي ضد الرئيس مكاريوس -- يمكن إرجاعها إلى سبب آخر وهو تزايد وتصاعد عمليات العنف من جانب أعضاء منظمة أيوكا خلال النصف الأول من عام ١٩٧٤ ؛ حيث لقي ثمانية من أنصار مكاريوس مصرعهم واختطف وزير الداخلية القبرصي ؛ غير أن مكاريوس قد ظل على ثقة بأن ميزان القوة السياسية يميل إلى صالحه ضد النظام العسكري في أثينا ، والذي كان هذا الأخير يفقد شعبيته باطراد في اليونان ، نتيجة للآزمات الاقتصادية والتعسف الشديد في استخدام السلطة ضد الشعب اليوناني ؛ ولذلك كانت رسالة مكاريوس المذكورة سلفاً إلى الحكومة العسكرية اليونانية بمثابة تمد صارخ لكافة القوى السياسية والعسكرية المداعية لفكرة الوحدة مع اليونان «لينوسيس» .

### ثالثاً : عدم تمكن مكاريوس من تقدير أصحاب السلطة الحقيقية

#### في اليونان :

استبعد مكاريوس أن يقوم الحكم العسكري اليوناني بارتكاب فعل جسيم الأثر في قبرص ، تترتب عليه حرب شاملة بين تركيا واليونان . وجاء تقدير

(١) نازلي موزس أحد ، الصراع التركي اليوناني في الجزيرة القبرصية ، مرجع سابق



مكار يوس سايما من الناحية الموضوعية . غير أنه كان بعيداً عن الصواب ، بالنظر إلى الحكومة التي كانت قائمة في ذلك الحين في أثينا ، حيث لم تكن القوة الحقيقية تتمثل في شخص الجنرال فيدون جيرنكيس ، رئيس الجمهورية اليونانية الذي أرسل إليه مكار يوس برسائله ؛ ولكن القوة الحقيقية كانت متمثلة في شخص أكثر صلابة ، وهو البريجادير ديمتريوس بوانتديس ، رئيس شرطة الأمن الحربي اليوناني ؛ وكانت وسائل التحقيقات الإرهابية الشديدة ، التي إتبعها شرطة الأمن الحربي في أنحاء اليونان منذ الانقلاب العسكري في أثينا سنة ١٩٦٧ هي التي أدت فيما بعد إلى طرد اليونان من المجلس الأوروبي ؛ كذلك تجدر الإشارة إلى وجود معتقدات معينة ظلت راسخة لدى البريجادير ديمتريوس بوانتيلاس - رجل أثينا القوي - وهذه المعتقدات تلتخص في عداوته الشديد للشيوعية ، وإرتباطه العاطفي الشديد بفكرة الدور الحضاري للقومية الهلينية - وهي القومية اليونانية التي تعنى إتساع النظرة وشمولنا على كل من ينطق باللغة اليونانية .

وهكذا حدث التخبط في أثينا ، ولانعكس ذلك على قبرص ودفعت مكار يوس الثمن لسوء تقديره لطبيعة ردود فعل خصمه الأثيني إزاء نزعتة الإستقلالية وتصميمه على إقامة دولة مستقلة غير تابعة لقوى خارجية ، على أراضى قبرص .

#### رابعاً : التقارب القبرصى السوفيتي :

هناك أسباب أخرى ، أدت في تراكمها وتفاعلها طويل المدى إلى حدوث الانقلاب العسكري في قبرص ؛ فمنذ سبتمبر سنة ١٩٦٤ إنجحه مكار يوس نحو الإتحاد السوفيتي طالبا معونته السياسية في المحافل الدولية . ومساعداته العسكرية من أجل موازنة النفوذ الغربي المتزايد في الجزيرة ، ولمواجهة ضغوط الأقلية التركية لتقسيم الجزيرة إقليمياً بين الطائفتين . ومع إستمرار هذا التقارب القبرصى السوفيتي ، تضاعفت شناوف اليونان والمعسكر الغربي بصفة عامة .

#### خامسا : فشل مكاريوس في حل المشكلة الطائفية :

ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل التي أسهمت في الانقلاب العسكري لقوات الحرس الوطني اليوناني القبرصي ضد الرئيس الأسقف مكاريوس ، فلقد أخفق مكاريوس في حل المشكلة الطائفية (١) بالجزيرة ولعتقد أن مجرد إعلان استقلال الجزيرة ، ومحاولة التخلص من النفوذ الغرب وإنتهاج سياسة القومية القبرصية الموحدة ، وغير المنحازة، هو الحل الوسط التوفيق لمنازعات الطائفتين ؛ ويرى البعض أن موقف مكاريوس من المشكلة الطائفية كان يدور حول رفضه أن يصبح مجرد حاكم إقليمي لمقاطعة يونانية أو رئيس شرفي صوري السلطات ، في دولة فيدرالية يتبع جزءا منها الدولة التركية .

#### سادسا : الاوضاع اليونانية الداخلية وإنعطاساتها :-

من الثابت أن المسألة القبرصية قد إستخدمت دائما ، حتى قبل أن يتولى العسكريون السلطة في أثينا — إستخدمت كحجة قوية لإقامة الوحدة الوطنية الداخلية في اليونان ؛ ولإخفاء المصاعب المحلية عن الشعب اليوناني . وفي سنة ١٩٧٤ بلغت الحكومة العسكرية اليونانية من الضعف في داخل البلاد ؛ حداً قامت معه بطرد عدد من المراسلين الأجانب ، كان من بينهم مراسل الاذاعة البريطانية ؛ وذلك حتى لا تنكشف حقائق الأمور داخل اليونان أمام الرأي العام العالمي . وتلت ذلك موجات عنيفة من الاعتقالات ، ووقف صدور الصحف ، وإتهام طلاب الجامعات بالنشاط اليساري . وتؤكد وقائع التاريخ الحديث أنه عندما تكون قاعدة النظام الحاكم في بلد ما مهترزة وضعيفة ، فإن القائمين على ذلك

---

Nicos Karanidiotis "The Cyprus Problem" op, cit. pp. (١)  
148—160.

النظام يتجهون إلى معارك سياسية أو عسكرية في خارج البلاد ، بهدف تحويل انتباه الرأي العام المحلي عن الاضطرابات والمساوىء الداخلية .

### ٣ - ردود فعل انقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ :

يمكن إجمال ردود فعل انقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ على صعيد طرفي المشكلة فيما يأتي .

**أولاً :** أدى الانقلاب العسكري الفاشل في قبرص إلى انهيار الحكم العسكري في اليونان ، بحكم الجنرالات الذين إستولوا على السلطة في إبريل عام ١٩٦٧ ؛ وبعد إنقضاء سبع سنوات على حكمهم ؛ أعلن العسكريون ؛ بعد الإخفاق الذي لحق بهم في قبرص ، تخليهم عن السلطة لقيادة مدنية .

**ثانياً :** تصاعدت الخلافات بين تركيا واليونان على بحر إيجه ؛ بين الدولتين الحليفتين داخل حلف شمال الأطلسي ؛ وتعود هذه الخلافات إلى اكتشاف اليونان البترول في بحر إيجه ، وذلك منذ عام ١٩٧٢ ؛ كما أن اليونان قامت بتسليم جزر الدوديكانيز ، وقد اعترضت تركيا على هذا الإجراء اليوناني ، مؤكدة أن ذلك يعتبر خرقاً صريحاً لمعاهدة لوزان ، التي وقعت في عام ١٩٢٣ بين تركيا واليونان ؛ ولقد أدى الأمر إلى أن تبعت تركيا في عام ١٩٧٦ بأحدى سفن البحث للقيام بعمليات التنقيب والبحث ؛ غير أن اليونان أحالت هذا الموضوع إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي ؛ وأعلنت المحكمة بعد إنقضاء ثلاث سنوات من عرض الموضوع عليها ؛ أنها غير مختصة بالنظر في هذا الموضوع ؛ وبعد فشل كل الجهود التي بذلت من قبل حلف شمال الأطلسي ، نشب الصراع بينهما ، حيث إستخدمت الدولتان فيه جميع الأسلحة ، مما تسبب في إحداث أكبر تصدع في الحلف منذ قيامه ، حيث لم يسبق لأى دولة من أعضائه أن إشتبك في حرب مع دولة أخرى من أعضاء الحلف .

## ٢٠٠ -

١٩٨١) نتج عن الصراع المسلح بين الدولتين - تركيا واليونان - الشكوك التي أصبحت بمثابة المعول الذي يمكن أن يهدم حلف شمال الاطلسي برمته ؛ ناهيك عن ضعف التضامن بين أعضائه ، حيث قررت الحكومة اليونانية الانسحاب من الجناح العسكري في الحلف ؛ ولقد برزت اليونان موقفها هذا بحجاء الحلف من أنه لم يمنع الصدام المسلح بين عضوين من أعضائه . ولقد اعتبر بعض المراقبين الدبلوماسيين خروج اليونان من الحلف على أنه بادرة خطيرة ، أكثر من انسحاب فرنسا من الجهاز العسكري للحلف ، وباعتبار أن اليونان تجاور بلغاريا ، وهي - أي بلغاريا أحد أعضاء حلف وارسو .

١٩٨٢) وتجدر الإشارة بهذا الخصوص إلى أن اليونان قدمت مجموعة من الاقتراحات إلى مجلس حلف شمال الاطلسي ، في يوليو ١٩٧٧ ؛ أكدت فيها على إبقاء القوات المسلحة اليونانية تحت القيادة اليونانية في وقت السلم ؛ غير أن الحلف رفض هذه المقترحات. والرأي العام في الأمانة العامة للحلف كان (١) هو أن قبول الشروط اليونانية سيخلق سابقة بالنسبة للبلدان الأعضاء الأخرى؛ وبالرغم من أن الحلف قد رفض هذه المقترحات ، فإنه لم يناشد الحكومة اليونانية بالعودة إلى الحلف ؛ غير أن أحد أعضاء دول الحلف أوضح ضرورة أن تعيد اليونان النظر في قرارها ، عندما يتم التوصل إلى تسوية مرضية ومقبولة لمشكلة قبرص والنزاع اليوناني التركي ؛ وبهذا الخصوص فقد قبل أيضا أن انضمام اليونان إلى

(١) راجع في تفصيل ذلك :

احمد نوري محمد النعيمي : تركيا وحلف شمال الأطلسي . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية - غير منشورة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٢٥ - ٢٥٤ .

السوق الأوروبية المشتركة سيساعد على عودتها إلى الجهاز العسكرى للحلف ؛ أما رد الحلف للحكومة اليونانية فقد جاء مشتملا على عدة نقاط ؛ منها أن المشكلة المشكلة الرئيسية التى تواجه الحلف ، بانسحاب اليونان من الجهاز العسكرى هى مشكلة نظام الانذار المبكر الذى ترفض اليونان الاشتراك فيه بصورة كاملة ، لئلا تحصل تركيا على معلومات مباشرة عنه ، مثلما كان يحدث قبل عام ١٩٧٤ . والنقطة الثانية هى ما يراه بعض المراقبين الدبلوماسيين من إحراز الحلف على إجراء مناوراته فى بحر إيجه ، من قبل قائد بحرى تركى ، يستهدف فى حقيقته إشغاب اليونان بالعودة إلى الحلف ؛ وبالتالي فإنه إذا ساد بحر إيجه وضغ طبعى ، فإن المسؤولين اليونانيين وقتئذ كانوا سيميلون إلى الموافقة على اشتراك القوات اليونانية فى مناورات فى تلك المنطقة ، مادامت ستكون تحت قيادة يونانية ، وذلك بدون أو يكونوا قد قرروا العودة إلى حلف شمال الاطلسى .

أما التبريرات التى اتخذت كذريعة من جانب المسؤولين اليونانيين تجاه هذا القرار ، فهل أنه فى حالة استمرار إمتناع اليونان عن الاشتراك فى مثل تلك المناورات ، فإن ذلك يدعو أن يقود المناورات قائد بحرى تركى . وبمقارنة ذلك بالامتناع السائدة قبل عام ١٩٧٤ ، فإننا نجد نظاماً مشابهاً لذلك ، حيث كان الانتراك يتركز وحدهم فى المناورات التى كان يجريها حلف شمال الاطلسى فى بحر إيجه ؛ وبمعنى آخر تكون تركيا هى الشريك الوحيد فى الحلف ؛ ويدعم تلك الحجة اليونانية أن الذى كان يقود تلك المناورات ، كان قائداً بحرياً تركيا .

وتجدر الإشارة بهذا الخصوص أيضا إلى أن المصادر الرسمية فى مقر حلف شمال الاطلسى فى بروكسل كانت قد أكدت صدق ظن المسؤولين اليونانيين ، بمعنى تولى الضباط الأتراك قيادة القوة الجوية التكتيكية ، والقوات البرية للجناح الجنوبى الشرقى فى حلف شمال الاطلسى ، إعتباراً من النصف الثانى من عام

## ٢٢٢ -

١٩٧٧؛ ونقل عن مصادر الحلف قولها أن قيادتي هذين التشكيلين تقعان في أزمير، في غرب تركيا، ويقودهما الضباط الأمريكيون.

أما رد فعل وزارة الدفاع اليونانية عقب ذلك، فجاء متضمناً أن وضع مقر الحلف في أزمير تحت قيادة تركية لن يؤثر في موقف اليونان من الحلف؛ بل أن ذلك يعنى اليونان في كثير أو قليل، لأن اليونان قد انسحبت من مقر الحلف بأزمير في صيف عام ١٩٧٤، وأنها لا تنوى العودة إليه وخاصة بعد أحداث قبرص في نفس العام (١).

---

(١) راجع : احمد نوري النديم « الموقف التركي من أزمة قبرص بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ في : مجلة العلوم السياسية والتأنيوية » العدد الثاني ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٧ من ص ٢٣٥ - ٢٤٠ .

# الباب السادس الغزو التركي لقبرص





# الفصل السابع عشر

## الغزو

### ١ - خلفية الغزو :

**أولا :** كانت الحكومة التركية قد تيقنت من أنها إذا لم تسارع بالقيام بعمل عسكري فعال في الجزيرة التي لا تبعد عن شواطئها بأكثر من ٤٠ ميلا ، ويكون فيها الاترك نحو ١٠ من سكانها ؛ فان نظام الحكم الذي أقامته سلطات الانقلاب في الجزيرة ، سرعان ما يصبح شرعيا كأمرا واقع . كما أدركت تركيا أن المشكلة القبرصية لا بد أن تقع مرة أخرى في خضم التتبعيدات الدولية ، التي لن تسفر إلا عن أحكام قبضة القبارصة اليونانيين الموالين لائتينا ، على شؤون الحكم في قبرص ؛ ولا شك في أن مسألة روديسيا ومشكلة إيرلندا الشمالية وغيرها من الأزمات السياسية ، التي لم تؤد لإطالة مدتها الزمنية إلى حلها ، كانت كلها في ذهن واضعي السياسة التركية تجاه الانقلاب القبرصي .

**ثانيا :** من جهة ثانية فقد تدهورت العلاقات اليونانية التركية بشدة منذ بداية عام ١٩٧٤ بسبب النزاع بين البلدين حول مناطق التنقيب عن البترول في بحر إيجه . وإنهيارات محادثات الحكومة التركية في العنف الانقلابي الذي تورطت فيه الحكومة اليونانية العسكرية منذ نظام مكاريوس في قبرص ، وكان ذلك يعتبر فرصة سانحة للتدخل العسكري في الجزيرة ، لكي يتوطد وجود تركيا الفعلي في منطقة الجزر التي ظهرت بها المؤشرات البترولية المذكورة (١) .

---

Nicos, Karanidiotis "The Cyprus Problem, op. cit. pp. (١)

**ثالثاً :** لم تنس الحكومة التركية ، والرأى العام التركى ، السوابق التاريخية للتعصب القومى اليونانى الشديد ، فى مواجهة الأقليات التركية ، سواء فى جزيرة كريت حيث ذبحت السلطات اليونانية عدداً ضخماً من أبناء الجالية التركية بها ، وفى ظرف عدة شهور ، أخلت الجزيرة تماماً من العنصر التركى ؛ وكان ذلك عقب الحرب العالمية الأولى ، أو فى جزر ساموس ليسبوس ، التى لاتبعد عن الشواطىء التركية بأكثر من خمسة كيلو مترات فقط .

**رابعاً :** يضاف إلى الاعتبارات السابقة ، والمتعلقة بالعداء التقليدى التاريخى بين اليونان وتركيا — ضمن خلفيات الغزو التركى لقبرص — عامل يرجعه إلى الموقف السياسى الداخلى فى تركيا ؛ فلقد شهدت البلاد فى الفترة السابقة مباشرة على غزو قبرص ، سلسلة من الازمات الاقتصادية والإضرابات التى شملت قطاعات متعددة ، مبنية وإنتاجية وتجارية . هذا بالإضافة إلى تقاعد عمليات العنف من قوى اليسار من بين الشباب والطلاب الاتراك ، وتكرار صدامات الحكومة معها . وبعد وفاة عصمت إينونو ، الرئيس السابق للجمهورية تركيا ، إفتقدت السياسة التركية الشخصية القوية التى تجمع حولها أغلبية الرأى العام فى البلاد . ولذلك جاء إختيار رئيس الوزراء بولنت إيجيفيت نتيجة لمشاورات ومساورات حزبية ، دامت ثلاثة أشهر كاملة ؛ وظل إيجيفيت يواجه متاعب تفكك الائتلاف الوزارى القائم . وقبل الغزو التركى لقبرص بأيام قليلة ؛ تخرج مركز إيجيفيت بعد أن نجح حزب العدالة ، بزعامة سليمان ديميريل ، فى جذب عدد كبير من النواب ضد مشروع قانون العفو الذى قدمته الحكومة للبرلمان ، وذلك حتى لايشمل هذا المشروع مسائل العفو عن المتهمين السياسيين . وجلساً رئيس الوزراء إلى المحكمة الدستورية التى أصدرت حكماً لصالح الحكومة . وبعد أزمة قبرص ، استطاع رئيس الوزراء ، بعد نجاح الغزو التركى للجزيرة ، أن يحصل

على شبه إجماع الرأى العام التركي فى داخل وخارج البرلمان . (١)

**خامساً :** تدهور العلاقات بين تركيا واليونان إلى أدنى درجة لها فى عام ١٩٧٤ ، وقد بلغت هذه العلاقات المتوترة ذروتها نتيجة للأحداث فى المناطق المتنازع عليها من بحر إيجه . ولما كانت كل من تركيا واليونان عضوين فى حلف شمال الأطلسى ، فإن التوتر فى العلاقات بينهما يؤدى على المدى البعيد إلى إنبهار الجناح الجنوبي لحلف شمال الأطلسى . ويعود توتر هذه العلاقات بين الدولتين إلى الانقلاب العسكرى الذى وقع فى قبرص فى ١٥ يوليو ١٩٧٤ ؛ ولم يكن الانقلاب — فى حقيقته — مفاجئاً لأحد داخل جزيرة قبرص ، لأنه منذ عام ١٩٧٢ ، والحلاف يتصاعد بين الأسقف مكاريوس وبين حكومة اليونان العسكرية ، نتيجة محاولات الحكومة اليونانية المستمرة لقلب نظام حكم مكاريوس ، الذى كان يرغب الانضمام الى حلف شمال الأطلسى ، واستخدام الأراضى القبرصية كقواعد للحلف .

وتجدر الإشارة الى ان قادة الحرس الوطنى فى قبرص ، وهم من الضباط اليونانيين ، قد حاولوا بتأييد من اليونان — الاطاحة بحكم مكاريوس ، وهو ماجعل مكاريوس يطالب وقتئذ أن يكون الحرس الوطنى فى قبرص تحت سلطات حكومته مباشرة ؛ وتلى ذلك صدور الأوامر لقادة الحرس الوطنى فى قبرص بمغادرة الجزيرة ، نظراً للدور غير الشرعى الذى مارسه الضباط

- 
- Hamit, Batu, "New Development in Turkish Foreign Policy" The Atlantic Community Quarterly, Vol. 15, No. 3, 1977.
  - Adam, T.W. Cyprus — Reluctant Republic", The Middle East Journal, 1974.

اليونانيون العاملون في الحرس الوطني في دعم منظمة أيوكا السرية ؛ وعلى أثر ذلك عقدت قيادة القوات المسلحة اليونانية إجتماعا في ١٣ يوليو ١٩٧٤ لمناقشة أبعاد طلب الرئيس مكاريوس ، والخطوات الكفيلة بمواجهة الموقف المتأزم ، مما حدا ببعض الأوساط العالمية للتأكيد على إمكانية تدخل اليونان قبرص ، الذي بات أمراً محتملاً .

ومن منظور تاريخي ، فقد كانت العلاقات المتوترة بين الرئيس مكاريوس والنظام العسكري في اليونان . لها جذورها ؛ فمُنذ إستقلال قبرص والرئيس مكاريوس يرفض الإتحاد بين قبرص واليونان ، فضلا عن إتمام حكومة قبرص للحكومات اليونانية المتعاقبة بمساعدة منظمة أيوكا « السرية » ؛ كذلك فقد تأزمت العلاقات بين قبرص واليونان ، منذ بداية أغسطس ١٩٧٣ ، نتيجة لزيادة نشاط منظمة «أيوكا» السرية؛ الأمر الذي جعل جورج بابا دويلولس، الرئيس الأسبق لليونان ، يطالب بوقف نشاطات منظمة أيوكا ؛ بل وأن تحل المنظمة نفسها ؛ وكان هدف اليونان من وراء ذلك هو التظاهر بعدم تأييد أو مساندة هذه المنظمة ، وقد سبق أيضا أن الرئيس مكاريوس كان قد طالب النظام العسكري في اليونان بسحب جميع الضباط العاملين في الحرس الوطني ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يسيطر تماماً على القوات المسلحة في الجزيرة ، والتي كانت خاضعة لتوجيهات الضباط اليونانيين ، لم تدعن لائحة الرئيس مكاريوس ، وتحركت في وقت مبكر؛ فنشبت إشتباكات بينها وبين القوات المسلحة ، في ٥ يوليو ١٩٧٤ ؛ أي في اليوم الثاني لطلب الحكومة القبرصية لسحب الضباط اليونانيين العاملين في الحرس الوطني .

**سادسا :** إستغل مكاريوس الاضطراب السياسي الذي كان يسود اليونان وقتئذ من أجل القضاء على كل ما يهدد حكمه في الداخل ، وأكد في مناسبات

عديدة أن الشعب القبرصي يعاني من إرهاب منظمة أيوكا ؛ وعلى الرغم من أن صحيفة « هارلفى » القبرصية قد كشفت المخطط الكامل لمنظمة « أيوكا » السرية وخطط الحرس الوطنى ، إلا أن حكومة قبرص لم تتخذ ما يكفل القضاء على هذا المخطط . فقد أكدت الصحيفة أن منظمة « أيوكا » تريد تنفيذ مؤامرة قبل العشرين من شهر يوليو ، لاسباط مشروع الرئيس مكارىوس المتعلق بانتهاء الحرس الوطنى . وأضافت الصحيفة قائلة : « ان المنظمة قامت بتوزيع الرزى العسكرى على أفرادها ، بهدف تنفيذ خطة تؤدى إلى صدام مسلح بين الحرس الوطنى والسلطات الأمنية ، كما تهدف خطة المنظمة إلى القيام بأعمال إغتيالات واسعة النطاق ، تشمل المسؤولين والسياسيين البارزين المعارضين لها ، وحذرت الصحيفة حكومة الرئيس مكارىوس من أن منظمة « أيوكا » السرية ، وبدعم من ضباط الحرس الوطنى ، تحاول القيام بحركة إنقلابية ؛ وقد حدث هذا بالفعل .

## ٢ - نتائج الغزو :

### أولا : التطورات اللاحقة :

ترتب على الانقلاب العسكرى فى قبرص مجموعة نتائج سياسية وعسكرية ذات أهمية بالغة سواء بالنسبة للدولة (١) القبرصية ، محليا أو على صعيد منطقة البحر المتوسط — إقليميا — أو على صعيد المجتمع الدولى — عالميا . ففى ١٩

(١) Adam, T.W., Cyprus — Reluctant Republic”, pp, cit.

وراجع أيضا فى تفصيل ذلك :

Crawshaw, Nancy, “Cyprus” Problems of Recovery, The World Today, Vol: 32, No. 2, February, 1976, pp. 25—30,

يوليو — أى بعد وقوع الانقلاب بأربعة أيام ، أنذر بولنت إيجيفيت ، رئيس وزراء تركيا ، فى محادثاته بشأن أزمة قبرص ، مع جوزيف سيسكو مبعوث الرئيس الأمريكى نيكسون ، فى لندن ، بالتدخل العسكرى فى الجزيرة ، إذ لم يتم تحقيق مطالب أساسية ؛ وهى سحب ضباط القيادة الانقلابية ، وضمان حماية الجالية التركية ، وإعادة حكومة مكاريوس . ثم طلبت تركيا من الحكومة البريطانية التدخل العسكرى فى أزمة قبرص ، غير أن جيمس كالاهاى ، وزير خارجية بريطانيا ، أعلن أن بلاده « تنوى البقاء خارج الأزمة القبرصية فى تطوراتها الحالية » .

وفى اليوم التالى مباشرة — أى فى ٢٠ يوليو ١٩٧٤ — بدأت القوات التركية تغزو جزيرة قبرص ، جوا وبحرا ، فى نيقوسيا وكيرينيا فى الشمال ، ولیماسول فى الجنوب ، ولقد إستتدت تركيا فى تدخلها العسكرى فى الجزيرة إلى نص المادة ( ٤ ) من معاهدة الضمان ، الموقعة بين تركيا وبريطانيا واليونان لعام ١٩٦٠ ، حيث جاء فى هذه المادة أنه يحق لتركيا العمل العسكرى ، فى حالة تدهور الأوضاع فى الجزيرة ، وتعرض إستقلالها إلى الخطر ؛ وبلغ مجموع القوات التركية التى نزلت إلى الجزيرة ستة آلاف جندي ؛ وجاء رد الفعل اليونانى ، من جانب الحكومة اليونانية ، فى صورة إعلان التعبئة العامة ، وإستدعاء جميع الاحتياط ، كما قامت اليونان بإجراء حشود ضخمة من قواتها على حدودها الشرقية مع تركيا ، وتجمعت نذر الحرب بين الدولتين ، ووجه وزير خارجية اليونان إنذاراً إلى سفير تركيا فى أثينا بوقف عمليات الإنزال فى قبرص .

وفى رد رئيس وزراء تركيا على الإنذار اليونانى ذكر ما يلى : « إن الاجراء اليونانى فى قبرص من شأنه أن يودى إلى إنتهاك إستقلال الجزيرة ، وأن الغرض الاساسى من عملية الانزال العسكرى فى قبرص ليس حماية الأتراك فحسب ، بل

أيضا حماية القبارصة اليونانيين ..... ؛ ولقد إصطدمت القوات التركية بالقوات اليونانية في معركة بحرية بالقرب من يافوس ، على الساحل الجنوبي الغربي لقبرص ، وجاء ذلك بعد أقل من يومين فقط من إعلان تركيا انزال قواتها بالبحر والجو في قبرص ؛ ولكن الصدام توقف بعد الجهود الدبلوماسية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

أما وكالات الأنباء الغربية فقد جاءت تعليقاتها حول إحتمال الحرب بين تركيا واليونان من أن هذه الأخيرة — أى اليونان — لودنلت الحرب مع تركيا صاحبة أقوى جيش في شرق البحر المتوسط فإنها سوف تساق تدميراً (١) وهزيمة كبيرة وعققة ؛ وربما إستندت وكالات الأنباء الغربية في آرائها هذه على مقولات من جانب المسؤولين اليونانيين ، من أن الظروف عند اليونان ، وكذا على ما ذكره رئيس وزراء اليونان وقتئذ بصفة خاصة ، من أن دخول اليونان في حرب مع تركيا يتطلب دخول القوات الجوية اليونانية الحرب ؛ ولأن المسافة بعيدة بين تركيا واليونان ؛ فإن الحرب مع تركيا كما أضاف كرافيلس رئيس الوزراء اليوناني — تكون غير ذى جدوى ؛ وربما كانت مثل هذه المقولات قريبة من الواقع ، لأن القوات لتركية المتحركة من قواعدها في الأناضول — والتي لا تبعد أكثر من ١٦٠ كم عن قبرص — بإمكانها الوصول إلى أهدافها

Ibid.

(١)

وراجع أيضا ، نازلي معوض احمد ، الصراع العرقي اليوناني في الجزيرة القبرصية ،

مرجع سابق ، ص ص ١٦٠ - ١٦٢ .

— Nicos; Karanidiotis 'The Cyprus Problem', op. cit., pp. 56 — 60.

بسهولة تامة. في حين أن أقرب القواعد الجوية اليونانية في جزر ردوس وكريت، كانت تبعد عن قبرص ٤٠٠ كم .

كذلك فقد دعمت وكالات الأنباء الغربية وجهة نظرها بشأن التفوق التركي على اليونان بأنه نظراً لقرب الجزر اليونانية من السواحل التركية فإن هذه الجزر تصبح تحت رحمة القوات التركية ، وإن بإمكان القوات التركية أن تلحق بالتالي الهزيمة بالقوات اليونانية في تراقيا ، وخلال خمسة أيام ، وتفتح أمامها الطريق إلى ساو نيك وعموما ، فقد أدى الانزال التركي في قبرص إلى سيطرة القوات التركية ، التي وصل تعدادها إلى ثلاثين ألف جندي على القطاع الشمالي من قبرص ؛ وبمعنى آخر فإن تعداد هذه القوات ، طبقاً لبيانات المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن، يبلغ حوالي ثلاثة أمثال القوات المسلحة اليونانية؛ وتقول هذه البيانات أن مجموع القوات المسلحة التركية النظامية ٤٥٥ ألف جندي ، يضاف إليهم نحو ٨٠٠ ألف من قوات الاحتياط في حين أن مجموع القوات المسلحة اليونانية النظامية ١٦٠ ألف جندي، يضاف إليهم نحو ٢٠٠ ألف من قوات الاحتياط ؛ وهذه الاحصائية ، التي أوردها المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، تفسر السبب الذي جعل الحكومة اليونانية تقبل إيقاف القتال، بسبب التفاوت الكبير بين حجم وفعالية إمكانياتها العسكرية ، وبين القوات المسلحة التركية .

ولقد قبلت تركيا إيقاف القتال ، كمقدمة قصيرة لالتقاط الانفاس ؛ تعاود بعدها تحركاتها العسكرية في قبرص ، لتوطيد وجودها في أنحاء الجزيرة ، حيث تمكنت تركيا بالفعل من السيطرة على حوالي ٤٠ ٪ من الأراضي القبرصية ؛ ويرى البعض أن هذه العملية العسكرية من قبل تركيا قد أدت من جانب آخر إلى خدمة الاستراتيجية التركية ، لأنها استطاعت استخدام حوالي ٤٠ ٪ من مساحة جزيرة قبرص لصالح استراتيجيتها ، وخاصة أزاء أساس الدولة القبرصية المستقبلة كما تراها تركيا ، وكان من نتيجة الانزال العسكري التركي هو هجرة



١٦٠٠٠ يوناني من أماكنهم في القطاع الشمالى ؛ كما ترك حوالى ٠٠ ٠٠ يوناني بيوتهم لأنها استخدمت كمخيمات للجيش التركى .

وتجدر الإشارة إلى خلفيات هذا العنف التركى الشديد والسريع فى مواجهة تطورات المشكلة القبرصية .

### ثانيا : نتائج الغزو بالنسبة لقبرص :

لم تمر ثمانى وأربعون ساعة على بدء الغزو التركى لقبرص حتى ترتبت عليه تطورات خطيرة الأثر بالنسبة لكل من قبرص واليونان . فلقد قدم نيكولاس سامبسون ، الرئيس الذى عينته سلطات الانقلاب إستقالته ، بعد أن ظل ثمانية أيام فقط فى منصبه ، وخلفه جلافكوس كلاريديس ، رئيس المجلس الوطنى ( البرلمان ) ونائب الرئيس مكاريوس . وكلاريديس هو مؤسس وزعيم الحزب الديموقراطى الموحد ، اليمينى المعتدل ، الذى دافع دائما عن سياسة الرئيس مكاريوس فيما يتعلق بمستقبل قبرص وكيفية حل المشكلة الطائفية عن طريق المفاوضات المباشرة ، فى إطار فكرة استقلال الجزيرة كدولة ذات سيادة ، وكان كلاريديس يحظى أيضا باحترام الأقلية التركية ، بعد أن مثل الجانب اليونانى فى المفاوضات التى دارت بين زعماء الجاليتين ، فى أواخر أعوام الستينيات . وكان أول إجراء إتخذه كلاريديس ، بعد تعيينه رئيساً للجمهورية ، هو الاجتماع مع رموف دنكناش ، زعيم طائفة القبارصة الاتراك ؛ بحضور قادة قوات الأمم المتحدة بالجزيرة ، لبحث وسائل تنفيذ وقف إطلاق النار . وهكذا

أنهى الغزو التركي سيطرة قادة الانقلاب العسكرى من جنـباط الحرس الوطنى على مقاليد الحكم فى قبرص .

### ثالثا : نتائج الغزو بالنسبة لليونان :

شهدت اليونان تحولا جذريا فى أوضاعها السياسية الداخلية على أثر الغزو التركى لقبرص ؛ فالحكومة العسكرية برئاسة أدامنتيوس أندرو تسوبولوس ، بعد أن أخطأت خطأ فاحشا فى أسلوب معالجة خلافاتها بالنظام السياسى القبرصى ، أذعنـت لضغوط الجيش الثالث ، بقيادة الجنرال ايدانىس دافوس ، وهو الجيش الذى توجد مراكزه فى سالونيكاً ويشرف على منطقة الحدود بين تركيا واليونان . ولـستـمـالت الحكومة العسكرية ، مع بقاء الجنرال فيدون جينيكس رئيسا للجمهورية . وأعلنت القوات المسلحة اليونانية أنها قررت التخلـى عن الحكم فى البلاد ، وتسليم زمام الأمور إلى حكومة مدنية . ولـستـدعى الرئيس جينيكس ، قسطنطين كارامانليس ، رئيس وزراء اليونان الأسبق فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٣ ، من منفاه بباريس ، ليشترأس الوزارة المدنية الجديدة .

ولقد تمكن هذا السياسى المخضرم فى غضون ساعات قليلة ، من عودته إلى بلاده ، من تشكيل حكومة جديدة ، من أحد عشر وزيرا ، منهم خمسة من نواب حزب الاتحاد الوطنى الراديكالى السابقين ، وهو الحزب الذى كان كرامانليس قد أسسه قبل ذلك — ، وثلاثة من نواب حزب إتحاد الوسط ، الذى يتزعمه جورج مافروس وزير الخارجية ، وثلاثة من المستقلين . وقررت حكومة كرامانليس إصدار عفو عام عن جميع المسجونين السياسيين ، والغاء المعتقل الذى أقامته الحكومة العسكرية السابقة فى جزيرة ياروس ، فى بحر إيجه . كذلك أعفيت الحكومة المدنية الجديدة البريجيادير ديمتريوس يوانيدس ، قائد الشرطة العسكرية من منصبه ، وأصدرت مرسوما دستوريا يفضى بادخال ١٣ تعديلا

على دستور سنة ١٩٥٢، الذي أعيد العمل به منذ أول أغسطس سنة ١٩٧٤؛ وتشمل هذه التعديلات ضمان حقوق المواطنين ، واستقلال القضاء وإخضاع الجرائم الصحفية للمحاكم العادية ، وتوفير الضمانات لحرية التعبير، ونزاهة الانتخابات، وهكذا تسميت أحداث قبرص في جعل رياح الحرية السياسية تهب على اليونان ، بعد سبع سنوات من الدكتاتورية العسكرية وتمتعت اليونان بحكم مدني يتسم بالديمقراطية التقليدية . (١)

---

(١) نادى م. رض احمد ، المراع الفركى اليونانى في الجزيرة القبرصية ، مرجع سابق  
 في مجلة، وغانان العاطية ، « حول الأزمة القبرصية » ، مرجع سابق .  
 — Nicos Karanidiotis "The Cyprus Problem, op, cit.

# الفصل الثامن عشر

## التبريرات والمفاوضات .

### ١ - دوافع تركيا لغزو قبرص ( التبريرات التركية ) :

بررت تركيا إنزال قواتها في قبرص بأنها تدافع عن حقوق الطائفة التركية في الجزيرة ، والتي يبلغ عددها ٢٠٪ من مجموع السكان .

ولقد استغلت تركيا الانقلاب العسكرى في قبرص كى تحسم الصراع على جزر بحر إيجه ، ولأسيما عندما استطاعت اليونان الحصول على البترول من قاع بحر إيجه ؛ وكانت تركيا قد فقدت هذه الجزر في العشرينيات من هذا القرن ، نتيجة للحرب التي قامت بين تركيا واليونان ؛ وترى تركيا أن هذه الجزر متاخمة للأناضول ؛ وبالمقارنة باليونان فإن هذه الجزر تبعد عنها بمئات من الكيلومترات ؛ وفي خضم هذه الأحداث ، قامت تركيا بإرسال سفينة بحث ؛ وردت اليونان بمذكرة احتجاج مطالبة فيها بسحب سفينة البحث التركية ؛ غير أن سليمان ديمريل ، رئيس الوزراء وقتئذ ، أعلن أن السفينة ستستمر في مهمتها في بحر إيجه (١) ، وتنفيذ برنامجها المحدد ، بالرغم من احتجاجات اليونان .

وعموما فقد جاءت قضية جزر بحر إيجه لتخلق جواً من عدم الاستقرار السياسى في كل من تركيا واليونان ، وتزيد التوتر في العلاقات بينهما ، خاصة وأن

(١) يرجع في تفصيل ذلك إلى :

أحمد نور محمد ، الصراع التركى اليونانى على بحر إيجه ، في : مجلة الحقوق ،

العددان الأول والثانى ، بغداد ، ١٩٧٧ .

تركيا لم تنس الحرب الدامية التي كانت قد خاضتها مع اليونان في بداية العشرينات من هذا القرن .

وهناك أيضا الدور المؤثر للأحزاب السياسية التركية على الازمة القبرصية ؛ فالأتراك يعتبرون إحتلال ٣٨ ٪ من جزيرة قبرص بمثابة عملية تحرير لمواطنيهم ؛ والأحزاب السياسية التركية على إختلاف وجهات نظرها ، لا تقبل بعودة القبارصة الأتراك الى وضعهم القديم ؛ وهذا يفسر السبب في تنافس الأحزاب السياسية الكبيرة — وعلى رأسها حزب العدالة بزعامة سليمان ديميريل ، وحزب الشعب الجمهوري برئاسة بولند أجويد — تنافس هذه الأحزاب على إثارة المشاعر القومية التركية ، ثم تعهدها بعدم الرضوخ لأي ضغط أجنبي من شأنه أن يؤدي إلى التنازل عن أي شبر من الأرض التي إستولت عليها القوات التركية ؛ بل أن حزب الشعب الجمهوري قد إستغل هذا الموضوع في الانتخابات النيابية ، التي كانت على وشك أن تجرى في تركيا ، في الحصول على أغلبية المقاعد في المجلس الوطني التركي ، وباعتبار هذا الحزب بمثابة المنتد ، الذي تمكن من تحرير الاقلية القبرصية التركية من سيطرة الاكثية القبرصية اليونانية .

وأدت هذه المنافسة الحادة بين الحزبين الكبيرين إلى إحداث انتخابات دامية ، لاسيما وأنها — أي هذه المنافسة — قد تطرقت إلى نقد السياسة الخارجية التركية ؛ فخليفة عصمت إينونو حمل شعار ونجوب التدخل من النفوذ الأمبريكي ؛ فإما أن تكون هناك علاقات بين تركيا وأولايات المتحدة تقوم على مبدأ الد للند ، وإما أن تنتهي العلاقة مع أمريكا بانسحاب تركيا من الإتحالف العسكرية ، وإزالة القواعد العسكرية فيها . وعلى هذا الأساس ، فليس من حق الولايات المتحدة من وجهة النظر هذه من جانب قادة الشعب الجمهوري — التدخل أو ممارسة

الضغط على تركيا ، لارغامها على تقديم تنازلات لليونان من قبرص (١) ؛ أما سليمان ديمريل ، خليفة عدنان مندريس ، فقد اضطر إلى المزايدة على أجويد بشأن مصير الأزمة القبرصية ؛ ولم يكن باستطاعته التساهل في هذا الموضوع ، وإلا خسر ثقة الناخبين ، وقيادات الجيش التركي التي مازالت تملك بجميع خيوط الدبلوماسية التركية .

أما فيما يتعلق بحزب الإنقاذ الوطني ، الذي شكل الائتلاف الحكومي بزعامة أجويد ؛ فقد أكد هذا الحزب ضرورة سيطرة القوات المسلحة التركية على الجزيرة كلها ؛ وعلى ذلك فإن نجم الدين إريكان زعيم الحزب ، لم يؤيد خطة أجويد ، فيما يتعلق بالحكم الفيدرالي في جزيرة قبرص . وتجدر الإشارة فيما يتكون حزب الإنقاذ الوطني إلى أنه كان جناحا في حزب العدالة ، لكنه انفصل عنه في يناير ١٩٧٠ ؛ ثم تكون هذا الحزب - حزب الإنقاذ الوطني - بقرار من المحكمة الدستورية و بعد تدخل الجيش في مارس ١٩٧١ ؛ كذلك تأتي أهمية ما اتخذته هذا الحزب من قرارات على صعيد الرأي العام التركي ، واستقطابه لتأييده ، مما يدعو إليه هذا الحزب من إقامة توازن بين تركيا وحلف شمال الأطلسي ؛ وذلك لتحقيق مصالح تركيا ؛ وإعتنق الحزب أيضا المبادئ الإسلامية ، وطالب باعادة دروس الدين الاسلامي إلى المدارس ، ومثل شعاره « الله والاخلاق ، أملا لدى الجماهير التركية ، مما جعل الحزب يمثل نفسه في المجلس الوطني التركي بـ ٤٨ مقعداً ، بموجب إنتخابات عام ١٩٧٣ (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٢) يرجع في تفصيل ذلك .

وعموما — فإنه فيما يتعلق بوجهة النظر التركية (١) ، انبرير تدخلها في جزيرة قبرص ؛ فإننا نجد أن الحجة الأساسية لهذا التدخل المسلح جاءت تحت ذريعة نصرة القبارصة الأتراك المضطهدين؛ ولقد أرضت هذه التبريرات طبقات الجميع التركي ، التي سادتها البهجة نتيجة لإنزام اليونان ؛ وحتى أوساط اليسار التركي ، إعتبرت التدخل التركي المسلح في جزيرة قبرص كوسيلة لزعة النظام العسكري في أثينا ، الذي كان الكولونيالات على قمته ؛ أما بالنسبة لأجويد ، فإن التدخل كان بمثابة فرصة ذهبية لاستقطاب العسكريين والمعارضة اليمينية إلى جانبه ، وبالتالي لتحقيق نوع من الوحدة المقدسة . ولقد أثار التدخل التركي المسلح في جزيرة قبرص ردود فعل مختلفة سوف تتعرض لها في موضع لاحق من هذه الدراسة ؛ ولكن ما ينبغي التركيز عليه هنا ، هو الموقف السوفيتي (١) حيث جاء

---

Israel", in : The World Today, Vol. 30, No. 4, April, —  
1974, p. 176.

— احمد نوري محمد النعيمي ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق ص ص  
٢٤٠ - ٢٤١ .

(1) Turkish Foreign Policy Report, Ministry of Foreign  
Affairs, Ankara, August, 1974 & No. 15, July 1, 1976.

(١) راجع في تفصيل الموقف السوفيتي وجدوره تجاه تركيا وقبرص :

— George, S., Harris. The Origines of Communism in  
Turkey, Hoover Institution Publications, Stanford,  
California, 1967.

— Karpap, Kemal H., "Society Economic and Politics  
in Contemporary Turkey", World Politics, A Quarterly  
Journal of International Relations, Vol. XVII, No. 1,  
October 1964.

سفير الاتحاد السوفيتي في أنقرة ، ليؤكد لرئيس الجمهورية التركي تفهم الكرملين؛ وهكذا أعتبرت أكثرية الرأي العام التركي هذا التدخل بمثابة عملية عسكرية ناجحة ، فضلا عن أن إحتلال الجزء الشمالى من الجزيرة قد مثل حقيقة ، من وجهة النظر التركية ، وهى أن التقسيم بات هو الطريقة الوحيدة لحماية الأقلية التركية في قبرص .

## ٢ - المفاوضات المباشرة بين طرفى المشكلة :

أدى التغيير فى نظام الحكم فى كل من قبرص واليونان إلى ظهور إمكانيات التفاوض المباشرة بين تركيا واليونان ، حول مستقبل قبرص . فقد قبلت كل من أنقرة وأثينا الدعوة البريطانية<sup>(١)</sup> للتباحث حول الازمة ، وخضعتا للضغوط المتضافرة ؛ التى قامت بها الدبلوماسية الامريكية ، والدول الاوربية الاعضاء فى السوق الاوربية المشتركة ، من خلال جهود وزير الخارجية الفرنسى . وفى ٢٥ يوليو ١٩٧٤ ، بدأ فى جنيف المؤتمر الثلاثى للسلام فى قبرص ، بين وزراء خارجية بريطانيا وتركيا واليونان [ الدول الثلاث الضامنة لاستقلال قبرص وفقا لمعاهدة الضمان لسنة ١٩٦٠ ] ، وبحضور ممثل للأمم المتحدة ،

- 
- Giritli, Ismet, "Turkish — Soviet Relations", Indiana Quarterly : A Journal of International Studies, No. 1, Vol. XXVI, January—March, 1970.
  - Batu, Hamit, "New Development in Turkish Foreign Policy", The Atlantic Community Quarterly Vol. 15, No. 3, Fall, 1977.

(١) راجع :

Kurkcuglu, Omer, British Policy During 1974 Cyprus Crises" Dis Politica, Nos. 2 — 3 February 1975, Ankara.



كمراقب ، هو روبرتو جوير ، المساعد الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة .  
ولم توضح خلال أيام انعقاد المؤتمر مدى عمق وحدة التضارب بين وجهتي نظر اليونان  
وتركيا ، بشأن تنظيم المستقبل السياسي القبرصى .

وفي اليوم الثالث للمؤتمس ، تقدم طوران جينيس ، وزير خارجية تركيا ،  
بمشروع لاتفاق شامل ، يتضمن لاتخاذ إجراءات عاجلة لضمان إحترام وقف  
اطلاق النار في قبرص ، وإيجاد مناطق فاصلة بين القوات التركية واليونانية ، على  
ان تشرف عليها قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة ، وأن تقوم بريطانيا  
وتركيا واليونان بالإشراف على مطار نيقوسيا ، مع إحترام الحقوق والتسهيلات  
التي تتمتع بها القوات البريطانية في المنطقة ، وأن يستعيد نائب رئيس جمهورية  
قبرص ، وهو تركي ، سلطاته ، كما يستعيد قبرص وضعها الطبيعي كدولة ذات  
قوميةتين . وأخيرا طالب المشروع التركي باقامة إدارتين تتمتعان بالاستقلال  
الذاتي في الجزيرة ، إحداهما تركية والأخرى يونانية . غير أن الجانب اليوناني  
رفض هذه المقترحات ، بدعوى . أنها كانت تهدد إستقلال الجزيرة ، وأصر على  
أن هدف مؤتمر جنيف هو تطبيق قرار مجلس الأمن بشأن قبرص ، والذي يقضى  
بإقرار السلام والعودة للنظام الدستوري ، وإنسحاب الجيوش الأجنبية أولا .  
وأعلن جورج مافروس ، وزير خارجية اليونان ، أن تسوية المشكلة القبرصية  
لا يمكن أن تتم على مائدة المفاوضات إلا باشتراك ممثلين عن الشعب القبرصى .

ولقد توصل المؤتمر في ٣١ يوليو ١٩٧٤ إلى اتفاق بشأن قبرص ، وصفه  
المراقبون بأنه يعطى تركيا قبضة (١) عسكرية حديدية على الجزيرة ، كما يكفل بقاء

---

(1) Ibid.

— Newsweek August 26, 1974.

وراجع أيضا :

— The International Herald Tribune, November 8, 1976

قبرص مقسمة إلى أجل غير مسمى ، إذ لم يلزم هذا الاتفاق تركيا بسحب قواتها الغازية ، وإنما قضى فقط بخفض هذه القوات ووقف إطلاق النار . كما تقرر إستئناف التشاور الدبلوماسي على مستوى وزراء الخارجية الثلاثة ، يوم ٨ أغسطس ١٩٧٤ ، لبحث المشكلات الدستورية لقبرص . وبناء على هذا الاتفاق ، أصدر مجلس الأمن قراراً بتفويض قوات الأمم المتحدة في قبرص سلطات إضافية للمحافظة على وقف إطلاق النار بين القوات التركية واليونانية ، وذلك بأن يتسبح إختصاص القوات الدولية في الجزيرة ، بحيث لا يقتصر على مهمتها الأصلية منذ سنة ١٩٦٤ ، وهى مجرد حفظ السلام بين القبارصة اليونانيين والأتراك في المناطق التي يختلط فيها سكان الجانبين ، بل يمتد كذلك ليشمل إستخدام هذه القوات في منطقة أمن عازلة . وتقام بين القوات التركية وقوات الحرس الوطني اليوناني القبرصي .

غير أن الإشتباكات العسكرية قد إستمرت في أنحاء واسعة من جزيرة قبرص ، حتى إستأنف وزراء خارجية تركيا واليونان وبريطانيا إجتماعهم في جنيف يوم ٨ أغسطس ، في محاولة لتدعيم النواحي التنفيذية الفعلية لقرار وقف إطلاق النار بين الجانبين . وإشتراك الرئيس القبرصي الجديد ، كلايريدس ، في هذه الجولة الجديدة من المباحثات ؛ معلناً إيمانه بالمحافظة على إستقلال قبرص ووحدة أراضيها ، ضمن تسوية سيامية دائمة ، تكفل إقامة حكم ذاتي واسع النطاق لطائفة القبارصة الأتراك ؛ وقد أدت هذه التطورات إلى إنهيار مؤتمر جنيف الثاني ، بعد أن رفض الجانبان اليوناني والقبرصي مقترحات تركية ، تنص على منح الأقلية التركية في قبرص - وعددهم ١١٠ ألف نسمة ، ستة أقاليم مستقلة يحكمونها ذاتياً .

كذلك فقد أدت الاشتباكات العسكرية وتصاعدها في الجزيرة إلى انفجار الموقف العسكري مرة أخرى بصورة خطيرة ؛ فاندلع القتال على أوسع نطاق ،

وتمكنت القوات التركية في منتصف أغسطس ١٩٧٤ من السيطرة على نحو ٣٥٪ من مجموع مساحة الجزيرة، إذ قامت باحتلال قطاع رئيس من شبال قبرص يمتد فاما جوستا في الشرق إلى خليج مورفو ومدينة لنيكا في الشمال الغربي، ماراً بنيقوسيا العاصمة، والفضة الوسطى للجزيرة، فيما سمي «بخط أتيلا»؛ وهو الجزء الذي يحدد القطاع التركي الذي تطالب أنقرة بإدارة مستقلة له، في إطار دولة فيدرالية؛ ولقد إنتقل الرئيس القبرصي كلايديس ووزاروه من نيقوسيا إلى ليماسول. ولقد إعتبرت تركيا أنها قد حققت الأهداف الإقليمية لطائفة الأتراك القبارصة؛ وقد أصدر بولنت إيجيفيت، رئيس وزراء تركيا بياناً يعلن فيه، بعد مجاح التحرك العسكري التركي في قبرص، أن بلاده قد بدأت وقف إطلاق النار، بعد أن تم لإرساء الدولة القبرصية الاتحادية الجديدة،<sup>(١)</sup>؛ وسرعان ما جاء رد الفعل اليوناني؛ فأذاعت حكومة اليونان بياناً رسمياً تذكر فيه أنه نظرأ لعجز حلف شمال الاطلنطي عن منع تركيا عن إثارة نزاع بين عضوين في الحلف، فقد أصدر رئيس الوزراء أمراً إلى القوات المسلحة اليونانية بالانسحاب من الأجزاء العسكرية للحلف، وأن يقتصروا على اشتراك اليونان في الحلف على عضويتها في أنشطته السياسية فقط.

ولقد أقر قرار اليونان بالانسحاب من الحلف الاطلنطي على الإنفاقيات الثنائية بين الولايات المتحدة<sup>(٢)</sup> واليونان بصفة خاصة؛ فيما يتعلق بالتسهيلات البحرية للأسطول السادس في الموانئ اليونانية، ومنها ميناء بيريه، بالإضافة إلى

(1) Ibid.

(٢) واجـع

Gonlubol, Mehmet, "Turkish — Us Relations", Foreign Policy, No. 4, December 1971, Ankara.

المنشآت الدفاعية لحلف الاطلنطي ، الموجودة على اراضي اليونان ؛ وفرضت الحكومة اليونانية فور انسحابها من الحلف ، قيوداً على الحركة في القواعد العسكرية الامريكية لديها<sup>(١)</sup>؛ ولانعكست هذه الاجراءات أيضاً عل صعيد الرأي العام اليوناني ، حيث سادت موجة عنيفة من العداء الشعبي في أمينا ضد الولايات المتحدة، بسبب إمتناع هذه الأخيرة عن التدخل لوقف تقدم الغزو التركي لقبرص وإحتاحت العاصمة اليونانية مظاهرات صاخبة ضد السياسة الامريكية في أزمة قبرص ، ورفضت الحكومة اليونانية ، في أواخر أغسطس ١٩٧٤ ، نداءً وجهه إليها هنري كيسينجر ، وزير الخارجية الامريكي ، لاستئناف المحادثات الثلاثية من أجل تسوية الأزمة القبرصية نهائياً ؛ وأوضحت الحكومة اليونانية موقفها رسمياً من حلف الاطلنطي في مذكرة رسمية أرسلتها إلى الدول الاعضاء الأربع عشرة في الحلف ، تعلن فيها إنهاء إستخدام قوات الحلف لقواعدها في اليونان<sup>(٢)</sup> ؛ ومنع إستخدام المياه الإقليمية والمجال الجوي اليوناني ، دون إذن مسبق من حكومة اليونان . وقدمت اليونان في مذكرتها تفسيراً لقرارها بالانسحاب من حلف الاطلنطي ، على أساس «أنها لا تستطيع التعاون مع حلف الاطلنطي ، على تركيا ، خرقت الاتفاقات الدولية ، وتسببت في اضرار بالغة لليونانيين القبارصة ، باحتلال تركيا لأكثر من ثلث أراضى قبرص<sup>(٣)</sup>» .

(1) Ibid.

(2) Tashan, Seyti, 'Turkish—Us Relations and Cyprus', Foreign Policy, Nos — 2 — 3, Vol. 4, February 1975, Ankara pp. 160—175.

(3) Cyprus and Turkey, Ministry of Foreign Affairs, Ankara, 1974.

وراجع أيضاً :

— Restón, James, "Cyprus Crises and Nato's Flank, in : International Herald Tribune, July 18, 1974.

— The New York Times, September 9, 1974.

## الفصل التاسع عشر

### ردود فعل الولايات المتحدة

#### ١ - موقف الولايات المتحدة (١) :

هناك محوران رئيسيان تدور حولهما السياسة الأمريكية تجاه قبرص .  
أولهما هو منع إنتقال الجزيرة إلى النفوذ السوفيتي ، فالجزيرة تتمتع بموقع  
إستراتيجي فريد في شرق البحر المتوسط ، وبذلك تمثل الحلقة الأرضية المثل  
لربط الأحلاف الغربية الثلاثة : حلف شمال الاطلسي ، والحلف المركزي ،  
وحلف جنوب شرق آسيا . وتضاعف أهمية قبرص الإستراتيجية بعد أن تزايد  
الوجود البحري السوفيتي في المنطقة ، وبعد أن أنهت كل من مالطة ولابدا القواعد  
العسكرية البريطانية والأمريكية التي كانت قائمة على أراضيها ؛ والمحور الثاني  
للسياسة الأمريكية هو أن الأزيمة القبرصية وثيقة الصلة ببنیان حلف شمال  
الاطلسي ، وإحتمالات تصدعه نظراً لكونها تحمل مقدمات دائمة للصراع العسكري  
بين تركيا واليونان . وهذا يفسر المواقف الأمريكية المهاول للغزو العسكري التركي  
لقبرص . فتركيا ، بالنسبة للولايات المتحدة ، ومصالحها السياسية والامترانية  
والاقتصادية في منطقة شرق البحر المتوسط ، هي الحليف الأقوى بكثير من الحليف  
الآخر في نفس المنطقة ، وهو اليونان . وسيطرة الحليف الأقوى على زمام الامور

(١) راجع في تفصيل ذلك :

- 'Tashan, Seyfi, "Turkish—Us Relations and Cyprus, op,  
cit, pp. 174—178.
- The New York Times, July 18, 1974.

في الجزيرة ، كفيل بتحقيق المصالح والاهداف الأمريكية في ذلك الجزء الحيوى من العالم .

من هنا جاء التأييد الأمريكى لوجهة النظر البريطانية الرسمية ، التى ترى حل مشكلة قبرص على النمط السويسرى ، بإنشاء مقاطعات يونانية وتركية منفصلة ، تحت رئاسة حكومة فيدرالية .

ومن منظور تاريخى ، حاولت الولايات المتحدة ، منذ عام ١٩٦٧ ، إيجاد تسوية سلمية لمشكلة قبرص ؛ وقد تمت مباحثات بين وزيرى خارجية تركيا واليونان في يونيو ١٩٧١ لبحث المشكلة ؛ وأكد الجانب الأمريكى في هذه المباحثات على ضرورة إيجاد مقر دائم للأسطول السادس الأمريكى ، بهدف إقامة ثلاثة آلاف من الرعايا الأمريكين وعائلاتهم ؛ وقد نتج عن هذه الاجتماعات توقيع إتفاق بين الطرفين ؛ ويدل هذا الموقف الأمريكى على مدى إهتمام الولايات المتحدة بضرورة التوصل إلى حل للمشكلة القبرصية منذ البداية .

وهذا الموقف الأمريكى تجاه مشكلة قبرص قد أخذ أشكالا عديدة ، فضلا عن تطوره حسب تطورات المشكلة ذاتها ؛ وتفسير ذلك نجده في الشواهد التالية : فعند ما حدث الإنقلاب العسكرى في قبرص ، فإن التقارير التى تسربت من وزارة الدفاع الأمريكية تدل على أن الولايات المتحدة كانت لها اليد الطولى في الإنقلاب ، لأنها كانت راغبة في الإطاحة بحكم الرئيس مكاريوس ، لأنه إنتهج سياسة عدم الإنحياز ، وأقام علاقات صداقة مع دول المعسكر الاشتراكى كما أن مكاريوس رفض إقامة قاعدة بحرية للولايات المتحدة في الجزيرة ؛ وليس هذا فحسب ، بل أن مكاريوس وقف ضد المخططات الاستراتيجية الأمريكية

في شرق البحر المتوسط (١) وهو ما يستدعي وقفة لتفسير وتعليل موقف  
مكار يوس على النحو السابق. فقد كانت جزيرة قبرص مركزاً لحملات الطائرات  
كما كانت قاعدة للقوات الانجليزية والفرنسية ، وقت الهجوم على السويس في  
سنة ١٩٥٦ ؛ ولقد عارضت اليونان في سيطرة بريطانيا على الجزيرة ، وشجعت  
الوطنيين اليونانيين فيها على طلب الانضمام إلى الوطن الأم بقيادة مكار يوس ؛  
وعجزت بريطانيا عن الصمود أمام عمليات الفدائيين ؛ واضطرت إلى الموافقة  
على إتفاقيات زيورخ ولندن سنة ١٩٥٩ مع اليونان وتركيا ؛ وبدأت بذلك  
سياسة حل وسط ، باعظائها الاستقلال للجزيرة ، واحتفاظها بالقواعد العسكرية  
تحت السيادة البريطانية ، وبضمائها بعض الميزات للأقلية التركية . ولكن  
مكار يوس — الذي أصبح رئيساً للجمهورية سنة ١٩٦٠ — كان يرغب في  
التخلص من القيود والاشتراقات والتخلفات . وزادت حدة الصدامات بين  
الجاليتين ، اليونانية والتركية في الجزيرة ، ابتداء من سنة ١٩٦٣ . وزاد التوتر  
حداً سنة ١٩٦٧ ، وأظهرت الحكومة العسكرية التركية نيتها للدفاع عن الجالية  
التركية في الجزيرة ضد الحكومة العسكرية اليونانية غير المحبوبة ، والتي كان  
العسكريون قد قاموا بانقلاب واستولوا بها على السلطة في أثينا ؛ واضطرت  
هذه الحكومة إلى اعطاء الأوامر بسحب القوات اليونانية ، التي كانت قد وضعت  
بغير طريق شرعي إلى الجزيرة ، بقيادة الجنرال جريفاس ، ولكن العداء ظل  
مستمراً بين الطائفتين ؛ وعجز الانجليز والأمريكيون عن أن يجدوا حلاً مرضياً

#### (١) راجع في تفصيل ذلك :

دكتور اسحاق سبري مقلد ، الأمن الأوروبي والتعايش السلمي بين المسلمين ،

في : السياسة الدولية ، العدد ٣٢ ، القاهرة ، أبريل ١٩٦٣ .

لكل من تركيا واليونان حليفهما في حلف شمال (١) الأطلسي . وسين أثيرت مشكلة قبرص من جديد في سنة ١٩٧٤ بالانقلاب الذي تم فيها ضد مكاريوس من أجل الوصول إلى ضم الجزيرة لليونان ، واضطر مكاريوس إلى الخروج من الجزيرة محتفظا بالسلطة الشرعية ، اضطرت تركيا إلى التدخل ، وأرسلت ٥٠٠٠ جندي إلى الجزيرة ، والجزيرة ، وإحتمت ثلثها الشمالي الذي تسكنه غالبية الأتراك ، وأظهرت عجز حكومة اليونان العسكرية عن الوصول إلى مواجهة ساخنة مع تركيا بشأن قبرص ، الأمر الذي أدى إلى فقدانها هيبتها وإلى سقوطها . وعاد مكاريوس إلى جزيرة ؛ وظلت القوات التركية في قطاعها الشمالي ، وكادت كل من تركيا واليونان وقتئذ أن تصل إلى حالة مواجهة ، وأنها عضوان في حلف شمال الأطلسي ؛ وقررت الولايات المتحدة عدم تزويد تركيا ببعض الأسلحة ، كما أعلنت اليونان إنسحابها من حلف شمال الأطلسي ؛ وحدثت الفوضى داخل الحلف (٢) .

## ٢ - معالجة الولايات المتحدة للارمة :

إن أهمية القطاع الجنوبي من حلف شمال الأطلسي لم تغب أبداً عن أذهان صانعي السياسة الأمريكية ، حتى مع تغير الموقف الأمريكي من الكتلة الشرقية وقتئذ ؛ وقد استأثرت اليونان باهتمام الولايات المتحدة ؛ وأصبح النفوذ الأمريكي في اليونان قوى جداً ، وإمتد إلى الأحزاب السياسية وجماعات الضغط

(١) راجع في تفصيل ذلك :

دكتور جلال يحيى ، العالم المعاصر ، دار المكتبة العلمية ، الإسكندرية

١٩٧٦ ص من ٤١١ - ٤١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١٣ .



ورجال الجيش ، وتنفيذ الاشارة بهذا الخصوص إلى قيام الضباط الأمريكيين بتدريب الضباط اليونانيين ، وكذلك ساد تلاحم بين المخابرات الأمريكية واليونانية ، وهذا التعاون تعود جذوره التاريخيه إلى ماقبل وصول الضباط اليونانيين إلى الحكم ؛ ولقد عمل بابا دوبولس في المخابرات الأمريكية لفترة طويلة .

وتبدو أهمية الفقرات السابقة حين نعلم أن وزارة الخارجية الأمريكية كانت غير راضية عن تصرفات هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا - وقتئذ - لئلا يحكم مكاريوس (١) ، لأن تأييد مكاريوس من وجهة نظر الوزارة ، يعنى التخلص من الحكم العسكري في اليونان ؛ غير أن هنري كيسنجر عارضه ذلك بشدة ، وبرر موقفه (٢) هذا أمام البتاجون ووكالة المخابرات الأمريكية بأن اليونان تعتبر مهمة للولايات المتحدة لأنها تخدم المصالح الاستراتيجية ، خاصة وأن هناك قاعدة عسكرية أمريكية تعتبر مقراً للأسطول الأمريكي السادس ؛ وتحتل الولايات المتحدة - من وجهة نظر كيسنجر - عن النظام العسكري في اليونان يعنى معاداة اليونان لأمريكا ، وبالتالي تعريض المصالح الأمريكية في

(١) راجع . احمد نوري النجدي ، الموقف التركي من أزمة قبرص ١٩٧٤-١٩٧٦ ،

مرجع سابق ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

— The New York Times. July 18, 1974.

Tashan, Sayfi, "Turkish—Us Relations and Cyprus", in: (٢)

Foreign Policy, Nos : 2—3, Vol 4, February 1975, Ankara. p. 170.

راجع : دكتور غ-ان البطية ، السياسة الأمريكية والأزمة القبرصية ، إنقلاب

س.م.سون والفوز التركي ١٩٧٤ ، في : مجلة العلوم السياسية والقانونية المجلد الأول ،

بغداد ، ١٩٧٨ ص ٨٨ - ٩٢ .

اليونان للخطر ؛ كذلك فقد أكد كيسنجر على الدور الأمريكي في منع قيام الحرب بين تركيا واليونان بشأن قبرص ، خوفاً من إنهيار الجناح الجنوبي الشرقي من حلف شمال الاطلسي .

والصحف الأمريكية ، هي الأخرى ، أشارت صراحة إلى تورط الحكومة الأمريكية في الانقلاب الذي حدث في قبرص ، ولمحت هذه الصحف إلى العلاقة الشخصية التي ربطت بين السفير الأمريكي في اليونان وقتئذ وبين أحد الرجال الأقوياء في المجلس العسكري ، وكيف كانت المقابلات تتم فيما بينهما ، وكتبت إحدى الصحف الأمريكية فعالة أكدت فيها أن الولايات المتحدة كانت تعرف الشيء الكثير عن المؤامرة ، ولكنها لم تحاول منع ذلك قبل وقوع الانقلاب في قبرص ؛ أما الصحف البريطانية ، وعلى رأسها صحيفة الجارديان ، فكتبت تقول : « إن الطرف الذي يجب إرغامه هو اليونان ؛ ومن الثابت أن الولايات المتحدة قد تأخرت في القيام بردها الصارم ؛ وأنها كانت تستطيع في أي وقت تشاء أن تقوم بهذا الشيء ، وأن تمنع وقوع الأحداث المؤلمة » .

وكتب جيمس ريستون ، واحد صحفي أمريكي ذائع الصيت ، ويمثل الاتجاه الرسمي في الولايات المتحدة ، كتب في الهيرالد تريبون مؤكداً على النقاط التالية :

أولاً : من الممكن أن يتغير ميزان الاستراتيجية في كل (١) من مالطة وكريت

---

Réston, James, "Cyprus Crises and Nato's Flank", in : (١)

International Herald Tribune, July 18, 1974.

وقد إمتدنا في هذا الجزء من الدراسة على :

أحمد نوري محمد النعيمي ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق ..

وقبرص فيما إذا سيطرت عليها قوى معادية، إن موسكو وواشنطن يتساحمان في حالة حياد جزيرة قبرص، ولكنهما بالتاكيد يختلفان في حالة سيطرة إحداهما عليها. وهكذا نجد أن حكومة نيكسون قد واجهت مشاكل بعمه ، منها التدخل في الشؤون الداخلية لليونان ، وبالتالي تحريض النظام العسكري فيها على الإحاطة بحكم الرئيس مكاريوس . إن الولايات المتحدة بحاجة إلى التعاون مع الحكم العسكري في أثينا ، لأسباب إستراتيجية للدفاع عن مصالحها في الشرق الأوسط .

ثانيها : تولى الولايات المتحدة إهتماماً كبيراً بالحوادث الأخيرة في قبرص، لتفادي وقوع صدام مسلح بين دولتين من أعضاء حلف شمال الأطلسي ، لأن وقوع ذلك سوف يؤدي إلى إخطار جسيمة ، من الناحية الإستراتيجية ، في شرق البحر المتوسط .

ثالثها : تؤكد الآراء الرسمية في الولايات المتحدة أنه من الصعوبة بمكان دعم الأسطول السادس الأمريكي في شرق البحر المتوسط بدون وجود القواعد العسكرية في اليونان .

رابعها : أن الولايات المتحدة تعاطفت مع حكم الرئيس مكاريوس ، وبالتالي تعهدت بالدفاع عن حكمه ، إلا أن الأخير إتجه نحو الإتحاد السوفيتي . ومن الأمور التي أقلقعت الساسة الأمريكيين أنه إذا إمتلك السوفييت قاعدة عسكرية في قبرص ، فإن ذلك سوف يكون له أثر سيء على الأوضاع الأمنية في كل من تركيا واليونان .

وهكذا يمكن أن نأمل أن هدف الانقلاب الذي حدث في قبرص كان هو الإطاحة بحكم الرئيس مكاريوس ؛ ثم العمل على منس قبرص إلى حلف شمال الأطلسي . ويتحقق ذلك بأسريرين : إما بتوحيد قبرص مع اليونان

تحت سياسة الأمر الواقع وعندها لمنطقة الدفاع الأمريكية . ولما بتقسيم الجزيرة ، وهو ما يقود إلى النتيجة ذاتها ؛ فالجزيرة بقسميها — في هذه الحالة — ستخضع لتركيا واليونان ، وكل من هاتين الدولتين تعتبر ركيزة لحلف شمال الأطلسي في شرق البحر المتوسط ؛ ويبدو أن الولايات المتحدة — طبقا لأحد (١) الآراء — وبعد أن تقسم الجزيرة إلى قسمين ، تركي ويوناني ؛ ستحصل على التواعد التي كان مكاربوس يرفضها بحجة حياد قبرص ، في كلا القسمين ؛ ولن تبخل الولايات المتحدة على الدولتين ، التركية واليونانية ، بالتعويض المطلوب في شتى المجالات العسكرية والاقتصادية وهكذا يكون الحلاف الطائفي ، الذي عصف بالجزيرة منذ سنوات ، قد انتهى بتقسيم الجزيرة ، والقضاء على وحدتها واستقلالها .

وتشير الدلائل إلى أن الولايات المتحدة وقفت عند التدخل العسكري التركي في جزيرة قبرص ، الذي تم بالإنزال التركي في الجزيرة في ٢٠ يوليو ١٩٧٤ ؛ ويمكن إستنتاج موقف الولايات المتحدة هذا من التقارير الصحفية (٢) التي بعث بها السفير الأمريكي في أثينا إلى وزارة الدفاع الأمريكية ، والتي ذكر فيها أن الأسطول السادس الأمريكي قد إنتشر ، وبشكل غير عادي في بحر إيجه بهدف عرقلة الخطط العسكرية التركية في قبرص ، وأن هذا التصرف من قبل الولايات المتحدة قد أدى إلى موجة من الغضب في تركيا .

أما من وجهة النظر الرسمية فقد إنعكست على تصريح الناطق الرسمي لوزارة

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٥٠ .

— The New York Times, July 18, 1974. (٢)

— \* \* \* \* \* September 9, 1974.

الخارجية الأمريكية ، والذي جاء فيه : « نحن نطالب تركيا — بصفة خاصة — بوقف إطلاق النار ، حيث أن استخدام القوة ؛ فضلا عن أنه يعرض العلاقات بين تركيا واليونان للخطر ، فإنه يؤدي أيضا إلى تعريض المنطقة كلها إلى خطر ؛ وإن حل القضية القبرصية لا يمكن أن يكون عن طريق استخدام سياسة القوة ، . ومن الناحية الواقعية ، فقد كان بإمكان الولايات المتحدة أن تمنع تركيا من التدخل في الشؤون الداخلية لقبرص ، كما فعلت عام ١٩٦٤ في عهد جونسون ، حين بعث برسالة تهديد شديدة اللمجة إلى عصمت إينونو ، رئيس وزراء تركيا وقتئذ ، يحذره فيها من خطوره التدخل في قبرص ، وأبلغ جونسون إينونو أنه في حالة تدخل تركيا في الجزيرة ، وقيام الاتحاد السوفيتي بصددها ، فإن الولايات المتحدة سوف تأخذ موقفاً محايداً من ذلك .

ومنذ تلك الفترة ، سادت العلاقات السيئة بين الشعب التركي والحكومة الأمريكية ؛ حيث طالب الرأي العام التركي بإلغاء مجموعته المعاهدات الثنائية التي تمت مع الولايات المتحدة ، وأن تشرف تركيا على القواعد العسكرية الأمريكية ، كما طالب قسم من الرأي العام التركي باستحباب تركيا من حلف شمال الأطلسي ، غير أن الولايات المتحدة لم تحاول منع تركيا من ذلك . وربما يرجع السبب في ذلك إلى محاولة الولايات التخفيف من حدة الملهجة الفاسية في رسالة جونسون (١) .

(١) المرجع في تفصيل ذلك إلى :

احمد نوري النديمي ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ،

دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ م ص ١٧٥ - ١٨٢ .

— Esmer, Ahmet Sukru, "Cyprus in the General Assembly"  
Paris, 18 November 1976.

# الفصل العشرون

## ردود فعل أوروبا الغربية

### ١ - موقف بريطانيا العظمى :-

يمكن سبب إهتمام بريطانيا بالأوضاع في قبرص في أن بريطانيا تعتبر من الدول الضامنة لاستقلال الجزيرة ؛ حيث أنها وقعت على معاهدة الضمان مع كل من تركيا واليونان في عام ١٩٦٠ ؛ وبموجب هذه المعاهدة فإن كل طرف ملزم بالدفاع عن الجزيرة في حالة انتهاك سيادتها أو العدوان عليها ؛ ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا قد أخذت تؤكد باستمرار على أهمية قواعدها العسكرية في قبرص، بعد أن فقدت قواعدهما في مالطة قبل ذلك .

وبعد الإنزال التركي في قبرص ، ونتيجة لتردى الأوضاع فيها ، فإن هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا ، قد عقد إجتماعاً طارئاً مع أعضاء حكومته ؛ وبعد الإنتهاء من هذا الإجتماع أرسلت الحكومة البريطانية ٥٠٠ من أعضاء الكوماندوز لتعزيز القوات البريطانية في قاعدة كريتورى Akrotori وديكيليا Dikelya في قبرص .

ولقد لجأ حوالى ٥٠٠ ر ١٧ مهاجر يوناني و ٥٠٠ مهاجر تركي إلى القواعد البريطانية في الجزيرة ، بعد سيطرة القوات التركية على الجزء الشمالى من الجزيرة . ولقد طالبت تركيا بريطانيا بتسليم اللاجئين الأتراك ، لتوطينهم في الجزء الشمالى من الجزيرة . ولكن بريطانيا لم تسمح لهؤلاء اللاجئين بمغادرة قواعدهما في الجزيرة ، إلا بعد تسوية مشكلة المهاجرين بصفة عامة ؛ الأمر الذى أدى إلى ردود فعل قوية في الأوساط الرسمية في تركيا ؛ فقد صرح أجويد ، رئيس وزراء

تركيا وقتئذ ، قائلا : « إن عدم تلبية بريطانيا لنداء تركيا بالسماح للمهاجرين الأتراك بمغادرة قواعدها في الجزيرة يؤدي إلى الإساءة والضرر في العلاقات بين البلدين (١) » .

وفي مؤتمر جنيف ، الذي عقد بين بريطانيا وتركيا واليونان في شهر يوليو ١٩٧٤ ، أدت بريطانيا دوراً مهماً بتأكيداها على إتباع الوسائل السلمية لحل القضية قبرصية ؛ ولقد تحدث جيمس كالاهاان ، وزير خارجية بريطانيا ، معبراً عن رضائه من أن بريطانيا لازال لها التأثير الفعال في القضايا الدولية .

غير أن العلاقات قد توترت بين تركيا وبريطانيا في الفترة اللاحقة ؛ ففي مؤتمر جنيف الثاني ، كان هناك تصلب في الرأي من جانب بريطانيا تجاه تركيا ، وأثيرت مناقشات حادة بين مندوبي الدولتين ، حتى أن وزير خارجية بريطانيا صرح قائلا : « إن قبرص اليوم هي أسيرة الجيش التركي وسيكون الأخير أسيراً من قبل قبرص غداً » . كذلك فقد كتبت إحدى الصحف (٢) التركية قائلة بهذا الخصوص : « إن تركيا تقدم مفاتيح السلام في البحر المتوسط » ، - وأضافت هذه الصحيفة قائلة : « من الممكن تفسير دور بريطانيا في مؤتمر جنيف بأنها تعتقد - أن بريطانيا - لازالت تتحكم في جزيرة قبرص من النواحي الجيوبوليتيكية والاقتصادية ، في عالم تغيرت فيه الظروف والأوضاع السياسية ، ؛ وأضافت الصحيفة قائلة : « إن بريطانيا قد دخلت قبرص قبل مائه عام على أثر الحرب الروسية العثمانية ، لحماية مواقعها الاستراتيجية ضد التوسع الروسي ، وعلى الرغم من تغير الأوضاع الاقتصادية والظروف السياسية في العلاقات الدولية ، فإن بريطانيا تعمل على

(1) Daily News, January 27, 1979.

(2) Milliyet Meclisi Albumu, Donem.

إستعادة دورها المنقرض في شرقي البحر المتوسط ؛ وبشأن موقف بريطانيا تجاه تركيا في مؤتمر جنيف إنتقدت هذه الصحيفة التركية موقف بريطانيا قائلة : « إنه في لقاءات السلام في جنيف ، إصطدم المشروع التركي القاضي بإيجاد دولة فيدرالية (١) ، بعبوات واضحة من جانب بريطانيا . . . » .

وتجدر الإشارة إلى أن حكومتى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد بحثتا بمندوبيهما إلى مؤتمر جنيف، وهو ما جعل العلاقات بين بريطانيا (١) وتركيا لم تصل إلى نقطة حاسمة ، حيث كان هناك إهمال من قبل بريطانيا للافتراح السوفيتي القاضي بأن قضية قبرص يجب أن لاتحل بين القوى الثلاث الضامنة للجزيرة فحسب؛ بل يجب حل ذلك عن طريق مؤتمر موسع ، يشترك فيه أعضاء مجلس الأمن ، بهدف إيجاد التقارب بين الدولتين .

أما عن موقف بريطانيا تجاه مكاريوس ؛ فالملاحظ أن بريطانيا قد أكدت على شرعية حكم مكاريوس ؛ كما أن بريطانيا هي التي أقلت مكاريوس بطائرة خاصة من إحدى قواعدها ، وأرسلته إلى جزيرة مالطة ؛ وجدير بالذكر أن المندوب البريطاني في مجلس الأمن قد أدى دوراً مهماً في صياغة قرار وقف إطلاق النار .

(1) The International Herald Tribune, November, 8, 1976.

(٢) في تفعيل موقف بريطانيا ، واجمع :

- Kurkcuglu, Omer, British Policy During 1974 Cyprus Crises, op, cit pp. 31-38.
- Newsweek, August 26, 1974, pp. 8 - 12.
- The International Herald Tribune, November 8 1976.
- Altug, Yilmaz, "The Cyprus Conflict", in Dis Politica Nos. 1 - 2 February, Ankara, 1977 pp. 130 - 132.



## - ٢٦٧ -

وبالطبع فإن مصالح بريطانيا هي الأسباب الكامنة في موافقتها هذه من مشكلة قبرص ؛ وتمثل هذه المصالح في معظمها ، في القواعد العسكرية البريطانية في قبرص ، حيث أن هناك مجموعة من القواعد البريطانية في الجزيرة، تملكها بموجب معاهدة الضمان التي وقعت عام ١٩٦٠ ؛ وتعتبر هذه القواعد من أقوى القواعد العسكرية في شرقي البحر المتوسط . كذلك فإن بريطانيا تنظر إلى جزيرة قبرص وكأنها بمثابة نقطة شرطة لها في البحر المتوسط ، وخاصة منذ إستقلال باكستان والهند ، وتحاولات مصر الناجحة في سحب القوات البريطانية من قناة السويس؛ ولهذا أخذت بريطانيا تعزز قواعدها العسكرية في قبرص ؛ أضف إلى ذلك حاجة أوروبا من البترول العربي ، وهو ما يجعل من قبرص نقطة ارتكاز ومركز قوة لبريطانيا ؛ ويستدل على ذلك أيضا من أحداث العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، حين قامت قوات مظلية بريطانية من جزيرة قبرص بالهجوم على منطقة قناة السويس؛ ويفسر ذلك كله الأسباب التي جعلت تحاول تدويل الأزمّة القبرصية منذ إستقلال الجزيرة ، لخدمة مصالحها في منطقة البحر المتوسط .

### ٢ - موقف فرنسا :

من الملاحظ أن فرنسا قد تعاطفت مع اليونان ، حتى قبل مشكلة قبرص عام ١٩٧٤ ، بأكثر من عشر سنوات، كما أن الحكومة اليونانية قد حدثت جذور فرنسا في الانسحاب من الجهاز العسكري لحلف شمال الأطلسي بعد الأحداث الأخيرة في الجزيرة ، ويفسر ذلك أيضا الموقف الفرنسي الذي يريد الابتعاد عن النفوذ الأمريكي ؛ وبالتالي فإن فرنسا وجدت نفسها بحاجة إلى دولة أخرى بجوارها ، تساندها في هذا المقوم تجاه الولايات المتحدة . ويفسر هذا أيضا بالعلاقات التي توطدت ، خلال الاحدى عشر عاما الماضية ، بين ديستان وكراميليس ؛ وهذا

الأخير قد فتح الباب أمام فرنسا كي تقوم بدورها في منافسة الولايات المتحدة بشأن توسيع نفوذها في أوروبا ؛ وبالطبع فإن فرنسا لم تستفد ميماسياً من اليونان فحسب ؛ بل أن البضائع والسلع الفرنسية قد غزت الأسواق اليونانية ؛ وعلى ذلك فإن فرنسا قد بنت موقفها من مشكلة قبرص على الاعتبارات السابقة، ثم قامت بتمويل اليونان بطائرات الميراج المقاتلة، والقوارب الحربية المتطورة، والمدافع المضادة للطائرات. وبالطبع فإن هدف فرنسا من ذلك كان كسر الإحتكار الأمريكي في تجهيز اليونان بالطائرات والمعدات الحربية .

وهكذا جاء رد الفعل الفرنسي المباشر لانقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ بأن أعلن رئيس وزراء فرنسا جاك شيراك : «إن فرنسا قلقة جداً من الوضع المتدهور (١) في جزيرة قبرص ، وتخشى من إمكان حدوث مجازبة عسكرية بين تركيا واليونان، حليفتا فرنسا في حلف شمال الأطلسي، ومن إحتمال توسع نطاق النزاع» . وأكد شيراك إستعداد فرنسا لتقديم المساعدة إلى بريطانيا ، التي يقع على عاتقها عبء ومسؤوليات خاصة في قبرص ، والعمل على دفع الدول الأوروبية التسع في السوق الأوروبية المشتركة للقيام بعمل مشترك ، يعطى بريطانيا إمكانية التحرك لتحقيق السلام في جزيرة قبرص .

ولم تفاجأ تركيا من موقف فرنسا تجاهها ، وعندما عين كرامنليس رئيساً للوزراء ، بعد إنهاء الحكم العسكري في أثينا ؛ وضع رئيس الجمهورية الفرنسية تحت تصرفه طائرته الخاصة ليتوجه بها إلى أثينا ؛ كما أعربت فرنسا عن تفهمها لموقف اليونان من سحب قواتها المسلحة من حلف شمال الأطلسي .

---

(١) أحمد نوري النيمي ؛ تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق ص ٢٥١ .

وأثناء مناقشة مشكلة قبرص في مجلس الأمن ، قدمت فرنسا بياناً أكدت فيه على ضرورة انسحاب القوات التركية من القطاع الشمالى من الجزيرة. ونتيجة لذلك فقد عم الأوساط السياسية فى أنقرة الاستغراب والمرارة . وعلى الرغم من رفض أجويد ، رئيس وزراء تركيا ، للوقوف الفرنسى بصورة رسمية ؛ فإنه أبدى أسفه تجاه عدم التزام فرنسا الصمت ، كما سبق أن فعلت إبان الانقلاب العسكري فى اليونان . وقد وصفت إحدى الصحف التركية السياسة الخارجية الفرنسية على أنها : « مستمدة من سياسة الإبحار بالمدافع » وهى تعنى بذلك صفقة الأسلحة المبرمة بين فرنسا واليونان (١) .

وفى الأمم المتحدة ، هاجم المندوب التركى ، بعنف ، موقف فرنسا وتساءل قائلاً : « هل هذه هى فرنسا الجديدة التى نراها أمامنا ، أم أنها فرنسا « الفرقه الاجنبية » وساقية « سيدى يوسف » . فرنسا المظليين وقناة السويس . . . هل فرنسا هذه هى التى تدعى بحق إدانة الأعمال التركية . . . وقد رد المندوب الفرنسى على المندوب التركى قائلاً : « إن كلام المندوب التركى هذا يشير الميزيد من الشكوك حول الأسلوب الذى تسعى تركيا لاتباعه فى تطبيق قرار مجلس الأمن » (٢) .

أما ردود فعل الصحف التركية فجاءت محبرة عن أن إقتراب فرنسا من اليونان قد جاء على حساب تركيا ، وأن سياسة فرنسا بالتالى هى سياسة غير عقلانية ، بالإضافة إلى أنها تلحق الضرر بالمصالح الفرنسية فى تركيا ؛ وأن هذه السياسة ضد تركيا ، بالإضافة إلى موقف الارتياح من المظاهرات العدائية الأرمنية

Daily News, 20 Auguts, 1974, Ankara

(١)

Milliyet, op. cit.,

(٢)

في مرسيليا ضد الاتراك ، تدفع بالعلاقات الفرنسية التركية إلى أدنى حد لها. لذلك وجدت الصحف التركية في الموقف الفرنسي إزاءها أن هذا سيدفع تركيا إلى أن توازن سياستها في أوروبا ، وتبحث عن دولة أخرى لتحل محل فرنسا. أما رئيس الجمهورية التركية فإنه قال : « إن أزمة قبرص عام ١٩٧٤ قد كشفت عن أصدقاء تركيا وأعدائها في آن واحد » — مشيراً بذلك إلى موقف فرنسا<sup>(١)</sup> — وأضاف : « إن وجود فرنسا على رأس الدولة التي عبرت عن سياسة عدائية في هذه الأحداث قد أثبت على الأقل عدم إمكانية الثقة بفرنسا من قبل تركيا ».

(١) في تفصيل موقف فرنسا ، راجع أيضا :

- Esmer, Ahmet Sukur "Mandate of the Cyprus peace", Bairs, December 21, 1976.
- Esmer, Ahmet Sukru, "Cyprus in the General Assembly" op. cit.
- Daily News, 20 August, 1974, Ankara.
- Turkish Foreign Policy Report, Ministry of Foreign Affairs, Ankara Augusts, 1974, No. 15, July 1, 1976, No. 17, November 1, 1976, No. 18, January 1, Ankara, 1977.

# الباب السابع

## الموقف السوفيتي



## الفصل الجادى والعشرون

### الأصول التاريخية للموقف السوفيتى .

١ - السياسة الخارجية الروسية تجاه المضائق عشية الحرب العالمية

الاولى :

بقى توجيه للسياسة الخارجية الامبراطورية الروسية عشية الحرب العالمية الاولى خاضعا لمشغوليتين : الوصول الى البحر المتوسط ، والذي كان الدافع الرئيسى للعمل الذى قامت به فى الامبراطورية العثمانية وفى البلقان ؛ ثم التوسع فى الشرق الاقصى ، حيث كانت الاراضى السيبيرية مجاورة للامبراطورية الصينية ، وهو ما لايتعلق بموضوع هذه الدراسة !

أما فيما يتعلق بالمشغولية الاولى — موضوع دراستنا — وهى الوصول الى البحر المتوسط والمياه الدافئة ، فالملاحظ أنه بعد خروج روسيا من الحرب الروسية اليابانية ، ومن الهزيمة العسكرية سنة ١٩٠٤ ، عادت السياسة الخارجية الروسية كي تركز على أوروبا . وزادت أهمية المشغوليات العثمانية ، ولكن الجيش الروسى وقتئذ كانت تسوده الفوضى ، والاقتصاد الروسى كان فى أدنى درجاته ؛ وهذا الخسوف فى القوة الروسية قد إستمر طوال السنوات الست السابقة على الحرب العالمية الاولى . ومع ذلك لم تبدأ الحكومة القيصرية فى التفكير فى إمكانية إعادة محاولاتها فى المسائل العثمانية إلا ابتداء من سنة ١٩١١ فقط ، ولكن دون أن تمتلك الوسائل العسكرية اللازمة لتدعيم هذه السياسة .

ولما كانت السياسة الخارجية لأى دولة هى إنعكاس للأوضاع الداخلية ، فقد كانت السياسة الخارجية الروسية وقتئذ محكومة بالأوضاع الداخلية ؛ فكانت روسيا

محتاجة لاستخدام رموس الأموال والتقنين اللجان بدرجة أوسع؛ غير أن الحكومة الروسية لم تكن ترغب في المخاطرة بروية النفوذ الأجنبي يؤثر على الحياة السياسية الداخلية. ومع ذلك فهذه المحاولات لم تكن تستند إلى فكرة كبيرة في الرأي العام، فمثلاً : كانت جماهير الفلاحين غير متأثرة بمجهود التوسع ، في حين كان العمال معادين له ؛ وأظهرت بعض أوساط البورجوازية موافقتها على التوسع .

هذه الأوضاع كانت لها نتائج طويلة الأمد في روسيا ؛ فالأوساط المسيرة للسياسة الروسية الخارجية (١) كانت قد إبتلعت ، كما ذكر أحد الساسة وقتئذ ، مرة ؛ وكانت روسيا ترغب في أن تقوم بالإنتقام في اليوم الذي تستطيع فيه ذلك ، ولم تكن تنتظر إلا سنوح الفرصة . ومنح الموقف البلقاني هذه الفرصة لروسيا سنة ١٩١٢ . وكان سبب هذه الأزمة الجديدة هو الشعور القوي للشعوب المسيحية في شبه الجزيرة ، وفي مقدونيا ، وحيث كانت موافقة روسيا والنمسا والمجر الضمنية قد إحتفظت بالسيطرة العثمانية على السكان البلغارين والضرب واليونانيين في خلال أزمة ١٨٩٧ - ١٩٠٣ ، فإن هذه الأفليات القومية كان لها ، في سنة ١٩٠٨ ، أملا في الحصول على نظام أكثر صلاحية .

ولذلك فإن حركة الاجتماع تجاه التقاليد العثمانية بدأت في مقدونيا منذ سنة ١٩١٠ ، وكان من المنطقي أن تعمل الدول المسيحية في البلقان على تأييد هذه الحركات ، حتى يتم تحرير الأراضي الخاضعة . ولكن ، إذا كان الشعور المعادي للأتراك مشتركاً بين الأهلالي المسيحيين ؛ فإن الحركات القومية الباغارية والصربية واليونانية كانت كذلك متنافسة فيما بينها ، وذلك بسبب الاختلافات بين التقاليد الثقافية ، وبين أشكال الحياة الاجتماعية ، وبين المذكرات التاريخية ؛ وخاصة

(١) بيير ديموقان ، تاريخ العلاقات الدولية ، مرجع سابق ٧٤٠ .

Taylor, op. cit, p. 118.



بسبب الخوف والخوف ، الذى كان يفصل بين الكنائس الارثوذكسية؛ وفي مقدونيا كانت الدعاية الدينية للكنيسة الصربية تتنازع الرعايا مع الكنيسة البلغارية .

وكانت الحكومة الروسية قد فكرت ، في خريف سنة ١٩١١ ، في تأييد الامبراطورية العثمانية ، وفي إنشاء «إتحاد بلقاني» يضم الامبراطورية والدول المسيحية . وفي نظير ذلك كانت قد طلبت إلى الحكومة العثمانية أن تستعيد عادة النظر في وضعية المضايق ، الأمر الذى سيمنح حق المرور إلى سفن الحرب الروسية . ولكن سرعان ما وجدت أن هذا الحل صعب التحقيق ؛ لأن الدول العظمى لن توافق على إعادة النظر في هذه الوضعية ؛ ولذلك فإن الحكومة الروسية القيصرية هيرت أهدافها ، وقررت أن تويد تحالف الدول البلقانية ضد الامبراطورية العثمانية ، ولكي تحرر الشعوب المسيحية في مقدونيا . ولاشك في أن الحكومة الروسية كانت لا تهمل أن هذه المحاولة من طبيعتها أن تتسبب في أخطار حرب عامة ؛ ولكنها اعتقدت أن فى وسعها أن تواجه هذا الخطر ، إذ أن قواتها المسلحة ، التى كانت غير كافية فى سنة ١٩٠٩ ، قد تحسنت الآن . وكانت الميزات التى فكرت فيها الحكومة الروسية تكمن فى الأهداف السياسية المتوقعة قبل أى شئ آخر : مثل إعادة النفوذ الروسى الذى كان قد تزعزع بأزمة سنة ١٩٠٩ إلى فكر الشعوب المسيحية ، وإضفاء الامبراطورية العثمانية بطريقة تسمح لها ، فى يوم من الأيام ، بحل مسألة المضايق بشكل يتماشى مع المصالح الروسية . ولم تتدخل المسائل الاقتصادية إلا كوسيلة فى خدمة المخططات السياسية . فحين أيدت روسيا ، بمساعدة روس الأموال الفرنسية ، مشروع السكة الحديدية التى ستمتد شبه الجزيرة

؛ راجع فى تفصيل ذلك : دكتور احمد عبد القادر الجال ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

القاهرة ، ١٩٥٥ من ص ٣٥٠ - ٤٥٠ .

البلقانية من الشرق إلى الغرب، لكي تنتهي على ساحل البحر الإدياتي، كانت ترغب في غلق الطريق أمام التوسع النمساوي المجري، أكثر من حسابها لكسب الصادرات الروسية أو الأرباح المالية.

## ٢ - القوميات ومشكلات الحدود في البلقان :

وعندما فقدت المطالب الملحة للشاعر القومية في أوروبا في بداية سنة ١٩١٤، وانعكس ذلك على إحتجاجات الأقليات القومية ضد السيطرة الأجنبية. وهذه البقطة للإحتجاجات في المناطق التي كانت أكثر من مرة، مركزاً لحركات القوميات، أثار الشهور في سان بارسبرج ولندن وبرلين، نتيجة للصعوبات الداخلية الممكنة أو المتوقعة، في حالة إشتباك الدول في حرب دولية كبرى. ولكن أياً من هذه التهديدات لم يبد على أن من طبيعته التسبب في التو واللحظة في صدام بين الدول العظمى.

وكانت الخصومات البلقانية تخضع لذكريات الصراخ الذي كان قد مزق شبه الجزيرة. وفي أوائل سنة ١٩١٤ نشرت لجنة كونتها هيئة كارنيجي Carnegie للسلام الدول، التحقيقات التي قامت بها في البلقان، والتي تجمع نوعاً من الشهادات التي تمثل، مرحلة عنيفة مفزعة، من القتل والاعتقال وإشعال الحرائق والمذابح، ليس فقط بين المسلمين والمسيحيين الذين تفصلهم الأحقاد الدينيوية والعواطف الدينية — على حد قول أحد الباحثين (١) — ولكن كذلك بين اليونانيين والبلغار، وبين اليونانيين والصرب، الذين كانوا بالأمس فقط، وقد إبحروا إلى السماء سوياً، طالبين العون على حرب التحرير، وهذه الضغائن والأحقاد حافظت على

(١) بيور وينوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤، مرجع سابق

حالة من عدم الاستقرار ، كانت تسبب في إمكانيات مباشرة لصدامات عملية ، خطيرة بالنسبة للسلم العام ، لأنها كانت تزيد من عدم الثقة الموجودة بين الدول العظمى .

وجاء ميلاد إمارة ألبانيا ليؤدي إلى نشوء صغوبات من نوع جديد، لم تشترك فيها الصرب واليونان وحدهما ، وهما جارتا الدولة الجديدة ، ولكن كذلك النمسا والمجر وإيطاليا ، الشريك اللذان لا يثقان في بعضهما في داخل التحالف الثلاثي والمتنافستان فيما بينهما في البحر الأدرياتي .

وكان رسم الحدود ، بعد أن هدد في أكتوبر سنة ١٩١٣ بأن يؤدي إلى اشتباك بين ألبانيا والصرب ، قد وضع الآن ألبانيا في مواجهة اليونان؛ وحاولت الحكومة اليونانية أو تحتفظ مؤقتاً ، بأبيروس الشمالية ، حيث كانت أغلبية السكان تحدث اللغة اليونانية ، وحيث كانت لجنة تحديد الحدود قد أعطت لألبانيا ، في ديسمبر سنة ١٩١٣ ، منطقة أجيرو سكاستروا وسانت كارانتا . حقيقة أنها كانت مستعدة للموافقة على أن تسحب موظفيها وجنودها من هذه المنطقة ، ولكن بشرط أن ترضيها الدول العظمى في الخلاف الخاص بتقسيم جزر بحر إيجه، وانتهت بأن نفذت هذا الإنسحاب .

#### ٢ - الجزر والمضايق :

ومصير الجزر العثمانية في بحر إيجه بين تركيا واليونان ؛ في صدام دبلوماسي ، هدد بأن يصبح صداماً مسلحاً . وكانت معاهدة بوخارست قد تركت الدليل العظمى أمر اتخاذ قرار فيها . وأخذ هذا القرار في فبراير سنة ١٩١٤ ، وأعطى لليونان كل الجزر باستثناء تينيدوس وإيمبروس، التي تشرف على مدخل الدردنيل ، وكاستيانو ريزو ، القريبة من الدوديكانيز، والتي كانت إيطاليا تحتفظ فيها باحتلال

و مؤتم ، . ولكن الحكومة التركية ، التي كانت ترغب في أن تحصل كذلك على  
خيوس وميتيلين ، رفضت الموافقة على ذلك ، ولم تتفق الدول على إرغامها على  
قبول قرارها. ودخلت الحكومتان اليونانية والعثمانية سويا في مفاوضات مباشرة ،  
ولكن بدون جدوى . وكان فشل هذا المحادثات يعنى نشوب حرب ؛ فاشتدت  
تركيا بارجتين كانتا نبيان من الترسانات الإنجليزية؛ وأعلن فنزيلوس **Venizelos**  
رئيس الوزراء اليوناني في يوليو سنة ١٩١٤ ، تصميمه على المدخول في حرب قبل  
قبل أن يتم تدعيم الاسطول التركي . حقيقة أن هذه الإمكانية لوقوع حرب وقائية  
قد إختفت بعد بضعة أيام ، إذ أن الحكومة اليونانية نجحت ، عن طريق شراء  
بارجتين من الترسانات الأمريكية ، في إعادة إقامة توازن القوى البحرية. ولكن  
الأمر بدا على أنه مجرد تأجيل لما يجب أن يحدث .

كذلك فإن منافسات الاتجاهات القومية البلقانية لم تكن هي و. دها التي  
تسببت سريعا في أشد الأخطار بالنسبة للسلم العام . فكانت إثارة «مسألة المضائق»  
تمثل تهديدا آخر . فعقب الهزائم التي لحقت بها في حرب البلقان الأولى ، وأمام  
الإمكانات التي كانت تخشى وقوعها في بحر إيجه أو في آسيا الصغرى ، كان من  
الطبيعى أن ترغب الحكومة العثمانية في إعادة تنظيم جيشها ، وفي أقرب وقت ممكن ؛  
وكان من المنطقي أيضا أن تفكر في الاستعانة بألمانيا بهذا الخصوص .

وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ ، نصت إتفاقية ألمانية تركية على أن تشرف بعثة  
من ٦٠ ضابطا ، برئاسة الجنرال ليمان ، فون ساندرس **Liman von Sanders** على  
ممارسة سلطة التفتيش العام ، وفي كل الامبراطورية العثمانية ، على القوات ،  
والتحصينات ، والسكك الحديدية ، فضلا عن تعيين الجنرال ليمان قائدا للفيلق التركي  
الأول الموجود في القسطنطينية . فإذا كان إنعكاس ذلك على الحكومة الروسية .

لقد نظرت الحكومة الروسية بقلق إلى إمكانية وضع الجيش التركي في أيدي ألمانيا، ولكنها كانت مشغولة أكثر من ذلك بوضع حامية البوسفور تحت القيادة المباشرة للاحد الألمان. وبدون جدوى أكد السلطان ليمان أن فون ساندرس لن يمارس أية سلطة وتتعارض مع إستقلال الامبراطورية العثمانية.

والواقع أن المسألة الخاصة بالقيادة المباشرة في القسطنطينية كانت مشار مناقشات بين ألمانيا وروسيا، وكانت كذلك موضوعاً للضغط الدبلوماسي الذي قامت به روسيا، مدعمة فيه بفرنسا وكذلك بإنجلترا، وإن كان ذلك بموقف مرن، على الحكومة العثمانية، وبذلك بتهديدها بطلب تعويضات، وقبلت روسيا حلاً وسطاً تمثل في إكتفائها بأن يظل ليمان مفتشاً عاماً للجيش التركي، ويترك لقيادة المباشرة للفيالق الأولى؛ وإن كان كل ذلك لم يمنع نشوب حرب أوربية عظمى فيما بعد. وفي روسيا كان هناك إنجازات متعاضدة بشأن الاستعداد للحرب؛ فأصحاب سياسة الكرامة والتوسع على حساب الامبراطورية العثمانية بدوا على أنهم يفكرون بضرورة إمكانية نشوب حرب عامة، تمنح روسيا، في إعتقادهم، فرصة تسوية مشكلة المضائق (١)، وإصلاح الموقف الذي كان مهدداً بزيادة النفوذ

(١) راجع في تفصيل ذلك :

- Ponomaryov, 13, Gromyko, A., Khvostov, History of Soviet Foreign Policy 1917—1945. Moscow, 1969.
- Soviet. Turkish Relations, Collection of Documents, Vol. 1 ( 1917—1926 ), Moscow, 1947.
- Royal Institute of International Affairs, Soviet Documents on Foreign Policy 1917—1924, Oxford University Press, 1957.
- Laqueur, Walter, The Soviet Union and the Middle East, London, 1969.

الألماني في القسطنطينية، وكذلك بإمكانية نشوب حرب يونانية تركية . وفي ٢١ فبراير سنة ١٩١٤ رأى المؤتمر الذى انعقد برئاسة وزير الخارجية وضم بعض الدبلوماسيين ورؤساء أركان الحرب ؛ أن الموقف الدولى للمضائق ، لا يمكن تغييره فى وقت قصير : فإذا كانت تركيا مهددة بفقدان المضائق ، فيمكن لروسيا أن تضطر إلى الاستيلاء عليها حتى تتفادى إستيلاء دولة أخرى ، عليها ؛ ولذلك لقد وضع برنامج عمل لكل احتمال . غير أن تبادل وجهات النظر بين الساسة والعسكريين أظهر أن روسيا لن تكون لها قبل عامين أو ثلاثة أعوام على الأقل ، الوسائل العسكرية والبحرية اللازمة لعملية إنزال .

#### ٤ - تسويات الحرب العالمية الاولى :

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى مفاوضات سرية بين وزراء خارجية كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا ؛ عشية قيام ثورة أكتوبر الروسية عام ١٩١٧ . وكان وزير خارجية روسيا العنصرية قد لاقتنع من قبل بضم المناطق المتاخمة لتراتون وارضروم إلى روسيا ؛ غير أن هذه المحاولات قد فشلت لدى وقوع الثورة الشيوعية ؛ حيث أبرمت معاهدة برست — ليتوفسك Brast-Litovsk بين الاتحاد السوفيتى من جانب — وبين ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا وتركيا من جانب آخر . وقد وقعت هذه المعاهدة فى ٣ مارس ١٩١٨ ، وفيها وعد السوفيت بإرجاع باطوم وقارص وارتوان واردة إلى تركيا ؛ ولكن السوفيت تمسكوا فيما بعد بهاطوم ، وذلك بسبب وجود النقطة فيها (١) .

---

#### (١) راجع :

Royal Institute of International Affairs Soviet Documents  
on Foreign Policy : 1917 — 1924, Oxford University Press,  
1951 p. 50.

وفي مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس خلال يناير عام ١٩١٩ كان موضوع المضائق التركية هو الموضوع الأكثر أهمية ؛ وإقترحت الدبلوماسية الإنجليزية في أول الأمر إعطاء الأوضاع الخاصة بالبحر المتوسط وضعية دولية تحت إشراف عصبة الأمم. ولم تعد بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا إلى دراسة تسوية الصلح العثماني إلا في عام ١٩٢٠ ؛ ففي ١٠ أغسطس من هذا العام ، إفتشعت معاهدة سيفر من السلطان أربعة أخماس الأقاليم التي كانت تتكون منها الامبراطورية العثمانية السابقة وتركت له ، علاوة على القسطنطينية ، منطقة الأناضول الوسطى . وفي هذه التسوية تمكنت بريطانيا من إقرار نزع سلاح البوسفور (١) والدرديل ، حيث تضمن حرية الملاحة في كل وقت ، تحت إشراف لجنة مشتركة من الحلفاء : حلا كان سيظهر على أنه مرفوض بالنسبة للسياسة الإنجليزية في التي كان في وسع السياسة القيصريّة أن تحاول الوصول إلى البحر المتوسط ؛ ولكنه أصبح حلا يتفق مع المصالح البريطانية ، مادامت روسيا قد ضعفت . وأخيرا فإن بحر إيجة قد أصبح وبحيرة يونانية ، ، يمكن لبريطانيا أن تأمل في أن تحتفظ بنفوذ كبير فيه . ولقد حصلت على هذه المميزات على حساب إيطاليا بنوع خاص ، وكذلك على حساب فرنسا . فكانت السياسة الإيطالية في بحر الادرياتيك، والسياسة الفرنسية في منطقة الراين ، في أشد الحاجة إلى التأييد الإنجليزي لها .

---

(١) واجس : هير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ، أزمان القرن العشرين ١٩١٤ - ١٩٤٥ تمريب الأستاذ الدكتور جلال هبى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق .

## ٥ - الحرب التركية اليونانية سنة ١٩١٩ وموقف السوفيت :

وبعد انهيار الخلافة العثمانية ، وميلاد تركيا العثمانية في عام ١٩٢٠ ، من قبل مصطفى كمال أتاتورك ، وجدت تركيا نفسها أمام مواجهة القوى الأوروبية . ونتيجة لهذه الظروف فقد تبنى أتاتورك سياسة مفادها التقرب من الاتحاد السوفيتي ، وإنعكس ذلك على تأليف الحزب الشيوعي التركي عام ١٩٢٠ . وبما يجدر ذكره أنه عندما ظهرت الجمهورية التركية ، ونتيجة قيام ثورة أكتوبر الروسية ، فقد كان هناك في تركيا نشاط شيوعي ، وفي هذه الفترة كانت علاقة تركيا جيدة بالاتحاد السوفيتي ، خاصة وأن الدولتين كانتا متفقتان على بعض الأهداف في السياسة الخارجية ، وتركزت هذه الأهداف على أن الدولتين قد اعتبرتا الدول الغربية عدوة مشتركة لهما .

كذلك فإن قوة التنظيمات الدينية في تركيا والتي تعود أساسا إلى عصر الامبراطورية العثمانية كان هذا أيضا سببا شجع مصطفى كمال أتاتورك على قيام حزب شيوعي محلي ، وإن كان مصطفى كمال نفسه من المناهضين للحركة الشيوعية . غير أن هناك بالطبع تناقض في سياسة حكومة أتاتورك هذه ، فهي من جهة قد إدعت بأنها تسير في طريق الشعوب الغربية ، الرامية إلى فصل الدين عن السياسة ؛ ومن جهة ثانية فإنه تدخل تدخل مباشر

### (١) راجع :

- Laqueur Walter, The Soviet Union and the Middle East, London, 1969 pp. 11 — 19.
- Royal Institute of International Affairs, Soviet Documents on Foreign Policy, op. cit.



في الشؤون الدينية ، كما سبق إيضاح ذلك . كل هذا يأتي في الوقت الذي أكد فيه أتاتورك بأن هذا المفهوم كان يعنى عدم تدخل الدولة في أمور الدين .

ولقد رحب السوفيت بسياسة أتاتورك هذه ؛ خاصة وأنهم اعتبروا ثورته ثورة تحررية ؛ وترتب على ذلك أن قد السوفيت كافة المساعدات للترك في صراعهم ضد الاستعمار؛ وتم إرسال العمال الترك إلى الاتحاد السوفيتي لتدريبهم هناك . كما إقترح السوفيت توثيق العلاقات أكثر وأكثر مع تركيا الكمالية ، وانعكس ذلك على إرسال الحكومة السوفيتية ، في ٢ يونيو ١٩٢٢ ، مذكرة إلى أتاتورك ، جاء فيها : إن الحكومة السوفيتية تؤيد بحرارة كفاح تركيا من أجل الاستقلال والسيادة ، وتوثيق عرى الصداقة بين الدولتين .

ونتيجة لهذه التطورات ، فقد وقعت معاهدة التعاون والصداقة بين الدولتين ، في ١٣ أكتوبر ١٩٢١ . ونتيجة لذلك فقد أطلق أتاتورك الحرية السياسية للحزب الشيوعي التركي . وقد إستمرت سياسة الصداقة وعلام الاعتدال بين تركيا والاتحاد السوفيتي إلى عام ١٩٤٥ ؛ وفي خلال تلك الفترة أعلن السوفيت إنهاء معاهدة عام ١٩٢٥ ، وأرادوا العودة إلى السياسة القيصريّة من جديد ، حيث طالب السوفيت بالسيطرة المشتركة على المضائق ؛ كما طالبوا أيضا بقارص وأردهان ، وضمهما إلى جورجيا وأرمينيا ، بحجة أن هذه المناطق كانت خاضعة لروسيا القيصريّة بين عامي ١٨٧٨ و ١٩١٧ ، وهي التي تخلى عنها السوفيت بمقتضى معاهدة الصداقة لعام ١٩٢١ . وبهذا الخصوص يجدر ذكر أن الرأي العام السوفيتي ، ممثلا في الصحف والإذاعة قد قام بحملة واسعة النطاق ، لنشر نبأ مطالبة أمباتندة «جورجيا» بنطاق ساحلي في الشمال الشرقي من تركيا يبلغ طوله

١٨٠ ميلا ، بحجة أنه كان داخلا في أراضي جورجيا منذ ألفى عام (١) .

#### ٦ - أثر الحرب التركية اليونانية على تطوير تركيا :

وكانت سلطة تركيا لانزال مبسوطة فوق الاناضول بعد الحرب العالمية الاولى ، ومع أن القوات البريطانية قد انتزعت من الاتراك كل من سوريا وفلسطين والعراق خلال الحرب ، فإن كراهيتهم للمسيحيين المقيمين بآسيا الصغرى — التي هي تركيا الحقيقية — ومقتهم لإيادهم ، بلغا درجة كبيرة . أضف إلى هذا أن الترك كانوا مسلمين ، وكانوا قد إتهموا بأزهاق أرواح الكثيرين من الأرمن خلال الحرب الاولى .

ولقد نال فينيزيلوس — رئيس وزراء اليونان وقتئذ — إذنا من رئيس وزارتي بريطانيا وفرنسا بانزال قوات يونانية في أزمير . كما أنه خشى أيضا أن تقع تلك المدينة في قبضة الإيطاليين ، إذا هو لم يبادر باحتلالها . وآمل فينيزيلوس في أن يجد فيها اليونانيون مكاناً مأموناً إذا اشتد الخطر عليهم .

غير أن الترك قد إعتبروا أن رفع الراية اليونانية فوق أى مكان من آسيا

---

(١) راجع : احمد زوى النيمى ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق ص ٣١٣ - كبرك جورج ، موجز تاويخ الشرق الأوسط من ظهور الاسلام إلى الوقت الحاضر ، ترجمة عمر الاسكندراني ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٤٠٠ — ٤١٠ .

— East, Gordon, "The New Frontiers of the Soviet Union; in : Foreign Affairs, Vol. 29, No. 4, July 1951. pp. 600 — 605.

— Soviet. Turkish Relations, Collection of Documents; Vol. 1, (1917 — 1926), op, cit, p. 85.

الصغرى ، اعتبر الترك ذلك بمثابة إهانة بالغة. ولذا أثار نزول الجيش اليوناني في أزمير ، في ١٥ إبريل سنة ١٩١٩ ، في نفوس الترك تصميماً على اليونانيين . ومن ناحية أخرى ، فقد أتاح ذلك لمصطفى كمال أتاتورك — أول رئيس (١) لجمهورية تركيا الحديثة — الفرصة لخلق دولة تركية مستقلة جديدة من ركام الإمبراطورية العثمانية المهزومة وحطامها المبعثرة؛ فبعد أربعة أيام من نزول اليونانيين في أزمير؛ وصل مصطفى كمال إلى أرض وطنة الآسيوية يحمل تفويضاً من السلطان. وكان قد حزم أمره على البقاء في الأناضول إلى أن تظفر الأمة باستقلالها، وكون جمعية نيابية ، وقعت في ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ ميثاقاً يقضى بمواصلة الحرب إلى أن تحرر أرض الوطن ؛ ولانضوى تحت هذا المفهوم كل من دبت في نفوسهم الحياة والحلماس من الشعب التركي؛ وصمموا على الوقوف وراء مصطفى كمال أتاتورك صفواً واحداً.

وأقام مصطفى كمال حكومة في ٢٤ أبريل سنة ١٩٢٠ ، ولأخذ أنقرة عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان . وتلت هذه الحركة بضعة انتصارات أولية مجاه اليونانيين الذين أصبحوا بالاضطراب في الدانيل ، وبتصدع الجبهة اليونانية العسكرية في الخارج وقد متى الجيش اليوناني ، بقيادة قسطنطين ، بهزيمة ساحقة عند زحفة السريعة على أنقرة في الفترة ٢٣ أغسطس — ١٣ سبتمبر ١٩٢١ ، وعاد في تقهقر سريع ، وفي فوضى شاملة منسحباً صوب البحر .

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك ١٨٧٨ — ١٩٣٨ هو مؤسس الدولة التركية الحديثة وقد حارب الجيوش اليونانية والانجليزية والفرنسية في الأناضول وأطاح بالخلافة العثمانية التي كانت عاصمتها في الأستانة — إسطنبول حالياً — وشكل حكومة مؤقتة في أنقرة .  
واجسج :

— محمد زكي عبد القادر ، الحرية والكرامة الانسانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ،  
ص ٢٣٥ .

وهكذا واجه اليونانيون بمفردهم العاصفة ؛ ولإنهاري صفوفهم أمام أول ضربة قاسية وجهت ضدهم في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ . ودخل الترك أزمير في أعقابهم ، وذبحوا جميع من صادفهم من الجنس اليوناني ، وأنقذت سفن الحلفاء أكثر من مليون مسيحي هاموا على وجوههم ، ونتج عن ذلك إنهاء نظامين للحكم هما . العرش اليوناني وعرش آل عثمان ؛ وكان الأول غريبا عن اليونان ، حكمها ما يقرب من تسعين عاما ؛ وكان الثاني عريقا في أصول الشعب العثماني وتقاليدته ؛ غير أن اليونان صارت بعد هذه الشكبة دولة أكثر غنى وأقوى وأكثر سكانا مما كانت ، نتيجة لقدوم المهاجرين الآسيويين . وكذلك امتازت الجمهورية التركية التي أقامها مصطفى كمال على أنقاض السلطنة العثمانية بتركيز سلطة الدولة . وبذلك إنتهت مسألة الأقليات المسيحية في تركيا ، والتي أفلحت الأوروبيين ، وصاغت سياسات الدول الغربية دهرًا طويلا ، وكفت هذه المسألة عن أن تقضي مضاجع النظم السياسية الأوروبية .

ولاضطر لحلفاء ، في مؤتمر لوزان الذي عقد سنة ١٩٢٣ ، إلى أن يصدقوا على النتائج السياسية التي ترتبت على الانتصار التركي وعلى الصعيد التركي الداخلي ، مهد ذلك الانتصار السلسلة من الإصلاحات الجريئة ، والتي جعلت مصطفى كمال يلبس كعلم من أعلام الأتراك . وألغيت الخلافة من تركيا ؛ وحتى حينما أعرب بعض النواب عن شكوكهم تجاه ذلك ، رد عليهم مصطفى كمال بقوله: إن آخر الحلفاء الحقيقيين إغتيل سنة ٩٢٤م ؛ وإن السيادة تنال بالقوة والبطش والعنف ، فبالعنف نال خلفاء عثمان حق حكم الأمة التركية ، وبالقوة حافظوا على سلطتهم أكثر من قرون ستة . وقد ثارت الأمة على هؤلاء المغتصبين ، ووضعتم في مكانهم الصحيح (١) .

(١) من خطاب ألقاه مصطفى كمال أتاتورك في المجلس الوطني في ٢٠/١٠/١٩٢٧ .

وكان ذلك يعنى فى جوهره إعطاء تركيا مظهر الدولة المتمدينة الغربية ، ومظهر ذلك لانعكس فى إلزام النساء برفع النقاب ، وجعل المدارس تحت إشراف الدولة ، وصدور قانون سنة ١٩٢٨ الذى نص على إلغاء أن الاسلام هو الدين الرسمى للدولة ، أى للجمهورية التركية ، وإلزام الترك بأبدال الطرايش بالقبعة ، كما أدخلت الحروف اللاتينية فى الكتابة التركية واقتبست القوانين الأوروبية . وهكذا خاض الشعب التركى حرب التحرير الشعبية ضد الاحتلال الأجنبى بعد الحرب العالمية الأولى ، وإستطاع طرد الأوربيين من إستنجول ؛ وعندما نجحت حرب التحرير التركية فى الحصول على الاستقلال السياسى للدولة ، وإيجاد دولة قومية وإلغاء الامتيازات الأجنبية وإنهاء سلطة الديون الأجنبية . إلا أن تركيا كانت وقتئذ بحاجة إلى تغييرات إجتماعية ضرورية ، المجموعات الاشتراكية وقتئذ هو محاربة ماسمى بالإفطاع العثمانى والإستعمار ، ومعنى أن محاولات الإصلاح لم تتجاوز البناء الفوقى ، ولم تفهم الثورة لإصطلاح علاقات الإنتاج ؛ وكان من شأن ذلك أن نشأ صراع بين البناء الفوقى والبناء التحتى أو السفلى (١) .

---

= ويرجع فى تفصيل ذلك إلى : ه . ل . فيشر . تاريخ أوروبا الحديث ، مرجع سابق  
ص ٥٨٥ — ٥٨٦ .

Ataov Turkaya, N.A.T.O. and Turkey, Since Printing (١)  
House, Ankara, 1970 p. 80.

## الفصل الثاني والعشرون

### الموقف السوفيتي

#### في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين

##### ١ - المضايق بين المناهضات الاوربية ومؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣ :

أثيرت مشكلة المضايق بين الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى ، حيث كانت بريطانيا والدول الأوربية الأخرى في وضع يسمح لهم بفرض الحلول على كل من الإتحاد السوفيتي والإمبراطورية العثمانية . وقد تم فعلا في معاهدة لوزان في ٢٤ يوليو ١٩٢٣ . وكان مؤتمر لوزان الذي إفتتح في ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ وإستمر حتى ٢٤ يوليو ١٩٢٣ ، قد حضره مندوبو كل من بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واليابان ، واليونان ، ورومانيا ، ويوغوسلافيا ، وتركيا . وقد كانت المناقشات الخاصة بمضايق البحر الأسود تهم كلا من الإتحاد السوفيتي ، وجمهورية أوكرانيا السوفيتية ، وجمهورية جورجيا السوفيتية . وكذلك دعيت كل من بلغاريا ، والبانيا ، وبلجيكا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، والفرويج والسويد للنقاشات حول بعض النقاط . وإنتهى المؤتمر بإبرام معاهدة صلح بين بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واليابان ، واليونان ، ورومانيا ويوغوسلافيا من ناحية ، وتركيا من الناحية الأخرى . وبما يحذر ذكره أن مسألة وضع نظام لمضايق البحر الأسود قد إحتلت مكاناً هاماً في جدول أعمال المؤتمر ، إستأثرت بإهتمام الوفد السوفيتي . الذي قدم مقترحات صاغها الزعيم السوفيتي لينين . غير أن مقترحاته لم تقبل ، وترتب على ذلك عدم موافقة الإتحاد السوفيتي على هذه المعاهدة وعدم التصديق من جانب إتحاد الجمهوريات السوفيتية عليها . وكان لينين

قـ صرح قبل ذلك ، وفيما يتعلق بالمضايق قائلا : « يتضمن برنامجنا إغلاق المضايق في وجه كل السفن الحربية في زمن السلم والحرب . وهذا يخدم المصالح التجارية المباشرة لكل الدول ، وليس مصالح الدول التي تناخم المضايق أراضيها فقط ؛ بل مصالح كل الدول الأخرى أيضا ، (١) .

غير أن مؤتمر لوزان ، من ناحية أخرى ، جاء وكأنه بمثابة بلورة cristalization للسياسات المتنافسة بين الدول الأوروبية ، التي إقتنصت فرصا إستفادات منها كثيراً ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد كانت المواقع التي حصلت عليها أوروبا مهددة في هذه الفترة ، بواسطة الاتجاهات الوطنية للمسلمين ، وهو ما لمعكس تأثيره على مشكلة المضايق وكذا على القرارات التي كانت معاهدة سينتر لسنة ١٩٢٠ قد أنفت بها ، ثم على مؤتمر لوزان ، كما يتضح من العرض الآتي : فلهذا كانت حركات مقاومة سيطرة الدول الأوروبية تهدف إلى إقامة مجموعات سياسية في البلاد الإسلامية ، ولسكنها لم تحاول في ذلك الوقت إقامة تعاون فيما بينها . وظلت الحركات الوطنية للأتراك ، والحركات الوطنية العربية ، والاتجاهات الوطنية في إيران وحتى تلك التي وجدت في أفغانستان ، تتميز بصفتها مختلفة .

ووجدت الحركة الوطنية التركية متنافسا لها في الحركة التي قادها مصطفى كمال ، والتي إحتجت على تقسيم الإمبراطورية العثمانية ، وكذلك على

---

(١) راجع - اينين ف أ : في السياسة الخارجية للدولة السوفيتية ، ترجمة أحمد فؤاد زابيع ، مكتبة دار الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٥٠ ، ٥٤٠ — ٥٦٠ .

راجع : بوبر ونوفان ؛ تاريخ العلاقات الدولية ، أزمنة القرن العشرين ١٩١٤ — ١٩٤٥ ، مرجع سابق ص ٣٢٨ - ٣٣١ .

الميزات التي منحها نصوص معاهدة سيفر ، في شهر أغسطس ١٩٢٠ ، لبريطانيا العظمى واليونان . وطالب مصطفى كمال بضرورة إعادة النظر في هذه المعاهدة ، وعلى الأقل فيما يتعلق بوضع الآمال الأتراك تحت سيطرة أجنبية ؛ ولذلك فإنه رفض الموافقة على حق الإحتلال الذي منح لليونان في منطقة أزمير ، وفرنسا في قيليقيا ، وإيطاليا في جنوب الأناضول حول أضاليا ؛ وطالب كذلك بسحب قوة الحلفاء ، والتي كانت تقريبا بريطانية فقط ؛ والتي كانت مكلفة بإحتلال القسطنطينية ، وبضمان تطبيق الوضعية الجديدة للضايق العثمانية . وأكدت الحكومة السكمانية نجاح هذه المطالب ، عن طريق الضغط المسلح ، وحتى عن طريق الحرب .

ودفع دخول القوات التركية إلى قيليقيا وإلى منطقة أضاليا ؛ كل من فرنسا وإيطاليا إلى قبول التفاوض . وتنازلت الحكومة الفرنسية ، باتفاقية ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ ، عن إحتلال قيليقيا ، باستثناء لواء الاسكندرونة ، الذي كان الأتراك لا يكونون فيه إلا جزءا من السكان ، وتخلت الحكومة الإيطالية عن منطقة أضاليا ، في الوقت الذي إحتفظت فيه ببعض المميزات لإستغلال موارد ما تحت الأرض .

ولم تنتظر القوات اليونانية الموجودة في أزمير الهجوم التركي ، بل قامت بعملية هجومية وقائية ، تحطمت بسرعة : ففتح يوم ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ الطريق أمام جيش السكاليين إلى أزمير ، التي تم إحتلالها بعد أسبوعين ، دون أن يكون لدى الوزارة الإنجليزية أية نية لمعارضة ذلك . وعندئذ توجه الجيش التركي صوب الدردنيل ؛ حيث وجد نفسه أمام قوة فرنسية - إنجليزية ، مكلفة بالدفاع عن المضائق . ولقد تماشوا الإصطدام ؛ غير أن هدنة مودانيا - في ١١ أكتوبر ١٩٢٢ - قد أعطت مصطفى كمال أنا تورك حق أخذ إدارة القسطنطينية ؛ وطرده السلطان ؛ وتم تحقيق الجزء الأول من هذا البرنامج يوم ٤ نوفمبر ، والثاني يوم ١٧ نوفمبر .



وبقيت بعد ذلك عملية تنويع هذه النتائج ، بإعادة النظر في معاهدة سيفر . وعمل مؤتمر لوزان — الذى تقرر إجتماعه من أجل هدنة مودانيا — على إعادة النظر هذه ؛ وذكر اللورد كيرزن Curzon ، رئيس الوفد البريطانى : « إن الأتراك ، قد أظهروا أنفسهم وقحة ، ولا يمكن التفاوض معهم » ؛ ولكن الوزارة الإنجليزية ( وكان بونارلو Bonar haw قد حل محل لويد جورج ) كانت ترغب ، مهما كان الثمن ، فى تحاشي الوصول إلى صدام . وفى ٢٤ يوليو ١٩٢٣ ، أعادت المعاهدة الجديدة لتركيا سيادتها على كل شبه جزيرة الأناضول ، وعلى القسطنطينية ، وتراقيا حتى ماريتزا ( أى بما فيها أدرنة ) ؛ وأخيراً على جزر إلبوروس وتينيروس ، اللتين كانتا تتحكمان ، من بحريجه ، فى مدخل الدردنيل ؛ وألغت نظام الإعفاءات الذى كان الأجانب ، طبقاً لنظام الإمتيازات الأجنبية ، يتمتعون به فى الأرضى التركية ، وسوت أخيراً وضعية المضائق (١) . فاعترفت الحكومة التركية بمبدأ حرية المرور ، الذى وضعته معاهدة سيفر ، ولكنها حصلت على حق منع مرور سفن المدولة التى تكون تركيا معها فى حالة حرب .

وفى هذا النجاح ، لم يكن التأييد الدبلوماسى الذى أعطته روسيا السوفيتية للحكومة الكمالية ، بالتأكيد ، عنصراً كافياً للتفسير . فلم يكن فى وسع الجمهورية التركية أن تحطم اوضعية الدولية المفروضة فى عام ١٩٢٠ ، إذا كانت قد واجهت مقاومة مشتركة من جانب بريطانيا العظمى ، وفرنسا وإيطاليا . ولكن الدول المنتصرة كانت قد انقسمت على بعضها ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ، التى كانت أكبر المستفيدين من معاهدة سيفر ، لم تجد معونة شركائها من أجل الدفاع عن نصوص هذه المعاهدة ، إذ أن فرنسا وإيطاليا وجدتا إستحالة العودة إلى السلاح ،

— ٢٩٢ —

بعد أقل من ثلاث سنوات منذ الحرب العالمية ، للمحافظة على المواقع التي كانت أهميتها كبيرة بالنسبة للمصالح البريطانية ، ولسكنها كانت ثانوية بالنسبة لكل منهما . وحينما وافقتا تقريباً على جميع النقاط — أمام ضغط مصدفي كمال أنانورك — إحتجت الحكومة الإنجليزية بلا جدوى على هذه المفاوضات ، التي كانت تشجع — بالطبع — الأتراك على مواصلة تحقيقات برنامجهم . وفي خريف عام ١٩٢٢ ، رفضت الحكومة الفرنسية أن تصدر الأوامر إلى قواتها بسد الطريق أمام جيش الكمالين .

ومن جانب آخر ، كانت السياسة الإنجليزية — كما سبق ليضاح ذلك — قد وضعت آمالها على يونان فيمينيلوس . غير أن الملك قسطنطين ، الذي كان منفياً منذ عام ١٩١٧ ، كان قد عاد إلى عرشه ، منذ شهر ديسمبر عام ١٩٢٠ ، بعد إستفتاء . وكان فيمينيلوس قد أبعاد هو الآخر عن السلطة ، فلم يعد من الممكن الإعتماد على مرونة الحكومة اليونانية . وإذا كانت بريطانيا — رغبة منها في تسوية السلم مع تركيا — قد حاولت أن تلقى مسؤولية الهزائم التي أصابت سياساتها على تهرب حلفائها ، فإن هذه السياسة البريطانية ، من جانب لويد جورج ، قد إنهارت تماماً منذ أن عجزت عن لعب البطاقة اليونانية . فإذا كان تأثير هذه المناقصات الأوروبية على مؤتمر لوزان في عام ١٩٢٣ ، وعلى قراراته المتعلقة بمشكلة المضائق ، ووقعها بين السوفييت وتركيا من ناحية ، وبين الدول الأوروبية وتركيا ، من ناحية أخرى .

لقد تضمنت معاهدة لوزان ، في ٢٤ يوليو ١٩٢٣ ؛ القرارات الرئيسية التالية ، فيما يتعلق بالاعتبارات السابقة :

**أولاً :** البواخر التجارية : إعترف المؤتمر في لوزان بحق مبدأ حرية

المرور في وقتي السلم والحرب على السواء ؛ مع إستثناء هذا المبدأ عندما تكون تركيا في حالة حرب ، إذ بموجب ذلك يحق لتركيا إيقاف بواخر العدو ، مع حرية المرور للبواخر المحايدة .

ثانيا : البواخر الحربية . يحق للبواخر الحربية المرور في المضائق التركية وقت السلم ، بشرط أن لا يتجاوز الحد الأعلى للقوة ، التي ترسلها إلى البحر الأسود أية دولة من غير دول البحر الأسود ؛ قوة تكون أقوى من أساطيله . وعلى الرغم من هذا الشرط ؛ فقد أصبح من من حق كل دولة من غير دول البحر الأسود أن تبعث إليه أساطيل بحرية لا تزيد على قطع ثلاث ، بحمولة لا تتجاوز العشرة آلاف طن ؛ أما إذا كانت تركيا من الدول المحاربة ؛ فإنه يسمح للدول المحايدة بحق المرور فقط . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد إتفق المؤتمرون على تجريد منظمة المضائق من السمة العسكرية ؛ كما تم الإتفاق أيضا على أن تكون إدارة المضائق الفعلية عن طريق لجنة دولية . (١)

### ٣ - ردود الفعل السوفيتية :

لم تكن قرارات مؤتمر لوزان مبعث رضاء الإتحاد السوفيتي ، ولقد رفض السوفيت التوقيع على معاهدة وزان . أما بالنسبة لتركيا ، فإنها تعهدت أمام نظام الأمن الجماعي لعصبة الأمم ، بأن تعمل بجاهدة على إيجاد قرارات هذه المعاهدة ، والعمل المستمر على تجريد المضائق من الصبغة العسكرية . غير أن الظروف

(١) النيجي : تركيا وحلف شمال الأطلسي مرجع سابق ص ٤٩ - راجع أيضا :

Mijid, Khadduri, Major Middle Eastern. Problems in International Law, Washington; D.C. 1975, p. 7.

تغيرت بمرور الزمن إلى حد كبير ؛ و ضعفت (١) عصبة الأمم ، حيث قامت إيطاليا بالهجوم على الحبشة ، وإستأنف ألمانيا تسليح الراين . وفي مواجهة هذه الظروف ، فكرت تركيا في إنشاء وضع جديد في المضائق ، من شأنه أن يعيد تسليحها من جديد ، وتم هذا فعلا بتوقيع إتفاقية مونثرو ، في ٢٠ يوليو ١٩٣٦ ، كبديل للنظام السابق للمضائق لعام ١٩٢٣ .

وبما يحد ذكره أن إتفاقية مونثرو قد وقعت بين الإتحاد السوفيتي ، وتركيا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، واليونان ، ويوغوسلافيا واليابان ، ولقد رحب السوفيت بهذه الإتفاقية ، لأنها حققت لهم بعض الأهداف الإستراتيجية ، فحالت بينها كقوة بحرية هائلة في البحر الأسود ، وبين القوى الأجنبية ، ومنها ألمانيا هتلرية ، التي كانت تشكل تهديدا عسكريا للإتحاد السوفيتي (٢) ؛ وعلى الرغم من ترحيب السوفيت بهذه الإتفاقية ، وتحقيق بعض الأهداف ، إلا أن أجهزة الإعلام السوفيتية عبرت عن إستيائها وتذمرها من هذه الاتفاقية ، حيث إتهمت تركيا بأنها إستسلمت لضغوط القوى الاستعمارية . ولقد أثبتت نصوص معاهدة مونثرو أن السوفيت لابد وأنهم قادرون على تعديلها مستقبلا ، بالرغم مما حققته هذه المعاهدة من أهداف إستراتيجية للسوفيت . ولقد تم هذا بالفعل عقد الحرب العالمية الثانية ، وما أتت به أحداث هذه الحرب من إنتصار للسوفيت ، وهو ما يمكن تتبعه من نصوص إتفاقية مونثرو .

---

(١) حول الأمن الجماعي وعدم كفايته في فترة ما بين الحربين - راجع :

بيير ونوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ، أزمنة القرن العشرين ١٩١٤ - ١٩٤٥ ،

مرجع سابق ص ٣٧٨ - ٣٨٥ ، ٤٤٩ - ٤٨٠ .

(٢) دكتور إسحاق صبرى مقلد ، البحر المتوسط في الاستراتيجية الدولية ، القاهرة ،

يناير ١٩٧٧ ص ١٥٠ - ١٦٠ .

لقد تضمنت هذه الاتفاقية بعض الشروط ، منها أنه يحق للسفن التجارية المرور في وقت السلم دون أن يكون هناك أى تحديد للزمن ، أما في وقت الحرب فإذا كانت تركيا من الدول المحاربة فإنه يحق للسفن التجارية غير المشاركة في الحرب المرور فيها ، شريطة أن لا تقدم الممرات للعدو . وبالنسبة للدول الوافدة على البحر الأسود ، فإنه يصبح من حقها إرسال سفن أجنبية كي تمر من المضائق ، وتزيد حمولة هذه السفن على خمسة عشر ألف طن .

كما تقرر تمتع تركيا بإيقاف السفن الحربية الأجنبية أو أن تسمح لها بالمرور عبر المضائق عند تعرضها لخطر نشوب الحرب ؛ وبمعنى آخر ، فقد منحت إتفاقية مونترو تركيا حق الإدارة الفعلية وتحسين المناطق ، كما نصت على إلغاء لجنة المضائق ، التي نصت عليها قبل ذلك نصوص معاهدة لوزان .

وعموماً فإنه قد عاد إلى تركيا لإشرافها العسكري على المضائق ، بمقتضى معاهدة مونترو ، كما قوى مركزها في البحرين ، الأسود والمتوسط . كما عقدت تركيا معاهدة مع بريطانيا وفرنسا في أكتوبر ١٩٣٩ ؛ وتمهدت تركيا بتقديم المساعدة إذا ما انتقلت الحرب إلى منطقة البحر المتوسط . ولقد تضمنت الإتفاقية شرطاً يكون طساً بمتنضاه إلا تضطر لآى نزاع ضد الاتحاد السوفيتى . خير أن السوفيت لم يرحبوا بهذه المعاهدة فيما بعد ، وإنتهدها بشدة ، وأعلن مولوتوف

---

راجع : أنور الشاشي ، من موبنخ إلى وارسو أو السياسة العالمية ، المطبعة

النجارية ١٩٣٩ من ص ١٣٥ - ١٤٥ .

— احمد نوري النعيم ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ، مرجع

سابق من ص ٢١ - ٢٥ .

— ٣٩٩ —

إستمهجانه لعمل تركيا في هذه الشأن (١) .

### ٣ - موقف السوفيت من معاهدة مونترو :

ولقد حقق السوفيت إنتصارات كبيرة في الحرب العالمية الثانية ؛ ولم يقدم الأتراك مساعدة تذكر السوفيت وقتئذ. أما الولايات المتحدة ، فقد كانت بعيدة عن أوروبا وعن تركيا أيضاً ؛ وهكذا أصبح للسوفيت ثقة كبيرة في استراتيجيتهم. وقد ماول طلباتهم إلى الحكومة التركية ، وتضمنت هذه المطالب : تعديل إتفاقية مونترو ، والمذكرات المتبادلة بين الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي إلى الحكومة التركية بين عامي ١٩٤٥ (٢) — ١٩٤٦ وهي التي كانت من حصيلة قرارات بوتسدام ، لتعديل معاهدة مونترو .

ولقد حرصت الحكومة السوفيتية برغبتها في إنهاء المعاهدة التي عقدتها تركيا عام ١٩٢٥ . وذلك في المذكرة التي بعثها إلى الحكومة التركية في ٧ أغسطس ١٩٤٦ . وأشار السوفيت فيها إلى عديد من الحوادث التي وقعت خلال الحرب العالمية الثانية ، في المضائق التركية ، وهي حادثة مرور زورق الدورية الألمانية seefalke ، في ٩ يوليو ١٩٤١ ، عبر المضائق إلى البحر الأسود . وقد إحتجت السلطات السوفيتية على ذلك ؛ وأيضاً على مرور الباخرة الإيطالية

(١) راجع في تفصيل ذلك :

— Royal Institute of International Affairs, Documents on International Affairs : 1917—1924. op, cit. pp. 118—125.

(٢) لعل من أفضل الدراسات التي تعرضت بصورة وثائقية لهذا الموضوع :

راجع : أحمد نوري النيمى : « السياسة الخارجية التركية بعد الحرب

العالمية الثانية » ، مرجع سابق ص ٨٠ — ١٢٠ .

**Tarvisio** ، عبر المضائق في أغسطس ١٩٤١ إلى البحر الأسود ؛ وكذا سماح السلطات التركية بمرور السفن التجارية الألمانية في ٤ نوفمبر ١٩٤٢ ، والتي كانت تحمل ١٤٠.٠٠٠ طن من المواد الأولية ، وهي في طريقها إلى البحر الأسود ، ومرور مجموعة بواخر ألمانية عبر المضائق إلى البحر الأسود في يونيو ١٩٤٤ ، من طراز **Ems** ، يقدر عددها بثمانية ، وخمس بواخر من طراز الناقلات الحربية **Kriegstransport** للقيام بأعمال ببعض الأعمال في البحر الأسود .

وفي شهر أبريل ١٩٤٦ ، بينما كان السوفيت يركزون على أن تركيا سمحت لبريطانيا بإنشاء قواعد عسكرية على مقربة من المضائق ، قدمت الحكومة السوفيتية مذكرة ثانية رفضوا فيها ما اقترحه الأتراك من عقد مؤتمر من الموقعين على إتفاقية « مونتريو » ، ومعهم الولايات المتحدة ، وأنذرت المذكرة بأن كل محاولة لإدخال الولايات المتحدة أو بريطانيا في الأمر ، تعتبر وكأنها مواجهة ضد مصالح دول البحر الأسود .

غير أن تركيا قامت بتنفيذ المزاعم السوفيتية ، وجاء في إحدى المذكرات التركية الرد التالي : « السنا مدينين بأج واحد من أقاليمنا التركية ، ولنا ملزمين بالتنازل عن الأرض التركية ، وسوف نعيش ونموت شرفاء ... » . كما لم تسمت الدبلوماسية التركية — على قول أحد الباحثين (١) — بالديبلوماسية في هذه

---

(١) المرجع السابق ، وقد أورد الباحث المذكور تقريراً كاملاً كان قد تمخض عن محادثات **S. Suracoglu Wilson E.C.** رئيس وزراء تركيا - إسكس آراء مصوت أبنوفو بشكل قاطع حول هذا الموضوع .  
 راجع في التمهيد ذلك أيضاً : أحمد زردى النديمي ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق ص ٥٣ - ٥٤ .

الفترة بأن جعلت من القوى العظمى شريكا لها في هذه المشكلة ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، التي ركزت تركيزا على ضرورة مساندتها — أى مساندة الولايات المتحدة — لها ؛ باعتبار أن السوفيت لا يشكلون — على حد الزعم التركي — تهديداً على تركيا ودول الشرق الأوسط فحسب ؛ بل العالم بأكمله .

وعموما يمكن إجمال الدوافع الحقيقية من وراء مطالبة السوفيت بتعديل إتفاقية مونترو ، فيما تضمنته هذه الإتفاقية من قيود تتعلق باستخدام السفن الحربية السوفيتية للمضائق التركية ، وقد حرمت هذه القيود الاتحاد السوفيتي من منافع كثيرة ، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار التوسع الهائل في الاسطول البحري السوفيتي ، وهو ما يعتبره السوفيت دليلا على عدم صلاحية هذه الإتفاقية بالنسبة لهم . وإذا كان السوفيت قد رحبوا بهذه الإتفاقية عند توقيعها لاعتبارات تتعلق بالأمن السوفيتي في تلك الفترة ؛ إلا أنهم قد اعتبروها فيما بعد عقبة تحول دون الدفاع عن المصالح السوفيتية ؛ فلم يسمح للاتحاد السوفيتي سوى بمرور مدمرة واحدة أو طراد واحد للعبور يوميا ، في حين أن الحكومة التركية كانت تسمح بمرور مدمرتين في اليوم لدول أخرى ؛ وهو ما اعتبره السوفيت إلزاما موجهاً ضدهم ؛ كذلك لم يكن هناك نص صريح يشير إلى استخدام الاتحاد السوفيتي لحاملات الطائرات ، وكما أنها من السفن الحربية ، التي تمر في المضائق التركية ؛ أما الغواصات السوفيتية فإنه نادرا ما تنغوص في البحر المتوسط عبر البحر الأسود والمضائق ؛ إذ أنه بموجب إتفاقية مونترو يسمح للسوفيت بمرور غواصاتهم في هيئة مجموعات أو قوافل ، بمعنى أنه يجوز مرور الغواصات السوفيتية في هذه الممرات المسائية بصورة فردية فقط ، وبشرط أن تطفئوا على السطح .



وعلى الصعيد جعل الولايات المتحدة كشريك كامل لتركيا في مواجهة الإتحاد السوفيتي، نجد أن الولايات المتحدة إستغلت النزاع بين تركيا والإتحاد السوفيتي، فقامت بتوقيع إتفاقية مع تركيا ، منحها بموجبها ١٠ ملايين دولار : كما قامت الولايات المتحدة وقتهئذ بتعزيز موقفها في تركيا بإرسال البارجة الحربية Missouri إلى مضيق البسفور ؛ وهي بارجة مزودة بالاسلحة المتنوعة . وكانت الغاية من إرسالها إلى تركيا بصورة رئيسية هي إنذار الإتحاد السوفيتي الذي كان يحاول التوسع في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية، ولأنما أن السوفيت قد خرجوا من الحرب وهم متصرون ؛ إذ سيطروا على ثلثي الأراضي في أوروبا الشرقية وشمال آسيا بأجمعه ، واستطاعوا بالتالي نشر النظام الماركسي في هذه الدول . وتحت هذه الظروف أعلنت الولايات المتحدة في مناسبات عديدة بأن تبقى المضائق وحدها تحت الحماية التركية ، وأن الإتحاد السوفيتي يجب أن لا يتدخل في هذا الأمر .

وفي هذه الفترة أيضا أرسلت تركيا مذكرة رسميه إلى الكونجرس الأمريكي ناشدته بدعم الإقتصاد التركي ؛ وكانت عبءه النقلة المهمة هي التي حالت دون تقدم تركيا مستقلا في السياسة الاقتصادية ، وبالتالي كانت عاملا في عدم الاستقرار الإقتصادي في تركيا فيما بعد .

راجع لي تفصيل ذلك :

- Manisali, Erol, "The Effects of the U.S. Military Embargo on the Turkish Economy, Foreign Policy, Ankara 1975, pp. 85—89.
- Howard N., Harry, "The Bicentennial in American — Turkish Relations", in : The Middle East Jurnal, Vol 30, No. 3, Summer 1976 pp. 300—310.
- The Economist Vol. 259, No. 6919 April 3, 1976,

## الفصل الثالث والعشرون

### تطور السياسة السوفيتية منذ الخمسينيات

#### ١ - تطور السياسة السوفيتية تجاه تركيا :

بدا أن السوفيت قد تخلوا عن سياسة ستالين تجاه تركيا ؛ منه منتصف الخمسينات (١)، فبعد وفاة ستالين ، قامت الحكومة السوفيتية بإرسال مذكرة إلى الحكومة التركية أكدت فيها على أن الحكومة السوفيتية سوف تقوم على تعزيز علاقاتها مع جيرانها ، وأنها قد تخلت أيضا عن مطالبتها الإقليمية في تركيا . وفي مناسبة لاحقة ، أكد السوفيت أيضا تخليهم عن إقامة قواعد عسكرية على المضائق ، والعودة إلى السياسة التي إتبعها كل من لينين وأتاتورك بشأن تقديم مساعدات إلى تركيا (٢) .

غير أن الأنراك قابلوا هذه السياسة السوفيتية بشتور ، بل إنهم اعتبروا السياسة التي إتبعها خرشوف بعد وفاة ستالين ، والتي عرفت بسياسة التعايش السلمي — بمجرد مناورة سياسية . ولقد فسر الغرب ذلك بأن الموقف السوفيتي يتسم بالإبهام والخموض ؛ ومن ناحية ثانية ، فإن السوفيت لم يكونوا على وفاق مع حكم عدنان مندريس ؛ الذي إستمر لمدة عشر سنوات ؛ أي من عام ١٩٥٠ — ١٩٦٠ ، لأنهم

---

(1) Laqueur, Walter, *The Soviet Union and the Middle East*, London 1959 pp. 200 — 210.

(2) Giritli, Ismet, "Turkish — Soviet Relations" *Indian Quarterly : A Journal of International Studies*, No. 1, Vol. XXV<sub>1</sub> 1970 p. 17.

وضموا المدسولية الكبرى على تأزم العلاقات السوفيتية التركية على مندريس ؛وتلى ذلك قيام الحركة الانقلابية بالاطاحة بعدنان مندريس ، في ٢٧ مايو ١٩٦٠ . وبالطبع، فقد أيد السوفيت هذه الحركة الانقلابية؛ وكان يراقب باهتمام التطورات السياسية في تركيا بعد إنقلاب ٢٧ مايو ١٩٦٠ . ولكن الإستياء والتذمر عم السياسة السوفيت بعد ذلك ، وخاصة بعد البيان الأول للانقلابيين في تركيا، عندما أكد هؤلاء إرتباطهم بحلف الأطلنطي . وقد جاء رد فعل السياسة السوفيت في الرسالة التي بعث بها خروتشوف إلى القادة الأتراك ، وذلك في ١٨ يونيو ١٩٦٠، قائلا: «إذا كانت الحكومة الجديدة في تركيا تتجه بمبادئ أنا تورك في السياسة الخارجية، فإن العلاقات بين البلدين سوف تصل إلى مستوى عال من علاقات حسن الجوار والصداقة» . كما أكد خروتشوف في رسالته هذه أن تطوير العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتي لا يتعلق بعضوية في حلف شمال الأطلسي والمعاهدة المركزية . كما بعث خروتشوف برسالة أخرى إلى جمال كورسيل ، في ٢٨ يونيو من نفس العام ،إقتراح فيها على كورسيل إتباع سياسة الحياد كوسيلة لتخفيض عبء الأسلحة الملقاة على عاتق تركيا . إلا أن كورسيل رفض هذا الاقتراح ، مؤكدا أن هذه الأسلحة تستخدم لأغراض دفاعية في إطار حلف شمال الأطلسي. وأكد جمال كورسيل — قائد الحركة الانقلابية في رسالة بعث بها إلى خروتشوف، في ٨ يوليو ١٩٦٠ ، مؤكدا أن حكومته تقف مع الأحلاف، طالما أن لها طبيعة دفاعية . غير أن مؤتمر الأحزاب الشيوعية ، الذي عقد في موسكو في نوفمبر ١٩٦٠ ، هاجم الحكومة الجديدة ، وقامت حكومة كورسيل ببناء محطات إذاعة في شرقي تركيا، للرد على الدعاية السوفيتية .

راجع : أحمد نوري النعيمي ، تركيا وحلف شمال الأطلسي ، مرجع سابق

## ٣٠٣ -

ويرى بعض الباحثين بهذا الصدد أن التغيير في السياسة الخارجية التركية تجاه الاتحاد السوفيتي قد بدأ فعلاً بعد محاولة عصمت إينونو غزو الجزيرة القبرصية في عام ١٩٦٤، كما أن هذه الفترة تسجل فترة الفتور في العلاقات بين تركيا وحلفائها في حلف شمال الأطلسي، بسبب الموقف السلبي لهؤلاء من تركيا بشأن الأزمة القبرصية، وتعود هذه التطورات جميعاً إلى الرسالة التي وجهها جونسون إلى إينونو، في ٥ يونيو ١٩٦٤، والتي حذره فيها من مغية التدخل في الجزيرة القبرصية، كما سبق إيضاح ذلك. وهذا التحول في السياسة الخارجية التركية لم يبد واضحاً للعيان إلا في هذه الفترة - أي عام ١٩٦٤ - وذلك بمناسبة الأزمة القبرصية، حيث إختبرت تركيا حليفاتها في حلف شمال الأطلسي. وفي هذا الخصوص أرادت تركيا من تقريبها من الاتحاد السوفيتي تحقيق مكاسب عديدة؛ منها الرغبة في الحصول على دعم الكتلة الاشتراكية لها في الأمم المتحدة، فيما يتعلق بالقضية القبرصية، بعد أن أصبح واضحاً عدم قبول تركيا لحلول حلفائها في حلف شمال الأطلسي. كذلك فقد إعتقدت إينونو، رئيس وزراء تركيا وقتئذ، بأن التقارب التركي السوفيتي سوف يحرم الرئيس مكاريوس من إمتياز التهديد، وذلك لوقوف السوفيت إلى جانبه، وهو الأمر الذي كان متوقعاً لممارسة الضغط على الولايات المتحدة والغرب، لأنها كانوا يؤديان دوراً فعالاً في إجبار اليونان على قبول حل يتوافق مع مصالح تركيا. ومن المكاسب التي أرادت تركيا أيضاً تحقيقها من تقاربها من الاتحاد السوفيتي الرغبة في الحصول على المعونة الاقتصادية من الاتحاد السوفيتي، بعد إنتفاء مصلحة الولايات المتحدة والغرب في تركيا.

وكان من نتائج الزيارات المتبادلة بين المسؤولين في تركيا والاتحاد السوفيتي

أن أعلن الطرفان التزامهما بقرارات مجلس الأمن، فيما يتعلق بالقضية القبرصية<sup>(١)</sup>.

## ٢ - موقف السوفيت من مشكلة قبرص ١٩٦٤ - ١٩٧٤

ساند السوفيت حكم مكاريوس في قبرص في الفترة الواقعة بين ١٩٦٣ - ١٩٦٤؛ وذلك بسبب معارضة مكاريوس للانضمام للاتحاد العسكري، واتباع سياسة عدم الانحياز؛ في حين خسر الأيرك المساندة السوفيتية بسبب ارتباطهم بالأحلاف العسكرية الغربية. غير أن الأتراك إقترحوا من السوفيت في هذه الفترة بالذات، بسبب إمتناع الولايات المتحدة عن مساندة تركيا في الأمانة القبرصية عام ١٩٦٤ وبالتالي فقد دفع هذا الموقف تركيا للتقرب من الاتحاد السوفيتي بعد حرب باردة بينهما استمرت أكثر من عقد من الزمن.

ولإزاء احتمالات فرض تسوية لمشكلة قبرص من جانب حلف شمال الأطلسي<sup>(٢)</sup>، في الفترة اللاحقة، فقد أكد الاتحاد السوفيتي مساندته لجزيرة قبرص من أجل

---

(1) The Turkish Year book of International Relations 1965, pp. 190 — 196.

(٢) في عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ إعلان أزمة قبرص إقترحت الولايات المتحدة الأمريكية لإرسال قوات أمريكية وأخرى تابعة لحلف شمال الأطلسي لحفظ السلام في الجزيرة. وقد أعلنت قبرص رفضها لهذا المشروع على الرغم من موافقة كل من تركيا واليونان عليه وتأييده من جانب بريطانيا. كذلك فقد صدقت الولايات المتحدة على فرض تسوية للمشكلة القبرصية على كل من اليونان وتركيا في إطار حلف شمال الأطلسي عام ١٩٧١ وهو المشروع الذي نادى به «دين أنشتون» ، وبالفعل تمت في اجتماعات المجلس الوزاري لحلف الأطلسي التي عقدت في يونيو ١٩٧١ بالشبونة، وكذلك فإن معظم الدبلوماسية اليونانية قد رأوا أن الضغط الذي مارسته اليونان كان مصدره الرئيسي حلف شمال الأطلسي.

المحافظة على إستقلالها ووحدة أراضيها ، كما قام الرئيس مكاريوس بزيارة للاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٧١ وصدر فى أعقابها البيان المشترك متضمناً تأكيد الجانبين بأن قبرص ، بصفتها عضواً كاملاً فى الأمم المتحدة ، لها الحق ، ويجب أن تتمتع بالسيادة التامة والاستقلال الكامل بدون أى تدخل أو غزو خارجى. وأوضح البيان تأكيد الاتحاد السوفيتى لمعارضته الإيجابية لأى تدخل أو غزو أو استخدام للقوة أو التهديد بها فى مواجهة قبرص . وقد جاءت إعادة تنصيب مكاريوس فى عام ١٩٧٣ لتتفق وإهتمامات ومصالح الاتحاد السوفيتى إذ أن سياسته تحول دون وضع قبرص تحت سيطرة حلف الاطْلنطى . ولذلك كان للاتحاد السوفيتى - دائماً - موافقه المؤيدة لسيادة قبرص منذ إعلان إستقلالها فى عام ١٩٦٠. وخلال إنذال القتال فى قبرص عام ١٩٦٣ أعلن الاسقف مكاريوس ، فى حديث وجهه إلى الأمة ، دعوته إلى مقاومة التدخل الأجنبى. وأوضح عدم إستعداده للتسليم إزاء أى تهديد أو ابتزاز ، لأن الشعب القبرصى ليس بمفرده ، ولكنه يملك تعاطف القوى الأخرى فى كفاحه . وقد اعتبرت هذه التلميحات بمثابة تحذير لحلف الاطْلنطى بشأن تهديده لقبرص ، وما يترتب عليه من رد فعل سوفيتى . وبالفعل ، أصدرت وكالة تاس فى أعقاب ذلك بياناً رسمياً حذرت فيه الغرب من التدخل فى الشؤون الداخلية لقبرص .

وقد أكد الموقف السوفيتى من خلال سلسلة المذكرات والخطابات التى أرسلتها الحكومة السوفيتية إلى حكومات كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وتركيا واليونان ، خلال الفترات الحرجة للمشكلة القبرصية ، مطالبة لإياهم بالإمتناع عن التدخل فى شؤون قبرص ، لأن مثل هذه المحاولة ستكون مصدراً لتعقيدات دولية . وذات نتائج مشحونة بالخطر . ويضاف إلى ذلك كله مساندة الاتحاد السوفيتى للشعب القبرصى داخل الأمم المتحدة والاتفاق الموقع بين الطرفين فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ ، لتقديم المساعدة العسكرية السوفيتية من أجل سلامة ووحدة

قبرص ، وفي مواجهة بعض ذل حلف الاطلةطى ، التي تحاول فرض حلول سياسية غير مقبولة من جانب الشعب القبرصى ، بما فى ذلك إقامة قواعد عسكرية أجنبية . وإن كانت العلاقات بين البلدين قد تعرضت لهزات طفيفة عام ١٩٦٥ ، نتيجة تصريحات أدلى بها أندرية جرميكو ، وزير الخارجية السوفيتى ، لصحيفة إزفستيا ، أشار فيها إلى ضرورة احترام حقوق الطائفتين فى الجزيرة ، مع إمكانية إقامة حكومة فيدرالية . كما تعرضت تلك العلاقات لهزة عام ١٩٦٧ ، نتيجة إستبعاد فنصل السفارة السوفيتية فى قبرص بتهمة التجسس .

وعندما وقع الانقلاب العسكرى فى اليونان عام ١٩٦٧ ، فإن السوفيت لم يؤيدوا هذا الانقلاب ، لأن النظام العسكرى فى اليونان قد ضرب وأخذم الحركات اليسارية بشدة ، كما إقترب هذا النظام من الولايات المتحدة . وعلى ذلك رفض السوفيت رفضاً قاطعاً سياسة Enosis التى أعلنتها الحكومة العسكرية فى اليونان بشأن قبرص .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان قد تم توقيع إتفاقية بين الاتحاد السوفيتى وتركيا فى ٢٥ مارس ١٩٦٧ ، والتي أكدت على التزام الإتحاد السوفيتى بإقامة خمسة مشاريع ضخمة فى تركيا فى الاسكندرونة وأزمير وبانديرما ، وسيدى شير ؛ كما قدم السوفيت مساعدة إقتصادية لتركيا بلغت قيمتها ٣٥٠ مليون دولار . وفى عام ١٩٧٢ ، وقع السوفيت أيضاً على إتفاقية تجارية تمهدوا فيها بتقديم معونة مالية لتركيا بلغت حوالى ٣٠٠ مليون مارك . غير أن العلاقات التركية — السوفيتية قد سادها نوع من الفتور ، وذلك فى أعقاب التدخل التركى فى قبرص فى ٢٠ يوليو ١٩٧٤ . وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن السوفيت كانوا يؤكدون ، ومنذ أكثر من عشر سنوات مضت على الإنزال التركى فى جزيرة قبرص أن مناقشة الأزمه القبرصية ينبغى أن تكون فى إطار العلاقات الدولية ؛

وبمعنى آخر فإن الاتحاد السوفيتى لم يكن يعترف بالمعاهدات بين تركيا واليونان وبريطانيا ، والتي سميت بمعاهدات الضمان . كذلك فإن المركز السياسى التركى ، الذى يرتبط بالغرب باستمرار ، كان ينظر إليه برؤية من جانب السوفيت ، وقد حاولت الحكومات التركية المتعاقبة تبني مفهوم جديد للسياسة الخارجية ، وأصبح هذا الاتجاه واضحا منذ الانزال التركى فى قبرص عام ١٩٧٤ ، وردود الفعل الغربية ، والتي بلغت ذروتها فى حظر الأسلحة الأمريكية والموقف السلبى لحلف شمال الاطلسى تجاه ذلك ، والتدهور فى علاقات تركيا مع دول السوق الأوروبية المشتركة. وكل ذلك كانت له ردود فعل سيئة من جانب بعض أعضاء حلف شمال الاطلسى تجاه تركيا ، وخاصة من مواقف هذه الأخيرة إزاء الأزمة القبرصية ، وأزمة بحر إيجه .

ففيما يتعلق بمسألة قبرص أكد بودجورى خلال زيارته لتركيا قبل ذلك بأن الاتحاد السوفيتى يعارض محاولات التدخل فى الشؤون الداخلية لقبرص ، وأضاف قائلاً : « إن الوصول إلى حل جذرى للقضية القبرصية يكون عن طريق إتفاق بين الطائفتين التركية واليونانية فى الجزيرة ، وبدون تدخل من الخارج ، وكان رد الفعل التركى على ذلك ما أعلنته الصحف (١) التركية وقتئذ ، بأن القادة السوفيت يستخدمون لغة خاصة عند اتصالهم بالاسقف مكاريوس ، ولغة أخرى عند اتصالهم بالمسؤولين الأتراك . وعموما فقد ساند الاتحاد السوفيتى مكاريوس والنظام الدستورى القائم فى قبرص قبل الإنقلاب العسكرى ، ضد الاسقف مكاريوس ، فى ١٥ يوليو ١٩٧٤ ؛ وطالبت موسكو ، فى بيان رسمى ،

---

(1) Daily News, No. 4092, 13 April, Ankara, 1972. pp.



بتطبيق قرار مجلس الأمن الذى ينص على إعادة حكومة مكاريوس الشرعية . كذلك إتهمت موسكو وأوساط حلف شمال الاطلنطى بأنها تجعل من موضوع وحدة أراضي قبرص المستقلة مادة للساومة ، رغبة فى تعزيز المواقف الاستراتيجية لحلف الاطلنطى شرق البحر المتوسط وطالبت بانسحاب كل القوات الأجنبية التركية واليونانية والبريطانية من الجزيرة .

وفور عرض المشكلة القبرصية على الأمم المتحدة ، لعب المندوب السوفيتى ، جاكوب ماليك ، دوراً هاماً فى صياغة قرار وقف إطلاق النار بين الطرفين المتنازعين . ومن ناحية أخرى ، استخدم المندوب السوفيتى حق الاعتراض (الفيتو) فى مجلس الأمن ضد إقتراح يدعو إلى تفويض الأمين العام للأمم المتحدة إتخاذ الاجراءات المناسبة التى تمكن القوات الدولية فى قبرص من تنفيذ إتفاقية جنيف ، المتعلقة بوقف إطلاق النار فى جزيرة قبرص ؛ كما عبر المندوب السوفيتى عن عدم إرتياحه من تورط العالم الغربى وحلوله الانفرادية فى حل هذه الأزمة . كما أوضح السوفيت موقفهم من التطورات الأخيرة فى قبرص ، فى البيان الذى أصدرته الحكومة السوفيتية فى ٢٢ أغسطس ١٩٧٤ ، والذى إحتوى على النقاط التالية :

**أولاً :** وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ فإنه يجب على القوات العسكرية والأجنبية الانسحاب فوراً من جزيرة قبرص .

**ثانياً :** إن ما يسمى بمعاهدات الضمان<sup>(١)</sup> التى فرضت على الجزيرة ، هى

---

(١) وقعت معاهدات الضمان هذه بين الدول الثلاث : تركيا واليونان وبريطانيا فى فترة سابقة ، راجع : احمد نورى النعيمى : الموقف التركى من أزمة قبرص بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ، مرجع سابق ص ٢٥٠ .

مما هددت عاجزة تماماً عن تأدية دبرها في إستقلال الجزيرة كما يجب أن يكون ؛  
وبمعنى آخر فإنه ، وفقاً لوجهة النظر السوفيتية فإن هذه المعاهدات لا تعتبر قائمة ؛  
وبالتالى فإنه لا يحق لتركيا أو اليونان أو لبريطانيا حتى التدخل في الجزيرة .

ثانياً : إن عدم انسحاب القوات الغازية من قبرص لابد وأن يؤدي في  
المستقبل إلى التوتر في العلاقات بين الدول الكبرى .

وقد جاءت ردود فعل هذا البيان قوية ومثيرة للمجدل بين الرأى العام  
التركي رسمياً كان أم شعبياً ؛ وردت تركيا بصورة رسمية على البيان السوفيتي  
سالف الذكر بصورة رسمية ، في مذكرة في ٢٨ أغسطس ١٩٧٤ ، ومضمونها  
يدور هو الآخر هو النقاط التالية :

أولاً : أن إحترام سيادة قبرص واستقلالها التام يكون عن طريق الدول  
الضامنة المعاهدة ؛ وبمعنى آخر فإنه لا يحق لغير هذه الدول — مشيرة بذلك إلى  
الاتحاد السوفيتي — التدخل في الشؤون الداخلية لقبرص .

ثانياً : أن الحكومة التركية قد قررت تخفيض قواتها في جزيرة قبرص على  
مراحل زمنية .

ثالثاً : ان تورط أية دولة في الازمة القبرصية لابد وأن يؤدي أيضاً إلى  
أن يقرر الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن السياسات والأوضاع الراهنة  
للاقطار الأخرى ، كما هي الحالة عليها الآن .

وبالتالى فإن هذه الحالة تقود إلى إضعاف سيادة هذه الأقطار وقد برهنت تجارب  
الماضى القريب أن الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن لا يعملون بصورة حيادية  
في فض المنازعات الدولية .

**رابعاً :** ترى تركيا أنه بالإمكان حل أزمة قبرص عن طريق المفاوضات بين الأطراف المعنية ، أو بالشكل الذى يتوقع قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ وإعلان جنيف فى ٣٠ يوليو ١٩٧٤ .

وعندما أبرمت إتفاقية جنيف لإفراغ السلام فى قبرص بين الدول الضامنة لاستقلال الجزيرة فى ٣٠ يوليو ١٩٧٤ ، كان هناك إستياء من قبل الأوساط الرسمية فى الاتحاد السوفيتى وهو ما تستبدل عليه من البيان الذى أصدرته الحكومة السوفيتية عقب ذلك والذى تضمن النقاط التالية :

**أولاً :** إن قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ نص على انسحاب القوات العسكرية الأجنبية فوراً من جزيرة قبرص ؛ فى حين أن إعلان جنيف كان لا يشير إلى تخفيض عدد القوات الأجنبية فيها .

**ثانياً :** إعترف إعلان جنيف بوجود إدارتين مستقلتين ، تتمتع كل منهما بالحكم الذاتى . إلا أن هذا الإعتراف الذى كان مطلباً أساسياً للحكومة التركية ، مرفوض أساساً من قبل الاتحاد السوفيتى ؛ ويعين ذلك أن الاتحاد السوفيتى قد وقف إلى جانب إستقلال وسيادة ووحدة أراضي قبرص ، وإلى جانب عودة حكومة مكاريوس ؛ ووضع حداً للتدخل العسكرى الأجنبى فى قبرص ، طالب وبسحب جميع القوات العسكرية الأجنبية من الجزيرة ، وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ ؛ أى أن السوفيت إعتقدوا أنه من الضرورى إشراك ممثلى الحكومة القبرصية الشرعية فى جميع المحادثات الدولية المتعلقة بالقضية ، ومن بينها محادثات جنيف ؛ وأنه ينبغى الحفاظ على سياسة قبرص المستقلة التى تعتمد أساساً على مبدأ عدم الانحياز .

ولقد سبقت الإشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى قد أدان النظام الميكري فى

اليونان بالانقلاب العسكري الذي وقع ضد حكومة مكاريوس . ودعى السوفيت إلى إتخاذ الإجراءات الفورية الرامية إلى وقف التدخل اليوناني في الشؤون الداخلية لجزيرة قبرص؛ إن هذا الموقف يمكن تفسيره بأن النظام العسكري في اليونان كان على علاقة قوية مع الولايات المتحدة ، حيث قام النظام العسكري في اليونان ، بمنح الولايات المتحدة قاعدة عسكرية ؛ وبالتالي فإن الإطاحة بحكم مكاريوس لا بد وأن يؤدي إلى تحقيق سياسة إيسنوميسيس ، وهذه السياسة تحول جزيرة قبرص برمتها فيما بعد إلى قاعدة عسكرية تابعة لحلف شمال الأطلسي .

غير أن السوفيت كانوا مدركين تماماً لحقيقة نوايا الولايات المتحدة في إقامة سلسلة من القواعد العسكرية في اليونان ؛ وقد سمعت السوفيت ، من جانبهم ، حرصاً على عدم هدم سياسة الوفاق الدولي بين الدولتين العظميين ؛ ولكن السوفيت قد أكدوا بأنهم لا يعترفون بأية حكومة خارج حكومة مكاريوس وعلى ذلك فإنهم اعتبروا الانقلاب الذي وقع في قبرص بمثابة خدمة للاغراض الدفاعية لحلف شمال الأطلسي .

وقد أدت هذه التطورات إلى فتور العلاقات بين الدولتين : الاتحاد السوفيتي وتركيا ، ومع ذلك فقد قام مساعد وزير الخارجية السوفيتية ، في ١٣ سبتمبر ١٩٧٤ ، بزيارة إلى أنقرة ، ولكن الجانب السوفيتي أصر على موقفه تجاه مشكلة قبرص . كذلك فقد إتضح للأتراك خلال زيارة رئيس المجلس الوطني التركي الكبير مع وفد برلماني إلى موسكو ، في ١٨ أكتوبر ١٩٧٤ ، خلال مقابلتهم لبودجورني ، من أن القادة السوفيت كانوا ضد الإقتراحات التركية ، الخاصة بأقامة اتحاد فدرالي ، قائم على الناحية الجيولتيكية لقبرص ؛ وأعلنوا احتجاجهم على ذلك ، مؤكدين بأن النظام الفيدرالي يؤدي إلى تقسيم الجزيرة ، وأيدوا

رغبتهم الملحة في إقامة نظام مركزي للجزيرة (١). وبمعنى آخر، فإن السوفيت قد عارضوا أى تغيير يحدث في الهيكل الديموغرافي للسكان ؛ وأكادو السوفيت على ضرورة إعادة المهاجرين اليونانيين إلى أماكنهم ، كما وأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٢٣١٢ ، في أول نوفمبر ١٩٤٧ ، يعكس وجهة النظر السوفيتية ؛ وبعد هذا القرار ، كانت هناك دلائل تشير إلى تقارب السوفيت من اليونان ، بعد إنهاء النظام العسكري فيها . فمن ناحية انتقد اليونانيون الولايات المتحدة لفشلها في مواجهة الأزمة القبرصية ، وقامت مظاهرات صاخبة شهدتها اليونان ضد الوجود الأمريكي ، كما -نضع كرامنليس لتأثيرات المعارضة السياسية فيما يتعلق بالتزامات اليونان بالدفاعات الغربية ، الأمر الذي دفع كبسنجر إلى أن يقول في مؤتمره الصحفي الذي عقده في واشنطن والذي ذكر فيه أن الولايات المتحدة لا تخضع لتهديدات اليونان بانسحابها من حلف شمال الأطلسي .

غير أن حكومة كرامنليس قررت فعلا الانسحاب من الجهاز العسكري لحلف شمال الأطلسي ، وقد رحب الاتحاد السوفيتي بقرار الحكومة اليونانية ؛ لأن ذلك يؤدي إلى إنهاء الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الأطلسي .

كذلك فإن عملية الإنزال العسكري التركي في قبرص ، والتي أدت إلى الاستيلاء على نحو ٣٨ في المائة من الأراضي في الجزء الشمالي من جزيرة قبرص ، قد أوجد قناة لدى السوفيت بإمكانية تقسيم الجزيرة بين الدائفتين التركية والقبرصية ، مما يتعارض ومصلحة السوفيت . وهذا الموقف من قبل الاتحاد السوفيتي قد أدى إلى الفتن في العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتي الذي حاول تخفيف وطأة موقفه بزيارات متعاقبة إلى تركيا في عام ١٩٧٦ . وقد نجحت

هذه الجهود في التقارب بين الدولتين ، في زيارة وزير الطاقة التركي إلى موسكو في شهر ديسمبر ١٩٧٦ ؛ ونتج عن هذه الزيارة توقيع إتفاقية إقتصادية جديدة بين البلدين ، نعهد السوفيت بمقتضاها ب٢٠ ميل مشروع في تركيا ، وبلغ إنجاز ذلك مبلغاً حوالى ٣٣ بليون دولار (١) .

### ٣ - موقف السوفيت من مشكلة قبرص ١٩٧٤ - ١٩٨٠ :

حاول كوسيجين ، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، تحسين العلاقات مع تركيا ؛ وقد إستغل كوسيجين الخلافات التركية الامريكية ، على أثر قرار حظر الاسلحة عن تركيا ، لتوقيع معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء . غير أنه قد فشل في ذلك ، بسبب إصراره على إنسحاب تركيا من حلف شمال الأطلسي ، وأكد كوسيجين إستعداد الاتحاد السوفيتي لإمداد تركيا بالاسلحة السوفيتيه ، فيما إذا قطعت تركيا علاقاتها مع الغرب .

وخلال زيارته لتركيا ، إتفق كوسيجين مع السامة الأتراك على وثيقة سياسية تستند إلى مقررات هلسنكي ، وقد عبر الرأي العام التركي عن إرتياحه عن البلاغ المشترك عقب إنتهاء زيارة كوسيجين ؛ حيث أن البلاغ لم يشر إلى إنسحاب القوات التركية من قبرص ، أو جعل مشكلة قبرص مشكلة دولية ؛ ولكن البلاغ المشترك أشار إلى ضرورة إجراء المزيد من المفاوضات لحل مشكلة قبرص ، والتأكيد على إستقلال الجزيرة ، وإتباعها سياسة عدم الانحياز ، ومنح الحقوق الشرعية للطائفتين التركية واليونانية في قبرص .

---

(1) Turkish Foreign Policy Report, Ministry of Foreign Affairs, Ankara, No. 18, January 1, Ankara, 1977, pp. 18 — 24.

وفي تقييم زيارة كوسيجين إلى تركيا يمكن القول بأنه على الرغم من أن كوسيجين لم يحاول دفع حكومة ديمرل إلى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة ، إلا أن تأكيد كوسيجين على انسحاب تركيا من حلف شمال الأطلسي كان يعنى أن السوفيت قد حاولوا إستغلال الفجوة القائمة في العلاقات التركية الأمريكية . كذلك يمكن القول — في تقييم هذه الزيارة -- أن تركيا قد إهتمت كثيراً بزيارة كوسيجين إلى أنقرة ، لأنها كانت بحاجة ماسة إلى أصدقاء جدد بعد تأزم علاقاتها مع الولايات المتحدة ، على أثار خطر الأسلحة العسكرية إليها ، على الرغم من أن الساسة الأتراك لم يرغبوا في تحريك السوفيت حول حدود التركية .

ويمكن القول أيضا بأن هناك عاملا آخر دفع تركيا إلى التقرب من الإتحاد السوفيتي بصورة خاصة ، والمعسكر الاشتراكي بصورة عامة ، وهو مفهوم الوفاق الدولي بين المعسكرين ، حيث أنه ، منذ التوقيع على إعلان هلسنكي ، في ٣١ يوليو ١٩٧٥ ، تم تقارب بين تركيا والكتلة الاشتراكية ، وذلك عن طريق العلاقات الثنائية . وقد أكدت حكومة سليمان ديمرل ، والتي جاءت في إبريل عام ١٩٧٥ ، على سياسة الوفاق الدولي . وجاء في برنامج الحكومة « تأخذ الحكومتنا عل عاتقها المساهمة في نتائج الوفاق الدولي في العالم ، وسوف تستمر جهودنا في مؤتمر الأمن الأوربي ومؤتمر التعارن ، لأن ذلك يؤدي إلى تقوية السلم في أوربا ، » .

وبالفعل ، قامت تركيا بتطبيق سياسة الوفاق الدولي ، ووقعت مع رومانيا وإعلان صياغة المبادئ الجديدة ، ، في ٢٩ أغسطس ١٩٧٥ . وقد أكد هذا الإعلان التقارب بين الدولتين ، ففتح عنه مزيد من الزيارات ، وعلى مستوى عال ، بين تركيا ورومانيا . كذلك فقد إجتمع وزير خارجية تركيا ووزير خارجية بلغاريا في أدريّة ، بالقرب من الحدود البلغارية ، في يوليو ١٩٧٥ ، لتنظيم

التبادل في القوة العسكرية بين الدولتين ، كما قامت تركيا بتوسيع علاقاتها مع الدول البلقانية ، وكان من نتائج ذلك إبرام مجموعة من الاتفاقيات الثنائية بين هذه الاول .

وعندما نجح حزب إرجويد في إنتخابات عام ١٩٧٧ ، حاول تطبيق سياسة الوفاق الدولي والإستفادة منها في السياسة الخارجية ، وقام إرجويد بزيارة رسمية إلى موسكو في ٢٣ يونيو ١٩٧٨ ؛ وأدت زيارته إلى توقيع وثيقة سياسية ، أكدت على إحياء روح علاقات الجوار والصداقة والثقة المتبادلة ؛ والذي أرساها كل من لينين وأتاتورك (١) .

ولقد إتفق الطرفان على برنامج التبادل العلى بين ١٩٧٨ — ١٩٨٠ ، وإلتزم الجانب السوفيتي بتقديم المساعدات لتركيا في المجالات الاقتصادية والفنية ، وذلك لبناء مشاريع ومحطات كهربائية . وصرح إرجويد في الكرملين قائلا : « إن حكومتى تؤمن بأهمية هذه المنطقة في صيانة السلم والأمن الدوليين ... وإن علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى تستند إلى الثقة المتبادلة ، والمنفعة المشتركة ، فى إطار مفهوم الوفاق الدولى والسلم العالمى » .

أما كوسيجين فقد قال : « إن إختلاف الأنظمة الاجتماعية بيننا وبين تركيا لايعتبر عقبة فى العلاقات بين الدولتين ؛ وإن علاقتنا مع جارتنا تركيا تقوم أساسا على سياسة الوفاق وقة هلسنكى » .

أما رد فعل الدول الغربية على ذلك ، فقد إنعكس على الولايات المتحدة بصفة خاصة ، حيث إعتراها القلق ، واعتبرت أن من شأن تدعيم العلاقات بين



السوفيت والاتراك أن يتسع النفوذ السوفيتي في شرق البحر المتوسط . وفي هذا الخصوص كتب أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي تقريراً إلى لجنة العلاقات الخارجية ، جاء فيه : « إن تركيا دولة حاضرة حاسمة بين الاتحاد السوفيتي ومناطق إستراتيجية عبر الشرق الأوسط .... أما اليونان فإنها هي الأخرى هامة لأمن ومصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ... » إن التأخير العسكري في الشرق الأوسط من الممكن أن يقلب الموازين ، فيما إذا قامت تركيا بالتقرب من الاتحاد السوفيتي ... وفي وقت نرى فيه الكرملين يصدم على زيادة قوته البحرية وتأثيره السياسي في شرق البحر المتوسط . »

وهكذا كان موقع تركيا وأوضاعها الجيوسياسية لها أهمية كبرى بالنسبة للدولتين العظميتين على السواء ، إذ أن جميع الطرق المائية ، والأرضية والجوية ، من البحر الأسود إلى البحر المتوسط ، ومن البلقان إلى الخليج العربي ، لا بد أن يكون المرور منها وإليها عن طريق تركيا وبواسطة المضائق التركية ؛ وهذا يعني أن تركيا لها القابلية في حماية شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط ضد الاتحاد السوفيتي ، وأن هذا الموقع الجيوسياسي يساعد تركيا في الدفاع عن الشرق الأوسط من كل تهديد قادم من الشمال . كذلك فإن الحدود الطويلة لتركيا مع الاتحاد السوفيتي ، والحدود القصيرة مع بلغاريا ، والتي تقدر بـ ٧٠٠ ميل بحري على ساحل البحر الأسود ، لا بد وأن تساعد تركيا في السيطرة على التأمير والنفوذ السوفيتي في المنطقة .

وعموماً ، فإنه من إستعراض العلاقات بين السوفيت والاتراك ، في الفترة من ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ، والتي سادتها الزيارات المتبادلة بين قادة الدولتين ، فإن ذلك قد انعكس على نظرة كل منهما إلى مشكلة قبرص . وإذا كانت مشكلة قبرص

قد وضعت على الرف ، وإذا كان الطرفان ، السوفيتي والتركي قد دعيا إلى مزيد من إجراء المفاوضات لحل مشكلة قبرص ، إلا أن النظرة السوفيتية تجاه قبرص ومشاكلها ظلت كما هي ، وهي التأكيد على إستقلال الجزيرة ، ومنح الحقوق الشرعية للطائفتين ، التركية واليونانية في الجزيرة . وإذا كانت مشكلة قبرص قد وضعت على الرف بين الدولتين في هذه الفترة ، فأنما يرجع ذلك إلى أن السوفيت أرادوا أن يستقطبوا تركيا إلى جانبهم ، بكافة الاغراءات الاقتصادية والسياسية ، وذلك بسبب أهمية الأوضاع الجيو يوليتكية لتركيا بالنسبة للاتحاد السوفيتي . وكان هذا هو المتغير الأساسي في العلاقات السوفيتية التركية ، سواء في عهد روسيا القيصرية ، أو في عهد روسيا الثورة ، وصولا إلى الوقت الحاضر .

## محتويات الكتاب



صفحة

٥ . . . . . مقدمة :

القسم الاول

٩ . . . . . التطور التاريخى لجزيرة قبرص

الباب الاول

١١ . . . . . قبرص حتى فجر العصور الحديثة

١٣ . . . . . الفصل الاول : الجزيرة والسكان :

١٣ . . . . . ١ — جزيرة قبرص

١٥ . . . . . ٢ — السكان القدامى

١٨ . . . . . ٣ — من الاستقلال إلى الحكم الاجنبى

٢٣ . . . . . ٤ — حكم اليونانيين

٢٨ . . . . . ٥ — حكم البطالمة ، ثم الرومان

٣٤ . . . . . الفصل الثانى : قبرص تحت حكم البيزنطيين :

٣٤ . . . . . ١ — تأسيس الكنيسة

٣٧ . . . . . ٢ — قبرص أحد أقاليم الإمبراطورية الشرقية

٤٢ . . . . . ٣ — المرحلة الأخيرة لحكم البيزنطيين

٤٦ . . . . . ٤ — إحتلال ريتشارد قلب الأسد للجزيرة

٤٩ . . . . . الفصل الثالث : مملكة قبرص :

٤٩ . . . . . ١ — إقامة النظام الجديد

٥٠ . . . . . ٢ — الأوضاع الاجتماعية

٥٢ . . . . . ٣ — النظام الإدارى

صفحة

- ٤ — إنشاء الكنيسة اللاتينية والصراع المذهبي . . . ٥٣
- ٥ — الحياة الاقتصادية والثقافية . . . . . ٥٦
- ٦ — التطورات السياسية . . . . . ٥٨
- ٧ — حملة بطرس الأول وضعف المماليكة . . . . . ٦١

## الباب الثانى

### ٦٥ قبرص تحت الحكم العثمانى

#### ٦٧ الفصل الرابع : ضعف قبرص وتفوذ الممالك والبندقية :

- ١ — إحتضار مملكة قبرص ( ١٤٥٨ — ١٤٨٩ ) . . . ٦٧
- ٢ -- نظام حكم البنادقة ( حتى عام ١٥٧١ ) . . . ٦٩
- ٣ — إستيلاء العثمانيين على الجزيرة ( ١٥٧١ ) . . . ٧٢

#### ٧٥ الفصل الخامس : العهد العثمانى ( ١٥٧١ - ١٨٢٨ ) :

- ١ — التنظيم الإدارى . . . . . ٧٥
- ٢ — إعادة إنشاء الكنيسة اليونانية . . . . . ٧٧
- ٣ — التطورات السياسية . . . . . ٧٩
- ٤ — التجاوب مع الثورة اليونانية . . . . . ٨٤
- ٥ — فترة الإصلاحات . . . . . ٨٥

#### ٨٩ الفصل السادس : الضغط الروسى للوصول إلى البحر المتوسط :

- ١ — الضغط الروسى ومعامدة كيجك قيناردجى . . . ٨٩
- ٢ — حملة دكويرث وفشل إنجلترا فى إقتحام المضائق . . . ٩٤

صفحة

- ٣ - معاهدة أنكيار أسكسلى . . . . . ٩٨  
٤ - إتفاقية المضائق عام ١٨٤١ . . . . . ١٠١  
٥ - حرب القرم والوقوف في وجه روسيا . . . . . ١٠٥

الباب الثالث

- ١٠٩ قبرص تحت الحكم البريطاني  
الفصل السابع : حصول بريطانيا على قبرص ( ١٨٧٨ ) : . . . . . ١١١  
١ - روسيا وحرب البلقان ( ١٨٧٥ ) . . . . . ١١١  
٢ - معاهدة سان إستيفانو . . . . . ١١٧  
٣ - مؤتمر برلين . . . . . ١٢٦  
٤ - الإتفاق الانجليزى التركى عام ١٨٧٨ . . . . . ١٣٠  
الفصل الثامن : بداية الاحتلال البريطانى : . . . . . ١٣٥  
١ - إقامة النظام الجديد . . . . . ١٣٥  
٢ - الوضعية الدولية لقبرص . . . . . ١٣٦  
٣ - النظام الإدارى . . . . . ١٣٧  
٤ - الجزية . . . . . ١٣٨  
٥ - الاحداث السياسية . . . . . ١٤٠  
الفصل التاسع : قبرص في أثناء الحرب العالمية الاولى وما بعدها : ١٤٣  
١ - ضم قبرص إلى الإمبراطورية البريطانية ( ١٩١٤ ) . . . . . ١٤٣  
٢ - عرض قبرص على اليونان ( ١٩١٥ ) . . . . . ١٤٤  
٣ - قبرص ومعاهدات الصلح . . . . . ١٤٥  
٤ - قبرص مستعمرة للتاج . . . . . ١٤٦

صفحة

## الباب الرابع

١٥١

### إستقلال قبرص

١٥٣ . . . . الفصل العاشر: الحركة الوطنية في قبرص :

١ — إزدياد الأهمية الاستراتيجية لقبرص . . . . ١٥٣

٢ — الاستفتاء الوطنى عام ١٩٥٠ . . . . ١٥٧

٣ — عرض القضية على الأمم المتحدة . . . . ١٦٠

١٦٧ . . . . الفصل الحادى عشر: الكفاح من أجل الاستقلال :

١ — الكفاح . . . . . ١٦٧

٢ — نفي البطريك إلى سيشل . . . . . ١٧٠

٣ — مشروع دستور لورد رادكليف . . . . . ١٧١

١٧٥ . . . . . الفصل الثانى عشر: الاستقلال :

١ — المرحلة الأخيرة للنظام الاستعمارى ( ١٩٥٧ — ١٩٥٩ ) ١٧٥

٢ — إتفاقيات زيوريخ ولندن ( فبراير ١٩٥٩ ) . . . ١٧٦

٣ — الجمهورية . . . . . ١٧٩

٤ — دستور جمهورية قبرص . . . . . ١٨٠

١٨٣ . . . . . بعض المراجع لزيادة الإطلاع :



صفحة

## القسم الثاني

١٨٧

### مشكلة قبرص المعاصرة

د. محمد نصر مهنّا

## الباب الخامس

١٨٩

### المشكلة وتأثير الانقلابات العسكرية

#### الفصل الثالث عشر : معاهدة الضمان وتأثيرها على الأوضاع

١٩١ . . . . . في قبرص :

١ — معاهدة الضمان سنة ١٩٦٠ . . . . . ١٩١

٢ — تأثير معاهدة الضمان على أوضاع قبرص . . . . . ١٩٣

٣ — وجهة نظر اليونانيين القبارصة . . . . . ١٩٧

٤ — وجهة نظر الأتراك القبارصة . . . . . ١٩٨

#### الفصل الرابع عشر : حلف شمال الاطلسي ومشكلة قبرص :

١ — الولايات المتحدة وتركيا والمشكلة . . . . . ١٩٩

٢ — الولايات المتحدة واليونان والمشكلة . . . . . ٢٠٩

#### الفصل الخامس عشر : الانقلاب العسكري اليوناني سنة ١٩٦٧

٢١٣ . . . . . وموقفه من مشكلة قبرص :

١ — الانقلاب العسكري اليوناني سنة ١٩٦٧ . . . . . ٢١٣

٢ — ردود فعل الانقلاب العسكري اليوناني على مكاريوس . . . . . ٢١٥

أولاً : الضغط والإنذار الموجه لمكاريوس . . . . . ٢١٥

ثانياً : مطالبة الكنيسة القبرصية باستقالة مكاريوس . . . . . ٢١٧

ثالثاً : إنتخابات عام ١٩٧٣ ونتائجها . . . . . ٢١٨

صفحة

٢٢٢	الفصل السادس عشر : إنقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ في قبرص :
٢٢٢	١ — الأسباب :
٢٢٥	أولاً : مذكرة مكاريوس للحكومة اليونانية .
٢٢٦	ثانياً : تصاعد أعمال العنف من جانب منظمة أيوكا .
	ثالثاً : عدم تمكن مكاريوس من تقدير أصحاب السطة
٢٢٦	الحقيقية في اليونان .
٢٢٧	رابعاً : التقارب القبرصي السوفيتي .
٢٢٨	خامساً : فشل مكاريوس في حل المشكلة الطائفية .
٢٢٨	سادساً : الأوضاع الداخلية اليونانية وإنعكاساتها .
٢٢٩	٢ — ردود فعل إنقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ .

الباب السادس

٢٣٣	الغزو التركي لقبرص
٢٣٥	الفصل السابع عشر : الغزو :
٢٣٥	١ — خلفية الغزو .
٢٣٩	٢ — نتائج الغزو .
٢٢٩	أولاً : التطورات اللاحقة .
٢٤٣	ثانياً : نتائج الغزو بالنسبة لقبرص .
٢٤٤	ثالثاً : نتائج الغزو بالنسبة لليونان .
٢٤٦	الفصل الثامن عشر : التبريرات والمفاوضات :
٢٤٦	١ — دوافع تركيا ( التبريرات ) لغزو قبرص .
٢٥٠	٢ — المفاوضات المباشرة بين طرفي المشكلة .

صفحة

الفصل التاسع عشر : ردود فعل الولايات المتحدة : ٢٥٥ . . . .

١ — موقف الولايات المتحدة . . . . . ٢٥٥

٢ — معالجة الولايات المتحدة للآزمة . . . . . ٢٥٨

الفصل العشرون : ردود فعل أوروبا الغربية : ٢٦٤ . . . . .

١ — موقف بريطانيا العظمى . . . . . ٢٦٤

٢ — موقف فرنسا . . . . . ٢٦٧

الباب السابع

٢٧١ الموقف السوفيتي

الفصل الحادي والعشرون : الاصول التاريخية للموقف السوفيتي : ٢٧٣

١ — السياسة الخارجية الروسية تجاه المضايق عشية الحرب

العالمية الأولى . . . . . ٢٧٣

٢ — القوميات ومشكلات الحدود في البلقان . . . . . ٢٧٦

٣ — الجزر والمضايق . . . . . ٢٧٧

٤ — تسويات الحرب العالمية الأولى . . . . . ٢٨٠

٥ — الحرب التركية اليونانية سنة ١٩١٩ وموقف السوفيت ٢٨٢

٦ — أثر الحرب التركية اليونانية على تطور تركيا . . . . . ٢٨٤

الفصل الثاني والعشرون : الموقف السوفيتي في الفترة الواقعة

بين الحربين العالميتين : ٢٨٨ . . . . .

١ — المضايق بين المنافسات الأوروبية ومؤتمر لوزان

سنة ١٩٢٣ . . . . . ٢٨٨

صفحة

٢ — ردود الفعل السوفيتية . . . . . ٢٩٣

٣ — موقف السوفيت من معاهدة مونثرو . . . . . ٢٩٦

الفصل الثالث والعشرون : تطور السياسة السوفيتية منذ

الخمسينات : . . . . . ٣٠٠

١ — تطور السياسة السوفيتية تجاه تركيا . . . . . ٣٠٠

٢ — موقف السوفيت من مشكلة قبرص ١٩٦٤ — ١٩٧٤ ٣٠٣

٣ — موقف السوفيت من مشكلة قبرص ١٩٧٤ — ١٩٨٠ ٣١٢

محتويات الكتاب : . . . . . ٢١٧

رقم الإيداع : ٤٤١٣ / ١٩٨٠  
الترقيم الدولى : ٧ - ٩٠ - ٧٣٣٤ - ٩٧٧



المطبعة المعصرية

هـ شارع كافور الحضرة القبطية - اسكندرية





١/١١٤٢٠٣

١٩٧٥

دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة  
الناشر : دار المعارف بالاسكندرية ٤٢ شارع سعد زغلول — ٢ ميدان التحرير